قصة الكوفة

سيرة الامام علي (ع)

من هجرته الى الكوفة ولغاية استشهاده

علي نظري منفرد





قصة الكوفة



قصّة الكوفة

صفحات مشرقة من حياة أمير المؤمنين عليه السلام

عرض لسيرة الامام علي عليه السلام

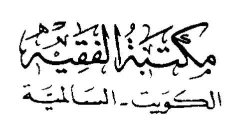
من هجرته إلى الكوفة ولغاية استشهاده

حجة الاسلام والمسلمين علي نظري منفرد

مراجعة وتعريب

محمود البدري

دار الرسول الأكرم «ص»

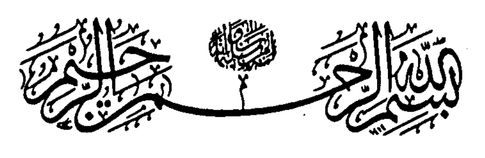


الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



الكويت - السالمية - شارع أبو هريرة (متفرع من شارع عمان) مقابل مدرسة سالم الحسينان
تلفون: ٥٦١٣٩١٣ - فاكس: ٥٦١٤١٨٧ - ص.ب: ٣٠٥٢ - السالمية، الرمز البريدي: 22031 الكويت



مقدّمة المترجم

الحمد لله الذي خلق محمداً وآل محمد فجعلهم أنواراً بعرشه محدقين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، سيما سيّد الوصيّين، وأمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين الى جنات النعيم، أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام.

وبعد، إن من شرائط الكتابة عن تاريخ أي شخصية عظيمة هو الإحاطة بأبعاد هذه الشخصية ومعرفة آرائه وما انطوت عليه سريرته من العقائد الدينية والاطلاع على رؤاه السياسية وطموحاته الذاتية والأهداف التي كان يتبناها في سيره وسلوكه وحربه وسلمه.

وهذا الشرط إن توفرت عوامله وظروفه وتهيّأت أسبابه في ترجمة علم ما فانه مفقود تماماً عند من يحاول التحدث أو الكتابة عن شخصية أمير المؤمنين علي المرتضى عليه السلام.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: هذا الإنسان ـ أي الامام علي عليه السلام ـ الذي يجمع في نفسه الأضداد، لا يتمكّن أحد من التحدّث حوله، لذا أرى من الأفضل أن أصمت وأسكت... ويضيف: كلما قيل أو كتب في شخصية أمير المؤمنين لم يف بحقه أبداً، أي أن هذه المعجزة الإلهية ما زالت غامضة على الجميع... وعلى كل حال فان هذا اللغز لم يحل ولن يحل، هذا الموجود معجزة إلهية لا يستطيع أحد الوصول إلى حقيقته، بل الجميع يتكلمون حسب فهمهم ومقدار إدراكهم والإمام علي عليه السلام غير ما يتصورونه ويتوهمونه، أي أننا لا نستطيع أبداً أن نمدحه بما هو هو، ولهذا فالكل يأخذ بضعة من صفاته المتضادة ويخيل إليه أنه قد عرف أمير المؤمنين عليه السلام.[1]

نعم، فسيرة عليّ وفضائله ـ كما يعلم محبّوه ومناوئوه ـ سيرةٌ حافلة واسعة الأرجاء،

---

(١) جريدة رسالت الايرانية، العدد ٣٤٥، ١٥ / ٣ / ١٩٨٥ م.

لم ولن تستوعبها الدراسات الضخمة ، والمجلّدات المتعدّدة ، وذلك لأنّ الحديث عن عليّ عليه السلام هو حديثٌ عن تاريخ الاسلام العظيم منذ بزوغ فجره إلى اليوم . وحياته عليه السلام ، هي حياة ذلك المسلم الأوّل الذي لم تأخذه في الله لومة لائم ، فحارب «الناكثين» و «القاسطين» و «المارقين» كما وعده رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفضائل علي عليه السلام ، هي أوسمة السماء التي حُظي بها أمير المؤمنين عليه السلام بما لم يُحْظ به غيره من المسلمين من سابقين ولاحقين ، حيث بدأت تلك الفضائل بالوسام الأول حينما شاء الله له أن يولد في بيته الحرام ، وحتى الوسام الأخير حينما شاء الله له أن يفارق الدنيا بالشهادة وفي بيته الحرام .

وهذا الكتاب ـ الذي بين يديك عزيزي القارىء ـ هو جزء يسير من تلك الأوسمة والفضائل التي حظي بها أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو محاولة متواضعة من عالم وكاتب قدير وهو حجة الاسلام والمسلمين «**علي نظري منفرد**» ، حاول فيها أن يرتشف من هذا النهر العذب ، وأن يغور في أحداث التاريخ التي عصفت بحياة أمير المؤمنين عليه السلام ، ليتحدّث عن فترة مهمة من حياة هذه الشخصية العظيمة ، والمحددة بهجرته إلى الكوفة ولحين استشهاده عليه السلام .

وفي الختام أبتهل إلى الله تعالى بأن يجنّبنا ـ جميعاً ـ اتباع الهوى ومواطن الزلل ، وأن يلهمنا الصواب والسداد في القول والعمل .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

محمود البدري

٢١ / رمضان المبارك / ١٤٢٣

ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام

مقدّمة المؤلّف

قال رسول الله ﷺ :

«انّ الجـنّة لتشـتاق لأحبّاء عـلي عليه السلام ، وتشـتدّ ضوءها لأحبّاء علي عليه السلام ، وهـم فـي الدنـيا قـبل أن يدخلوها . وانّ النار تتغيّظ وتشتدّ زفيرها على أعداء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها .»[1]

ان الحديث والكتابة حول أي شخصية فاقت أبعادها الانسانية حدود الفكر الادراك ، ليس عملاً صعباً ومعقداً فقط ، بل هـو أشـبه بـالعمل المسـتحيل، لأن الشخصية اللامتناهية فـي أبـعادها المـختلفة لا يـمكن الاحـاطة بكـل كـمالها وفضائلها .

فلا اللسان يستطيع بيان اوصافها الحميدة ، ولا القلم يسـتطيع أن يكـتب مناقبها الجليلة ، لذا نجد أن فخر الرسل ، وهادي السبل ، يقول بحقّ هذه الشخصية العظية :

«لو أن الشجر أقلام ، والبحر مداد ، والجن حساب ، والأنس كـتاب ، مـا أحصوا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام»[2] .

وقال ﷺ كذلك لرهط من أصحابه : **«إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه**

---

(١) ثواب الأعمال ، الشيخ الصدوق : ٢٠٧ .

(٢) مناقب الخوارزمي : ٣٢ ح ١ .

وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك الكتاب رسم، ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر الى كتاب من فضائله غفر الله له الذنـوب التـي اكـتسبها بالنظر»[١].

قال هبيرة: خطب الحسن بن علي عليهما السلام صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه»[٢].

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء بحق أي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فضائل كما جاء بحقّ علي عليه السلام.

وقال ابن الجوزي بخصوص فضائل الامام علي بن أبي طالب عليه السلام:

ما أقول في حقّ من أخفت أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين.

لقد كان الامام علي عليه السلام مظهراً للعدالة الكاملة، والتي بسببها سقط شهيداً في محراب العبادة، فهو عليه السلام يقول:

«والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة فـي فـم جرادة تقضمها. ما لعلي ولنعيم يفنى، ولذة لا تبقى. نعوذ بالله من سبات العقل

(١) ينابيع المودّة لذوي القربى ١ : ٣٦٤.

(٢) صفة الصفوة ١ : ١٦٥.

وقبح الزلل وبه نستعين»[١].

ويقول الامام المظلوم: «فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي، مستأثراً عليَّ منذ قبض الله نبيّه ﷺ حتى يوم الناس هذا»[٢].

ويقول عليه السلام: «أيها الناس! أعينوني على أنفسكم، وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً».

ونراه يوصي أولاده قائلاً: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»[٣].

وهو القائد الذي عاش زاهداً، بل نراه أفقر من أي فرد من أفراد أُمّته، فهو يقول:

«والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفّداً، أحب إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها...»[٤].

فالامام العظيم، والرجل الكبير لا يستطيع أن يقبل بالظلم بالرغم من الظلم الذي نزل عليه من أُمّته، فهو يقول: «الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه»[٥].

والامام علي عليه السلام وهو الذي ذكرت ولايته في جميع صحف الأنبياء وكتبهم،

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ٢١٦ خ ٢٢٤.

(٢) نهج البلاغة ١ : ٤٢ خ ٦.

(٣) نهج البلاغة ٣ : ٤٢١ الرسالة ٤٧.

(٤) نهج البلاغة ٢ : ٢١٦.

(٥) نهج البلاغة ١ : ٨٩.

وأصبحت فرضاً على العالمين، يقول بحقّ هذه الولاية:

«ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ووصيّة علي عليه السلام»(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام بحقّ ولاية هذا الامام العظيم:

«ولايتي لعلي بن أبي طالب عليه السلام أحب إليّ من ولادتي منه، لأنّ ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل»(٢).

وورد في الدعاء الشريف: «ولا أراها منجية وإن صلحت إلّا بولايته والإئتمام به»(٣).

نعم، فالسير في هذا المحيط الكبير من الفضائل والمناقب لوحيد دهره، والمعجزة الالهية العظيمة لا يمكن الحصول منه إلا على قطرة من بحر بعض فضائله ومكارم أخلاقه ومحاسن أوصافه التي ملئت به حياته الزاخرة لكل شيء.

نتمنّى أن نكون قد وفقنا في ذكر بعض من الجوانب المشرقة في حياة هذا الامام العظيم ان شاء الله.

علي نظري منفرد

---

(١) الكافي ١ : ٤٣٧.

(٢) مفتاح الفلاح : ٢٢٠.

(٣) مفتاح الفلاح : ٧٤.

الفصل الأوّل
علي عليه السلام
في نظرة كلية واحدة

نور علي عليه السلام

قال ابن عبّاس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي أنا وأنت خلقنا من نور الله الأعظم.[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله عزّ وجل ينقله من صلب إلى صلب حتى أقرة في صلب عبد المطلب، ثم أخرجه من صلب عبد المطلب فقسمه قسمين، فصير قسم في صلب عبد الله، وقسم في صلب أبي طالب فعلي مني وأنا من علي، لحمه من لحمي ودمه من دمي، فمن أحبني فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه.[2]

وقال صلى الله عليه وآله: لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش، فإذا في النور خمسة أشباح سجداً وركعاً، قال آدم: هل خلقت أحداً من طين قبلي؟!

قال: لا يا آدم.

قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟!

---

(١) فرائد السمطين ١: ٣٩ ح ٤.

(٢) فرائد السمطين ١: ٤٣ ح ٧، الخصال: ٦٤٠.

قال : هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنة والنار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الانس ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الاحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي ان لا يأتيني أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض احدهم إلّا أدخله ناري ولا أُبالي .

يا آدم ؟ هؤلاء صفوتي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك الي حاجة فبهؤلاء توسل .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت .(١)

ولادة أمير المؤمنين عليه السلام

واحدة من الخواص المهمة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام هي ولادته في الكعبة، فقد اختص سلام الله عليه بهذه الفضيلة التي لم ينالها أحد قبله ولا بعده، وهذه الكرامة التي منحها الحقّ تعالى جلّ وعلا إلى أمير المؤمنين عليه السلام تعتبر من المعجزات العظيمة، فجدار الكعبة ينشق، وتدخل فيه أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام (فاطمة بنت أسد) بعد أن جاءها المخاض، وتنال هناك عناية خاصة لتلد هذه الشخصية العظيمة .

---

(١) المصدر السابق ١ : ٣٦ ح ١ .

قال الشيخ المفيد : ولد بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى سواه إكراماً من الله تعالى له بذلك وإجلالاً لمحله في التعظيم .(١)

وقال ابن الصباغ المالكي : ولد علي عليه السلام داخل البيت الحرام في مكّة المشرّفة ، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك ، وإجلالاً لمحله في التعظيم .(٢)

وقال أبو علي الحائري : ولادة أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكما ورد في التهذيب وارشاد المفيد ـ كانت بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل .

وقال الحاكم النيسابوري : لقد تواترت(٣) الأخبار ان فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في جوف الكعبة .(٤)

وقد روي أن السنة التي ولد فيها علي عليه السلام هي السنة التي بدئ فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسمع الهتاف من الاحجار والاشجار ، وكشف عن بصره ، فشاهد أنوارا وأشخاصا ، ولم يخاطب فيها بشيء .

وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والانقطاع والعزلة في جبل حراء ، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة ، وأنزل عليه الوحي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمن بتلك السنة وبولادة علي عليه السلام فيها ، ويسميها سنة الخير وسنة البركة ، وقال

---

(١) الارشاد ١ : ٥ .

(٢) الفصول المهمّة : ٣٠ .

(٣) الخبر المتواتر هو القطعي الصدور الذي لا يقبل الشك والتأويل ، وذلك لكثرة رواته .

(٤) المستدرك ٣ : ٤٨٣ .

لأهله ليلة ولادته، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الالهية، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً: لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة.

وكان كما قال صلوات الله عليه، فإنه عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الاسلام، ورست دعائمه، وتمهدت قواعده عليه السلام.(١)

وعن عتاب بن اسيد أنه قال: ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة في بيت الله الحرام يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، وللنبي صلى الله عليه وآله ثمان وعشرون سنة، قبل النبوة باثنتي عشرة سنة.(٢)

والد علي عليه السلام

قال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: عارض النبي صلى الله عليه وآله جنازة أبي طالب فقال: وصلتك رحم جزاك الله خيراً يا عم.(٣)

ونقل الإمام الشامي عن أبي طالب طوله: ما أحب إلينا معاونتك ومرافدتك وأقبلنا لنصحك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم، غير أني والله أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أني لا أجد نفسي تطوع إلى فراق دين عبد المطلب حتى

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١١٤.

(٢) مرآة العقول ٥: ٢٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ١٩٨.

أموت على ما مات عليه.[١]

وقال كذلك: لقد رحل عبد المطلب عن الدنيا وهو على دين التوحيد، وكذلك توفي أبو طالب على دين عبد المطلب.[٢]

ونقل أوس بن خولي قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له بن أخ إذا أنا مت فأت أخوالك من بني النجار فإنهم أمنع الناس لما في بيوتهم.[٣]

وروى أنس بن مالك قال: مرض أبو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا بن أخ أدع لي ربك الذي تعبده أن يعافيني.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: اللهم اشف عمي، فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال فقال: يا بن أخي إن ربك الذي تعبده ليطيعك.

قال: وأنت يا عماه إن أطعت الله ليطيعنك.[٤]

أمّه عليها السلام

أمّه عليها السلام هي فاطمة بنت أسد، من أكثر النساء خوفاً من الله تعالى، وكان الرسول يناديها بـ(أمي).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٢: ٣٢٣.

(٢) المصدر السابق

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٥٤٣.

(٤) تاريخ بغداد ٨: ٣٧٣.

وروى عطاء عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة أُم علي ألبسها رسول الله قميصه واضطجع معها في قبرها .

فقال له أصحابه : يا رسول الله ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه المرأة ؟ !

قال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها ، وإني إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت معها في قبرها ليهون عليها ![١]

وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله قبر فاطمة بنت أسد فاضجع فيه وقال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأُمي فاطمة بنت أسد ونكبتنا حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين .[٢]

وأخرج سبط ابن الجوزي عن ابن عبّاس قوله: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ ، عندما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله النساء إلى البيعة نزلت هذه الآية ، فكانت فاطمة بنت أسد أمّ علي بن أبي طالب عليه السلام أوّل امرأة بايعت .[٣]

وروي عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام قوله: لما ماتت أُمّي فاطمة بنت أسد بن هاشم كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وصلّى عليها وكبّر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوى عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا في قبرها، فلما ذهب قال له عمربن

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٣٧٨ ح ٣٠٨ .
(٢) المعجم الأوسط ١ : ٦٧ .
(٣) تذكرة الخواص : ١٠ .

الخطاب: يا رسول الله، رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد؟

فقال: يا عمر، ان هذه المرأة كانت أُمي التي ولدتني، انّ أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا، فاعود فيه، وان جبرئيل عليه السلام اخبرني عن ربي عزّ وجل انها من أهل الجنة وأخبرني جبرئيل عليه السلام ان الله تعالى امر سبعين الفاً من الملائكة يصلّون عليها.(١)

عمره الشريف عليه السلام

قال المسعودي: كان العمر المبارك لأمير المؤمنين عليه السلام خمسة وستون عاماً، وقيل: ثلاثة وستون عاماً، قضى منها خمسة وثلاثون عاماً مع النبي الأكرم، وثلاثون سنة بعد وفاته صلى الله عليه وآله.(٢)

وروى الطبرسي: كان سنّه عليه السلام يوم استشهد ثلاثاً وستين سنة، وكان مقامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً وثلاثين سنة، عشر منها قبل البعثة، وبعد البعثة بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وعاش بعد ما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثين سنة إلا خمسة أشهر وأياماً.(٣)

وقال عبدالله بن محمد بن عقيل: سمعت محمد بن الحنفية يقول: سنة الجحاف دخلت سنة ٨١، ولي خمس وستون سنة قد جاوزت سن أبي.

قيل: وكم كانت سنّه يوم قتل؟

---

(١) المستدرك ٣: ١٠٨.

(٢) اثبات الوصية: ١٥٦.

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٣١١.

قال: قتل وهو ابن ثلاث وستين سنة.[١]

وقال هشام: ولى علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر، وكانت خلافته خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر، ثم قتله ابن ملجم ـ واسمه عبد الرحمن بن عمرو ـ في رمضان لسبع عشرة مضت منه وكانت ولايته أربع سنين وتسعة أشهر، وقتل سنة ٤٠ وهو ابن ثلاث وستين سنة.[٢]

أهل البيت عليهم السلام أفضل الخلق

قال أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن أهل البيت لا يُقاس بنا أحد.[٣]

وقال ابن عبّاس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن أهل البيت مفاتيح الرحمة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم.[٤]

وروى جابر:

نزلت هذه الآية ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية**﴾ نزلت في علي.

وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: قد جاء خير البرية.[٥]

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١١٦.

(٣) فرائد السمطين ١: ٤٥ ح ١.

(٤) فرائد السمطين ١: ٤٤ ح ٩.

(٥) فرائد السمطين ١: ١٥٥ ح ١١٨، تفسير الصافي ٢: ٨٣٩.

هؤلاء هم (أهل البيت) موضع الأسرار الإلهية.[١]

وروي عن الإمام علي عليه السلام قوله: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربع؟ فأوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن ايماننا وشمائلنا، وموالينا خلف أزواجنا وشيعتنا من ورائنا.[٢]

وروى جرير بن عبد الله البجلي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مومناً مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمد فتح في قبره بابان من الجنة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله تعالى زوّار قبره ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه (آيس من رحمة الله)، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة.

واخرجه الزمخشري في الكشاف في تفسيره آية المودة.[٣]

وقال أبو الأزهر: قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: إن بني هاشم فضلوا على الناس بستّ خصال: هم أعلم الناس، وأشجع الناس، وهم أسمح الناس، وهم أحلم

---

(١) نهج البلاغة، خ ٤٧.

(٢) جامع أحكام القرآن ١٦: ٢٢.

(٣) فرائد السمطين ١: ٤٥ ح ١.

الناس ، وهم أصفح الناس ، وأحب الناس إلى نسائهم .[١]

صلوات ورحمة على الرسول وأهل بيته عليهم السلام

روى بريدة الخزاعي قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟

قال: قولوا: «اللهمَّ اجعل صلواتك ورحمتك على محمد وآل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[٢].

ودعا موسى بن طلحة حين عرس على ابنه فقال: يا أبا عيسى ، كيف بلغك في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ؟

فقال موسى: سألت زيد بن خارجة عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فقال زيد: انّي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي كيف الصلاة عليك ، قال: صلوا واجتهدوا ثمّ قولوا: «اللهمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم انك حميد مجيد» .[٣]

ونقلت أُم سلمة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، انّه قال لفاطمة عليها السلام : ايتيني بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساء ، ثم رفع يده عليهم فقال : «اللهمَّ هؤلاء آل محمد ، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد ، فانّك حميد مجيد» ، قالت :

---

(١) تاريخ المدينة ٢ : ٦٣٩ .

(٢) تاريخ بغداد ٨: ١٣٧ .

(٣) مسند أحمد ١ : ١٩٩ ، فرائد السمطين ١ : ٢٥ ح ٢ .

فرفعت الكساء لأدخل معهم، فاجتذبه، وقال: انك على خير.[١]

وقال: عقبة بن عمر: انّ رجلاً قال: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلّي عليك إذا نحن صلّينا عليك في صلاتنا؟

فصمت النبي صلى الله عليه وآله ثمّ قال: إذا أنتم صلّيتم عليَّ فقولوا: «اللهمَّ صلِّ على محمد النبي الأُمّي وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد النبي الأُمّي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انّك حميد مجيد»[٢].

ونقل عن علي عليه السلام انّ أصحاب رسول الله قالوا: يا رسول الله كيف نصلّي ونسلّم عليك فقال صلى الله عليه وآله: قولوا:

«اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم انّك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»[٣].

وأخرج المنذري عن ابن مسعود مثله.[٤]

منزلة علي عليه السلام عند الله

قال ابن عبّاس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليلة عرج بي إلى السماء رأيت على

---

(١) العمدة لابن البطريق: ٥١، فرائد السمطين ١: ٣٣ ح ١١.

(٢) الدر المنثور ٥: ٢١٧، المستدرك ١: ٢٦٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٤: ٣٠٣.

(٤) الترغيب والترهيب ٢: ٥٠٥.

باب الجنة مكتوباً: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله علي حبّ الله والحسن والحسين صفوة الله فاطمة خيرة الله على باغضهم لعنة الله.[١]

وذكر القرطبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصديقون ثلاث: حبيب بن موسى النجار مؤمن آل ياسين، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم.[٢]

وقال أنس بن مالك: بعثني النبي إلى أبي برزة الأسلمي فقال له ـ وأنا أسمع ـ يا أبا برزة ان ربّ العالمين عهد اليّ عهداً في علي بن أبي طالب فقال: انّه راية الهدى ومنار الايمان وامام أوليائي ونور جميع من أطاعني.

يا أبا برزة علي بن أبي طالب صاحب رايتي في القيامة وأميني غداً في القيامة على مفاتيح خزائن رحمة ربي.[٣]

وعن أبي برزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الله عهد إليَّ عهداً في علي بن أبي طالب فقلت ربّ بيّنه لي، فقال: أسمع، فقلت: سمعت.

قال: انّ علياً راية الهدى وامام أوليائي ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، ومن أحبّه أحبّني ومن أبغضه أبغضني فبشّره بذلك فجاء علي وبشّرته، فقال: يا رسول الله، أنا عبد الله وفي قبضته فان يعذبني فبذنبي وان يتم الذي بشرتني به فالله أولى به.

قال: قلت: اللهمَّ اجل قلبه، واجعل ربيعه الايمان.

---

(١) تاريخ بغداد ١ : ٢٧٤.

(٢) جامع أحكام القرآن ١٥ : ٢٠، بشارة المصطفى : ٣٢٣.

(٣) جامع أحكام القرآن ١٥ : ٢٠، المسترشد : ٦٢٨.

قال الله عزّ وجلّ: قد فعلت به ذلك ثم انه دفع الى انّه سيخصه من البلاء بشيء لم يخص به أحد من أصحابي، فقلت: يا ربّ أخي وصاحبي، قال ان هذا شيء قد سبق انّه مبتلى ومبتلي به.[١]

وعن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان حافظي علي بن أبي طالب ليفخران على سائر الحفظة لكينونتهما مع علي بن أبي طالب وذلك انّهما لم يصعدا إلى الله تعالى بعمل يسخطه.[٢]

وقال سهل بن سعد: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها، فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله كلّهم يرجو أن يعطاها، فقال أين علي بن أبي طالب؛ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية.

فقال علي: يا رسول الله، أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا.

فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم.[٣]

---

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٩٩، نظم درر السمطين: ١١٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ٤٩.

(٣) صحيح البخاري ٥: ١٧١، نظم درر السمطين: ١١٤.

قال ابن هشام: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر برايته، وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يك فتح، وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل، ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار.

قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام، وهو أرمد، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح، يهرول هرولة، وإنّا لخلفه نتّبع أثره، حتى ركّز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: يقول اليهودي: علوتم، وما أنزل على موسى، أو كما قال.

قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه.[١]

وعن أنس بن مالك قال: أهدي للنبي صلى الله عليه وآله طير فقال: اللهمَّ آتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي من هذا الطير، فجاء علي في تلك الأثناء ودخل المنزل.[٢]

وروى القرطبي في تفسيره عن أسماء بنت عميس في قول الله تعالى: ﴿فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾[٣]، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وآله لابن هشام الحميري ٣: ٧٩٧.
(٢) تاريخ بغداد ٨: ٣٧٨.
(٣) التحريم: ٤.

يقول: ﴿وصالح المؤمنين﴾ علي بن أبي طالب.[١]

وعن ربعي بن حراش قال: سمعت علياً يقول وهو بالمدائن: جاء سهيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنّه قد خرج إليك ناس من أرقائنا ليس بهم الدين تعبداً فارددهم علينا، فقال له أبو بكر وعمر: صدق يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن تنتهوا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان يضرب رقابكم وأنتم مجلفون عنه اجفال النعم.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله.

قال: لا.

قال له عمر: أنا هو يا رسول الله.

قال: لا، ولكنه خاصف النعل.

قال: وفي كفّ علي نعل يخصفها لرسول صلى الله عليه وآله.[٢]

وذكر ابن عباس حديثاً مفصّلاً خلاصته انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة، فقام إليه عمّه العباس بن عبد المطلب فقال: من هم يا رسول الله؟

فقال: أما أنا فعلى البراق.... وأخي صالح على ناقة الله وسقياها التي عقرها قومه.... وعمي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء على ناقتي.... وأخي علي على ناقة من نوق الجنة زمامها من لؤلؤ رطب عليها محمل

---

(١) جامع أحكام القرآن ١٨ : ١٩٢.

(٢) تاريخ بغداد ٨: ٤٣٢.

من ياقوت أحمر.... وهو ينادي أشهد ان لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول الخلائق: ما هذا إلّا نبي مرسل أو ملك مقرب! فينادي مناد من بطنان العرش: ليس هذا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا حامل عرش، هذا علي بن أبي طالب وصيّ رسول ربّ العالمين وإمام المتّقين وقائد الغر المحجلين.[(١)]

وعن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً:

لا إله إلا الله، محمد رسول الله أيّدته بعليّ، نصرته بعليّ.[(٢)]

منزلة علي عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله

عن البراء، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: علي مني بمنزلة رأسي من بدني.[(٣)]

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت منّي وأنا منك.[(٤)]

وعن حبشي بن جنادة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي منّي وأنا منه ولا يؤدّي عنّي إلّا عليّ.[(٥)]

وعنه، قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فأتاه رجل فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وعدني أن يحثو لي ثلاث حثيات من تمر.

---

(١) تاريخ بغداد ١١: ١١٣.
(٢) تاريخ بغداد ١١: ١٧٣.
(٣) تاريخ بغداد ٧: ١٢.
(٤) صحيح البخاري ٥: ٢٢.
(٥) سنن ابن ماجة ١: ٤٤.

فقال أبو بكر : ادعوا لي علياً . فجاءه علي عليه السلام ، فقال أبو بكر : يا أبا الحسن ، إن هذا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعده أن يحثو له ثلاث حثيات من تمر ، فاحثها له ، فحثا له ثلاث حثيات من تمر ، فقال أبو بكر : عدوها ، فوجدوا في كلّ حثية ستّين تمرة ، فقال أبو بكر : صدق رسول الله صلى الله عليه وآله ، سمعته ليلة الهجرة ونحن خارجون من مكة إلى المدينة يقول : يا أبا بكر ، كفّي وكفّ علي في العدل سواء.(١)

وروى محمد بن أبي ليلى عن رسول الله صلى الله عليه وآله : سباق الأُمة ثلاثة ـ لم يكفروا بالله طرفة عين فهم الصديقون ـ : حبيب النجار مؤمن آل يسين ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم .(٢)

وعن محمد بن المنذر عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : علي خير البشر فمن أبى فقد كفر .(٣)

وعن عائشة بنت سعد، عن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي في غزوة تبوك : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي .(٤)

وفي رواية أُخرى انّه صلى الله عليه وآله قال لعليّ حين استخلفه على المدينة فقال : يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان ؟

فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ انّه لا نبي بعدي .(٥)

---

(١) أمالي الطوسي : ٦٩ ح ١٠٠ .

(٢) الرسالة السعدية : ٢٤، الخصال : ١٦٩ ح ٢٥٤ .

(٣) تاريخ بغداد ٧: ٤٢١ .

(٤) تاريخ بغداد ٨: ٥٢ ، وج ١٠ : ٤٣، وج ١١ : ٤٣٢ .

(٥) الاحتجاج ٢ : ٢٥٢، اللؤلؤ والمرجان ٣: ١٣٢ ح ١٥٥٦ .

وعن داود بن رشيد قال: حدّثني أبي، قال: كنت يوماً عند المهدي فذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، قال المهدي: حدّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، إنك عبقريهم.

قال المهدي: أي سيّدهم.[١]

قال الطبرسي: وممّا يعضده من الروايات ما صحّ عن النبي أنه سأل عن بعض أصحابه فقال له قائل: فعلي؟

فقال: ما سألتني عن الناس، ولم تسألني عن نفسي.

وقوله لبريدة الأسلمي: يا بريدة، لا تبغض علياً، فإنّه منّي وأنا منه.

إن الناس خلقوا من شجر شتّى، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة.[٢]

وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما أنزل الله عزّ وجل: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾ قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودّهم؟

قال: علي وفاطمة وأبناؤهما.[٣]

وروي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله انّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: أنت أخي، ترثني وارثك.[٤]

وروى قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن سبعة: بنو

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ٨: ٤٣٧.
(٢) مجمع البيان ٢: ٣١١.
(٣) تفسير القرطبي ١٦: ٢١.
(٤) الطبقات الكبرى ٣: ٢٢.

عبد المطلب سادات أهل الجنّة، أنا وعلي أخي وعمّي حمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي.(١)

ونقل نعيم بن قنبر قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو اني أخذت بحلقة باب الجنّة ما بدأت إلّا بكم يا بني هاشم.(٢)

وعن ابن عبّاس انّه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد علي يقول: هذا أوّل من يصافحني يوم القيامة.(٣)

وعن سلمة بن كهيل قال: مرّ علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وآله وعنده عائشة فقال لها: إذا سرّك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب فقالت: يا نبي الله ألست سيّد العرب؟

فقال: أنا امام المسلمين وسيّد المتّقين إذا سرّك أن تنظري إلى سيّد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب.(٤)

وقال عبد الله بن العباس: كنت أنا وأبي العباس بن عبد المطلب جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل علي بن أبي طالب فسلّم فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وبش به وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحبّ هذا؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا عم رسول الله، والله لله أشدّ حبّاً له منّي إن الله جعل ذرية

(١) تاريخ بغداد ٩: ٤٤٠.
(٢) تاريخ بغداد ٩: ٤٤٥.
(٣) تاريخ بغداد ٩: ٤٦٠.
(٤) تاريخ بغداد ١١: ٩٠.

كلّ نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا.[١]

وعن أنس بن مالك قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فرأى علياً مقبلاً فقال: أنا وهذا حجّة على أُمّتي يوم القيامة.[٢]

وقالت أُمّ سلمة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله.[٣]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي مني وأنا منه، ولا يؤدّي ديني إلّا أنا أو علي.[٤]

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وتعيها اذن واعية﴾، هو علي بن أبى طالب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّي سألت ربّي أن يجعلها اذنك يا علي، اللهمَّ اجعلها اذناً واعية اذن علي، ففعل.[٥]

وروى عمرو بن شاس الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية، قال: كنت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء. فوجدت في نفسي عليه، فلمّا قدمت المدينة، اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله جالس في المسجد، فلمّا رآني أنظر إلى عينيه نظر إليَّ حتى جلست إليه، فلمّا جلست إليه قال: إنه والله يا عمرو بن شاس لقد آذيتني، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أعوذ بالله والاسلام أن أوذي رسول الله.

(١) تاريخ بغداد ١ : ٣٣٣.
(٢) تاريخ بغداد ٢ : ٨٦.
(٣) كنز العمال ١١: ٦٠٢.
(٤) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ١ : ٤٩٢.
(٥) روضة الواعظين : ١٠٥.

فقال : من آذى علياً فقد آذاني .(١)

وعن ابن عباس قال : نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة ، من أحبّك فقد أحبّني ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوّك عدوّي ، وعدوّي عدوّ الله عزّ وجل ، ويل لمن أبغضك من بعدي .(٢)

عن أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على أُمّ سلمة رضي الله عنها فقالت لي : أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم ؟

فقلت : معاذ الله ـ أو سبحان الله أو كلمة نحوها ـ .

فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من سبّ عليّاً فقد سبّني .(٣)

وروى جابر بن عبدالله الأنصاري قال : انّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي عليه السلام : هذا أمير البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره ومخذول من خذله .(٤)

وعن أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أما أنت يا علي فختني وأبو ولدي وأنت منّي وأنا منك .(٥)

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : سمعت علياً بالرحبة ينشد الناس : من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، فقام اثني عشر بدرياً فشهدوا انّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من كنت

---

(١) البداية والنهاية ٥ : ١٢١ .
(٢) فضائل الصحابة ٢ : ٦٤٣ح ١٠٩٣ ، العمدة لابن البطريق : ٢٦٨ .
(٣) المستدرك للحاكم ٣ : ١٢١ .
(٤) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٢٥٥ .
(٥) العمدة : ٢٠٢ .

مولاه فعلي مولاه اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه.(١)

وعن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليهم السلام قال: قال أخي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، أنت صاحبي ورفيقي في الجنّة.(٢)

وعن الإمام علي عليه السلام قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فقال: إن الله نظر إلى أهل الأرض نظرة فاختارني منهم، ثم نظر ثانية فاختار علياً أخي ووزيري ووارثي و وصيي وخليفتي في أُمتي وولي كل مؤمن بعدي، من تولاه تولّى الله، ومن عاداه عاد الله، ومن أحبّه أحبّ الله، ومن أبغضه أبغضه الله، والله لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا كافر، وهو نور الأرض بعدي وركنها وهو كلمة التقوى والعروة الوثقى، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾.(٣)

ايمان علي عليه السلام

قال عفيف الكندي: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فنزلت على العباس بن عبد المطلب قال: فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها إذ جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ثم ركع الشاب فركع

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٢٣٩.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٦١.
(٣) بحار الأنوار ٣٢: ٣٢٠.

الغلام وركعت المرأة ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام رأسه ورفعت المرأة رأسها ثم خرّ الشاب ساجداً وخرّ الغلام ساجداً وخرّت المرأة.

قال: فقلت: يا عباس إني أرى أمراً عظيماً!

فقال العباس: أمر عظيم، هل تدري من هذا الشاب؟

قلت: لا ما أدري.

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، هل تدري من هذا الغلام؟

قلت: لا ما أدري.

قال: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي، هل تدري من هذه المرأة؟

قلت: لا ما أدري.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا، إنّ ابن أخي هذا الذي ترى حدثنا أن ربّه ربّ السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه فهو عليه ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلّها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

قال عفيف: فتمنّيت بعد أني كنت رابعهم.[1]

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لم يكفروا بالوحى طرفة عين مؤمن ال ياسين وعلي بن أبي طالب واسية امرأة فرعون.[2]

(١) الطبقات الكبرى ٨: ١٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ١٦٠.

عبادة علي عليه السلام

روى أبو الدرداء انّه شهد علي بن أبي طالب بشويحطات النجار قد اعتزل عن مواليه واختفى ممّن يليه فافتقده ثم سمع مناجاته بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول:

إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك إلهي ان طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك.

قال: فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام فاستترت له فركع ركعات من جوف الليل ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان ممّا به الله ناجى ان قال:

إلهي افكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم اذكر العظيم من اخذك فتعظم عليَّ بليتي.

ثمّ قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول: خذوه فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته، ويرحمه الملأ إذا اذن فيه بالنداء.

ثمّ قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى.

ثمّ قال: انعم في البكاء فلم أسمع له حسّاً ولا حركة فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله

وذكرت قصّته، فقالت فاطمة: هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله.[١]

محبّة علي عليه السلام

قالت عائشة: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: يكفيك فخراً أن لا يتحسّر محبّك عند الموت، ولا يستوحش في القبر، ولا يصيبه الفزع والخوف يوم القيامة.

وعن ابن عباس قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فقال: يا علي، أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدوّ الله، والويل لمن أبغضك بعدي.[٢]

وقال ابن عباس أيضاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حبّ علي بن أبي طالب يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب.[٣]

وكان أنس بن مالك يقول: والله الذي لا إله إلّا هو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب.[٤]

وروى البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: قل يا علي: اللهمَّ اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في قلوب المؤمنين مودّة، فنزلت

(١) الكنى والالقاب ١: ٦٦.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ١٥٥، المستدرك للحاكم ٣: ١٢٨.

(٣) تاريخ بغداد ٤: ٤١٧.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٥: ٢٣٠.

الآية : ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً﴾[(١)].[(٢)]

وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما أنزل الله عزّ وجل : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾ قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين نودّهم ؟

قال : علي وفاطمة وأبناؤهما .[(٣)]

وعن زر بن حبيش، عن علي أنّه فيما عهد إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : إنّه لا يحبّك الا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.[(٤)]

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : قم فما صلحت أن تكون إلّا أبا تراب ، أغضبت علي حين وآخيت بين المهاجرين والأنصار ولم اؤاخ بينك وبين أحد منهم ؟ أما ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى إلاّ أنه ليس بعدي نبي ، ألا من أحبك حفّ بالأمن والايمان ، ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية وحوسب بعمله في الاسلام.[(٥)]

وروي عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ الجنّة لتشتاق لأحباء علي ويشتدّ ضوءها لأحباء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها، وان النار تتغيظ ويشتدّ زفيرها على أعداء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها .[(٦)]

---

(١) مريم : ٩٦.
(٢) تفسير القرطبي ١١ : ١٦١ .
(٣) تفسير القرطبي ١٦ : ٢١ .
(٤) تاريخ بغداد ١٤ : ٤٢٦ .
(٥) كنز العمال ١١ : ٦٠٧ ح ٣٢٩٣٥.
(٦) ثواب الأعمال : ٢٠٧ .

علم عليّ عليه السلام

قال عامر بن وائلة: رأيت علياً عليه السلام إذ قام خطيباً وقال: اسألوني فوالله اني لأعلم ما يجري إلى يوم القيامة.(١)

وعن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه.

قال القاسم: سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث، فقال: هو صحيح.(٢)

وعن عمر بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله: ليستعملني على اليمن فقلت له: يا رسول الله، إني شاب حدث السن ولا علم لي بالقضاء، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله في صدري مرتين أو قال ثلاثاً وهو يقول: اللهمّ اهد قلبه وثبت لسانه، فكأنما كل علم عندي وحشي قلبي علماً وفقهاً فما شككت في قضاء بين أثنين.(٣)

وروى المصفح العامري قال: قال لي علي: يا أخا بني عامر سلني عمّا قال الله ورسوله فإنا نحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله.(٤)

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فاعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً أحداً.(٥)

(١) جامع أحكام القرآن ١: ٣٥.
(٢) تاريخ بغداد ١١: ٥٠.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٣٨٩.
(٤) الطبقات الكبرى ٦: ٢٤٠.
(٥) الغدير ٢: ٤٤.

وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: أما ترضين أني زوجتك أقدم أُمّتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً.[١]

علم القرآن

قال الأصبغ بن نباتة: لما قدم امير المؤمنين عليه السلام الكوفة صلّى بهم أربعين صباحاً يقرء بهم: ﴿**سبح اسم ربّك الأعلى**﴾ قال: فقال المنافقون: لا والله ما يحسن ابن أبى طالب أن يقرء القرآن ولو أحسن أن يقرء القرآن لقرء بنا غير هذه السورة.

قال: فبلغه ذلك، فقال: ويل لهم اني لأعرف ناسخه من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وفصله من فصاله، وحروفه من معانيه، والله ما من حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله: الا اني أعرف فيمن أنزل وفي أي يوم وفي أي موضع، ويل لهم أما يقرأون: ﴿**ان هذا لفي الصحف الأُولى صحف إبراهيم وموسى**﴾ والله عندي ورثتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أنهى رسول الله صلى الله عليه وآله من إبراهيم وموسى عليهما السلام، ويل لهم والله أنا الذي انزل الله فيَّ: ﴿**وتعيها اذن واعية**﴾ فانّما كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟

وسأل بريد بن هوية الباقر عليه السلام عن قوله: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾، قال: والله إيّانا عنى، وعلي أوّلنا وأفضلنا

(١) كنز العمال ١١: ٦٠٥ ح ٣٢٩٢٤.

وخيرنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.[١]

وروى جابر عن الإمام الباقر عليه السلام: لا يدعي أحداً جمع القرآن ظاهراً وباطناً غير أوصياء الله.[٢]

وعن محمد بن سعد قال: قال علي عليه السلام: والله ما من آية نزلت إلّا علمت سبب نزولها، وعلى من نزلت، فلقد أنار الله قلبي ولساني.[٣]

وعن عبدالله بن عطاء، عن الحلبي، عن بعض أصحابنا قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام في المسجد أُحدّثه إذ مر بعض ولد عبد الله بن سلام وقلت: جعلت فداك، هذا ابن الذي يقول الناس عنده علم الكتاب، قال: لا انّما ذلك علي عليه السلام نزلت فيه خمس آيات أحدها: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾.[٤]

جمع القرآن

روى أبو نعيم في الحلية والخطيب في الأربعين بالإسناد عن السدي، عن عبد خير، عن علي عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت أو حلفت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن.[٥]

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٧٩٩.
(٢) روضة المتّقين ١٣: ١٠٩.
(٣) الطبقات الكبرى ١: ٣٣٨.
(٤) بصائر الدرجات: ٢٣٤.
(٥) تدوين القرآن: ٣٤٤.

وقال ابن جزي في التسهيل[١]: وكان القرآن على عهد رسول الله متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قعد علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد.[٢]

وقال الموفق خطيب خوارزم بالإسناد عن علي بن رباح أن النبي صلى الله عليه وآله أمر علياً بتأليف القرآن فألفه وكتبه.[٣]

وفي رواية أبي ذر الغفاري أنّه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به الى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.[٤]

زهد علي عليه السلام

عن عمرو بن قيس: أن علياً رئي عليه إزار مرقوع فقيل له، فقال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن.[٥]

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر، قال: أكل علي بن أبي طالب يوماً تمر دقل ثمّ شرب عليه ماء ثم ضرب بيده بطنه، وقال:

---

(١) التسهيل ١ : ٦.
(٢) تدوين القرآن : ٣٤٣.
(٣) تدوين القرآن : ٣٤٤.
(٤) تدوين القرآن : ٣٤٣.
(٥) الطبقات الكبرى ٣ : ٢٨.

من ادخل بطنه النار فأبعده الله، ثم تمثّل:

وانك مهما تعط نفسك سؤلها وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا[١]

وعن علي بن أبي ربيعة، أن علي بن أبي طالب جاءه ابن التيّاح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، قال: الله أكبر، فقام متوكّئاً على ابن التيّاح حتى قام على بيت المال فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المال المسلمين وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء غري غيري، ها وها حتى ما بقى منه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه فصلّى فيه ركعتين.[٢]

وكان عمّار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: يا علي، انّ الله عزّ وجل قد زيّنك بزينة لم يتزيّن العباد بزينة أحب إليه منها الزهد في الدنيا فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً ووهب لك حبّ المساكين، ورضوا بك اماماً ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأما الذين أحبّوك وصدقوا فيك فهم جيرانك في دارك ورفقاؤك في قصرك، وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة.[٣]

وروى أبو رجاء عن علي قال: خرج علي بسيف له إلى السوق فقال: لو كان عندي ثمن إزار لم أبعه.[٤]

وقال الحسن بن صالح: كنت جالساً قرب عمر بن عبد العزيز وهو يتحدّث

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٨٠.

(٢) ذخائر العقبى : ١٠١.

(٣) أسد الغابة ٤ : ٢٣.

(٤) الطبقات الكبرى ٦ : ٢٣٨.

إلى الزهّاد فقال: أزهد انسان في الدنيا هو علي بن أبي طالب.[١]

الحقّ مع علي عليه السلام

عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أُمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة.[٢]

وقال الفخر الرازي: لقد ثبت بالتواتر ان من لم يقتدي بعليّ في صلاته فلا هداية له، والدليل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ أدر الحقّ مع علي حيث دار.[٣]

وعن ابن عباس قال: الحقّ مع علي بن أبي طالب حيث دار.[٤]

عدل علي عليه السلام

قال معاذ بن جبل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي، خصّك الله بخصال لم يخصّ بها أحد من الناس: بالنبوة ولا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيهن أحد من قريش: أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله،

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠١.
(٢) تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٢.
(٣) تفسير الفخر الرازي ١: ٢٠٥.
(٤) ينابيع المودّة ١: ٢٧٠ ح ٣.

وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ، وأبصرهم في القضية ، وأعظمهم عند الله يوم القيامة مزية .(١)

ومن كلام له عليه السلام : والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً ، وأجر في الأغلال مصفّداً ، أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها .(٢)

وقال عليه السلام : والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ذلك .(٣)

قوة وقدرة علي عليه السلام

عن جابر بن عبد الله انّ علياً حمل باب خيبر يوم افتتحها وأنهم جربوه بعد ذلك فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً .(٤)

شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام

نقل الواقدي : انّه في معركة الأحزاب تقدّم عمرو بن عبد ود الى الميدن

---

(١) حلية الأولياء ١ : ٦٦ ، بحار الأنوار ٨٣ : ١٠ .

(٢) نهج البلاغة ٢ : ٢١٦ خ ٢٢٤ .

(٣) نهج البلاغة ٢ : ٢١٨ .

(٤) تاريخ بغداد ١١ : ٣٢٣ .

وطلب المبارزة، فلم يبرز إليه أي من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله لمعرفتهم بشجاعته، ولكن الامام علي عليه السلام قال ثلاثاً: يا رسول الله دعني أُبارزه.[١]

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: كنّا مع علي بصفين، فكنّا قد وكلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه إليهم وقال: لولا أنه انثنى ما رجعت، فقال الأعمش: هذا والله ضرب غير مرتاب.

فقال أبو عبد الرحمن: سمع القوم شيئاً فأدّوه وما كانوا بكذابين.[٢]

وفي أُحد عندما انهزم المسلمون وحاصر المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله قال رسول الله: يا علي اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارساً وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف فتفرّق عنه، ثم تجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة وتمام العشرة منها ممّن لا يعرف باسمائهم، فقال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: ان هذه للمؤاساة، لقد عجبت الملائكة من مؤاساة هذا الفتى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه وهو مني وأنا منه؟

فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما.

قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به، ينادي مراراً: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي، فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه، فقال: جبرئيل عليه السلام.[٣]

---

(١) المغازي ١: ٤٠٧.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨.
(٣) الكافي ٨: ١١٠.

مظلوميّة علي عليه السلام

عن المسيب بن نجبة ، قال : بينا علي عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي ، فصاح : وامظلمتاه ! فاستدناه علي عليه السلام ، فلمّا دنا قال له : إنما لك مظلمة واحدة ، وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر .

قال : وفي رواية عباد بن يعقوب ، أنه دعاه فقال له : ويحك ! وأنا والله مظلوم أيضاً ، هات فلندع على من ظلمنا.[1]

وروى جابر الجعفي ، عن محمد بن علي عليه السلام ، قال : قال علي عليه السلام : ما رأيت منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله رخاء ، لقد أخافتني قريش صغيراً ، وأنصبتني كبيراً ، حتى قبض الله رسوله ، فكانت الطامة الكبرى ، والله المستعان على ما تصفون ![2]

فضائل علي عليه السلام

قال أحمد بن حنبل : ان الفضائل التي وردت بحقّ علي لم ترد بحقّ أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله .[3]

وقال عبدالله بن عمر : ثلاث كنّ لعلي عليه السلام لو أن لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم :

١ ـ تزويجه بفاطمة عليها السلام .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ١٠٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ١٠٨ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ١٦٨ .

٢ ـ وإعطاؤه الراية يوم خيبر .

٣ ـ وآية النجوى(١) التي نزلت بحقّه .(٢)

وعن زيد بن أرقم انّه قال: قال النبي : أما بعد فانّي أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم ، فاني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتبعته .(٣)

وسئل الشيخ المفيد في مجلس الشريف أبي الحسن أبن القاسم العلوي المحمدي ، فقيل له : ما الدليل على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان أفضل الصحابة ؟

فقال : الدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله : اللهمَّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ثبت أن أحبّ الخلق إلى الله سبحانه وتعالى أعظمهم ثواباً عند الله ، وأن أعظم الناس ثواباً لا يكون إلّا لأنه أشرفهم أعمالاً وأكثرهم عبادة لله تعالى ، وفي ذلك برهان على فضل أمير المؤمنين عليه السلام على الخلق كلّهم سوى النبي صلى الله عليه وآله .(٤)

---

(١) وهي الآية ١٢ من سورة المجادلة .

روى الفخر الرازي في تفسيره (٢٩ : ٢٧١) عن علي عليه السلام أنّه قال : إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي . كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم ، فكلما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت بين يدي نجواي درهماً ، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد .

وروي عن ابن جريح والكلبي وعطا ، عن ابن عباس أنهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدّقوا ، فلم يناجه أحد إلّا علي عليه السلام تصدّق بدينار ، ثم نزلت الرخصة .

قال القاضي : والأكثر في الروايات أنه عليه السلام تفرد بالتصدّق قبل مناجاته ثم ورد النسخ .

(٢) جامع أحكام القرآن ١٧ : ٣٠٣ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب ٢ : ٣٦ .

(٤) الفصول المختارة : ٩٦ .

حديث ردّ الشمس

عن أسماء بنت عميس أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى الظهر بالصهباء من أرض خيبر ثم أرسل علياً في حاجة، فجاء وقد صلّى رسول الله العصر، فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهمَّ إنّ عبدك علياً احتبس نفسه على نبيّه فردّ عليه شرقها .

قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال، فقام علي فتوضأ وصلّى العصر ثمّ غابت الشمس .[1]

شيعة علي عليه السلام

عن الشعبي، عن علي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت وشيعتك في الجنة .[2]

علي وصيّ الرسول صلى الله عليه وآله

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده، يرفعه الى سلمان انّه قال : يا رسول الله من وصيّك ؟

---

(١) جامع أحكام القرآن ١٥ : ١٩٧، وقد نقل القرطبي هذا الحديث من طريقين وقال : هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات .

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٤ .

فقال : يا سلمان، من كان وصي أخي موسى ؟

قال : يوشع بن نون .

قال : فإن وصيي ووارثي ومن يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب عليه السلام .(١)

وعن أنس بن مالك أن الرسول توضأ وصلّى ركعتين وقال له : أول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتّقين، وسيّد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيّين .

فجاء علي عليه السلام ، فقال صلى الله عليه وآله : من جاء يا أنس ؟

فقلت : علي ، فقام إليه مستبشراً فاعتنقه .(٢)

(١) الطرائف : ٢٢ .

(٢) معالم المدرستين ١ : ٢١٧ .



الفصل الثاني

بداية الخلافة



الاجتماع في المسجد

ذكر المؤرخون: أنه لما قتل عثمان اجتمع الناس في المسجد ، وكثر الندم والتأسف على عثمان ، وسقط في أيديهم ، وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان ، فقال الناس لهما : أيها الرجلان ، قد وقعتما في أمر عثمان ، فخليا عن أنفسكما ، فقام طلحة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنا والله ما نقول اليوم إلا ما قلناه أمس ، إن عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا أن نقتله وسرنا أن نكفاه ، وقد كثر فيه اللجاج ، وأمره إلى الله .

ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن الله قد رضي لكم الشورى ، فأذهب بها الهوى ، وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه ، وأما قتل عثمان فإنا نقول فيه إن أمره إلى الله ، وقد أحدث أحداثاً والله وليّه فيما كان .

فقام الناس ، فأتوا علياً في داره ، فقالوا : نبايعك ، فمد يدك ، لا بد من أمير ، فأنت أحق بها !

فقال : ليس ذلك إليكم ، إنما هو لأهل الشورى وأهل بدر ، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة ، فنجتمع وننظر في هذا الامر فأبى أن يبايعهم.[1]

(١) الامامة والسياسة ١ : ٦٥ .

أمر علي عليه السلام بالصبر

روى علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : يا علي إنما أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم فسلّموا لك هذا الأمر فاقبله منهم ، وإن لم يأتوك فلا تأتهم.[1]

بيعة أمير المؤمنين عليه السلام

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة :

وبسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككتم عليَّ تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل، وسقطت الرداء، ووطىء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت إليها الكعاب.[2]

وقد ذكر المؤرخون: انّ عثمان قتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وبويع لعلي بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة، بايعه طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمار بن ياسر وأُسامة بن زيد وسهل بن حنيف وأبو أيوب الانصاري ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وخزيمة بن ثابت وجميع من كان

(١) أسد الغابة ٤ : ٣١.

(٢) نهج البلاغة ٢ : ٢٢٢ خ ٢٢٩.

بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم.[١]

وعن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حيث قتل عثمان واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا: يا أبا الحسن، هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا فقالوا: والله ما نختار غيرك.

قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان مراراً ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلّا بإمرة وقد طال الأمر، فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلّا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت من شيء قبلناه ان شاء الله.

فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: اني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلّا أن أكون عليكم ألا وأنه ليس لي أمر دونكم، ألا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم رضيتم؟

قالوا: نعم.

قال: اللهمَّ اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك.

قال أبو بشير: وأنا يومئذ عند منبر رسول الله ﷺ قائم أسمع ما يقول.[٢]

وذكر أبو مخنف في كتاب «الجمل» أن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد رسول الله ﷺ لينظروا من يولونه أمرهم، حتى غصّ المسجد بأهله، فاتفق رأى عمار وأبى الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن عجلان وأبي أيوب

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٣١.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٥٠.

خالد بن يزيد(١) على إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ، وكان أشدّهم تهالكاً عليه عمار ، فقال لهم :

أيها الانصار ، قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه ، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم ، وإن علياً أولى الناس بهذا الأمر ، لفضله وسابقته .

فقالوا : رضينا به حينئذ ، وقالوا بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين : أيّها الناس ، إنّا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله ، وإن علياً من قد علمتم ، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه ، ولا أولى به .

فقال الناس بأجمعهم : قد رضينا ، وهو عندنا ما ذكرتم وأفضل .

وقاموا كلهم ، فأتوا علياً عليه السلام ، فاستخرجوه من داره ، وسألوه بسط يده ، فقبضها فتداكّوا عليه تداكّ الابل الهيم على وردها ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً ، فلما رأى منهم ما رأى ، سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس .

وقال : إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر . فنهض الناس معه حتى دخل المسجد ، فكان أوّل من بايعه طلحة .

فقال قبيصة بن ذؤيب الاسدي : تخوفت ألّا يتمّ له أمره ، لأن أوّل يد بايعته شلاء ، ثم بايعه الزبير ، وبايعه المسلمون بالمدينة .(٢)

---

(١) الأسماء المذكورة تعتبر من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويعتبر أو الهيثم من نقباء بيعة العقبة .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٨ .

أحداث بعد البيعة

ذكر المؤرخون: انّه بعد أن تمّت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام قام قوم من الأنصار فتكلّموا، وكان أوّل من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكان خطيب الأنصار، فقال:

والله، يا أمير المؤمنين، لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري، وهو ذو الشهادتين، فقال:

يا أمير المؤمنين! ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلّا إليك، ولئن صدقنا أنفسنا فيك، فلأنت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله، وأولى المؤمنين برسول الله، لك ما لهم، وليس لهم ما لك.

وقام صعصعة بن صوحان فقال:

والله، يا أمير المؤمنين، لقد زيّنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها.

ثمّ قام مالك بن الحارث الأشتر فقال:

أيها الناس، هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالايمان، ورسوله بجنة الرضوان. من كملت فيه الفضائل، ولم يشكّ في سابقته وعلمه وفضله الأواخر، ولا الأوائل.

ثم قام عقبة بن عمرو فقال : من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان ، والامام الأهدى الذي لا يخاف جوره ، والعالم الذي لا يخاف جهله.(١)

المتخلّفون عن البيعة

ذكر كتّاب السير: أن المسلمون بالمدينة بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ محمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عمر ، وأُسامة بن زيد ، وسعد ابن أبي وقاص ، وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، وعبد الله بن سلام(٢) .

فأمر بإحضار عبد الله بن عمر ، فقال له : بايع ، قال : لا أبايع حتى يبايع جميع الناس ، فقال له عليه السلام : فأعطني حميلاً ألا تبرح ، قال : ولا أعطيك حميلاً .

فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ، إن هذا قد أمن سوطك وسيفك ، فدعني أضرب عنقه .

فقال : لست أريد ذلك منه على كره ، خلوا سبيله ، فلما انصرف قال أمير المؤمنين عليه السلام : لقد كان صغيراً وهو سيىء الخلق ، وهو في كبره أسوأ خلقاً .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٩ .

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٤ : ٩): فأما أصحابنا فإنهم يذكرون في كتبهم أن هؤلاء الرهط إنما اعتذروا بما اعتذروا به لما ندبهم إلى الشخوص معه لحرب أصحاب الجمل ، وأنهم لم يتخلفوا عن البيعة ، وإنما تخلفوا عن الحرب .

أمّا اليعقوبي فقد ذكر في تاريخه (٢ : ١٧٨) بأنّ الذين تخلّفوا عن البيعة كانوا ثلاثة أشخاص من قريش وهم: مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة .

ثم أتى بسعد بن أبي وقاص ، فقال له : بايع ، فقال : يا أبا الحسن خلني ، فإذا لم يبق غيرى بايعتك ، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً ، فقال : صدق ، خلوا سبيله .

ثم بعث إلى محمد بن مسلمة ، فلما أتاه قال له : بايع ، قال : إن رسول الله ﷺ أمرنى إذا اختلف الناس وصاروا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد فإذا تقطع أتيت منزلي ، فكنت فيه لا أبرحه حتى تأتيني يد خاطية ، أو منية قاضية .

فقال له عليه السلام : فانطلق إذاً ، فكن كما أمرت به .

ثم بعث إلى أُسامة بن زيد ، فلما جاء قال له : بايع ، فقال : إني مولاك ولا خلاف مني عليك ، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس . فأمره بالانصراف ، ولم يبعث إلى أحد غيره .

وقيل له : ألا تبعث إلى حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن سلام !

فقال : لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا .

وروى أبو مخنف عن ابن عباس ، قال : لما دخل علي عليه السلام المسجد ، وجاء الناس ليبايعوه خفت أن يتكلم بعض أهل الشنان لعلي عليه السلام ممّن قتل أباه أو أخاه ، أو ذا قرابته في حياة رسول الله ﷺ ، فيزهد علي في الأمر ويتركه ، فكنت أرصد ذلك وأتخوفه ، فلم يتكلم أحد حتى بايعه الناس كلّهم راضين مسلّمين غير مكرهين .[1]

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٩ .

علي عليه السلام واقتراح المغيرة

قال ابن عباس: قدمت المدينة من مكة بعد قتل عثمان بخمسة أيام، فجئت علياً أدخل عليه فقيل لي عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلّم عليَّ فقال: متى قدمت؟ فقلت: الساعة، فدخلت على علي فسلّمت عليه، فقال لي: لقيت الزبير وطلحة؟

قال: قلت: لقيتهما بالنواصف.

قال: من معهما؟

قلت: أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش.

فقال علي: أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله نعلم أنهم قتلة عثمان.

قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن شأن المغيرة ولم خلا بك؟

قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال لي: أخلني، ففعلت، فقال: إن النصح رخيص وأنت بقية الناس وإني لك ناصح وإني أشير عليك برد عمّال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت.

فقلت: والله لا أدهن في ديني ولا أعطى الدني في أمري.

قال: فان كنت قد أبيت عليَّ فانزع من شئت واترك معاوية فان لمعاوية جرأة وهو في أهل الشام يسمع منه ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلّها.

فقلت : لا والله ، لا أستعمل معاوية يومين أبداً .

فخرج من عندي على ما أشار به ، ثم عاد فقال لي : إني أشرت عليك بما أشرت به فأبيت عليَّ ، ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون في أمرك دلسة .

قال : فقال ابن عباس : فقلت لعلي : أما أوّل ما أشار به عليك فقد نصحك ، وأما الآخر فغشّك ، وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية فإن بايع لك فعليَّ أن أقلعه من منزله .

قال علي : لا والله ، لا أعطيه إلّا السيف .

قال : ثم تمثّل بهذا البيت

ما ميتة إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت رجل شجاع لست بأرب بالحرب ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : الحرب خدعة .

فقال علي : بلى .

فقال ابن عباس : أما والله لئن أطعتني لأصدرنَّ بهم بعد ورد لأتركنهم ينظرون في دبر الأُمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا إثم لك .

فقال : يا ابن عباس ، لست من هنآتك وهنآت معاوية في شيء ، تشير عليَّ وأرى ، فإذا عصيتك فأطعني .

قال : فقلت : أفعل إن أيسر مالك عندي الطاعة .[1]

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٤٦١ .

في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة

ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة، استهلت هذه السنة وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة، وولى على الأمصار نواباً، فولّى عبيد الله بن عباس على اليمن، وولى سمرة بن جندب على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية، فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية، فقالوا: من أنت؟

فقال: أمير.

قالوا: على أي شيء؟

قال: على الشام.

فقالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك، وإن كان غيره فارجع.

فقال: أو ما سمعتم الذي كان؟

قالوا: بلى، فرجع إلى علي.

وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور، وقالت طائفة: لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة.

وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصدّه عنها طلحة بن خويلد غضباً لعثمان، فرجع إلى علي فأخبره، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر، واختلفت الكلمة، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلّا القليل منهم.[1]

---

(١) البداية والنهاية ٧: ٢٥٦.

وقال الطبري في موضع آخر من تاريخه: أما سهل فانه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا: من أنت ؟

قال: أمير .

وأما قيس بن سعد فانّه لما انتهى إلى «أيلة» لقيته خيل فقالوا: من أنت ؟

قال: من قالة عثمان فأنا أطلب من آوى إليه وانتصر به .

قالوا: من أنت ؟

قال: قيس بن سعد .

قالوا: امض، فمضى حتى دخل مصر فافترق أهل مصر فرقاً، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه، وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربتا وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم وإلّا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع علي ما لم يقد إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك .

وأما عثمان بن حنيف[1] فسار فلم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب، وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم، ودخلت فرقة في الجماعة، وفرقة قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا .

---

(١) عثمان بن حنيف بن واهب بن الحكيم الانصاري الاويسي أبو عمرو أو أبو عبد الله . شهد أحداً وما بعدها ، استعمله عمر على مساحة العراق واستعمله علي عليه السلام على البصرة ، فبقي عليها إلى أن قدمها طلحة والزبير وعائشة ، وسكن عثمان بعدها الكوفة وكان حيّا إلى زمان معاوية . أسد الغابة ٣: ٣٧١ .

وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بـ«زبالة» لقيه طليحة بن خويلد وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول: لهفي على أمر لم يسبقني ولم أدركه يا ليتني فيها جذع، أكر فيها وأضع، فخرج حين رجع القعقاع من اغاثة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفة فطلع عليه عمارة قادماً على الكوفة فقال له: ارجع، فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً وإن أبيت ضربت عنقك، فرجع عمارة وهو يقول: احذر الخطر ما يماسك الشر خير من شر منه، فرجع إلى علي بالخبر، وغلب على عمارة بن شهاب هذا المثل من لدن اعتاصت عليه الأمور إلى أن مات.

وانطلق عبيدالله بن عباس إلى اليمن فجمع يعلى بن أُمية[1] كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال، ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام وأتته الاخبار ورجع من رجع دعا علي طلحة والزبير فقال: إن الذي كنت أحذركم قد وقع يا قوم وإن الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته وإنها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت.

فقالا له: فأذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر وإما أن تدعنا.

فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بدّاً فآخر الداء الكي. وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى.[2]

---

(١) يعلى بن أُمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي الحنظلي، أبو صفوان؛ وقيل: أبو خالد، وهو المعروف بيعلى بن مُنية وهي أُمه، وهي مُنية بنت غزوان، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك. أسد الغابة ٥: ١٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٢.

رسالة الإمام عليه السلام إلى معاوية

وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية «سبرة الجهني»، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يجبه، وردّ رسوله وجعل كلّما تنجز جوابه لم يزد على قوله:

أدم إدامة حصن أوجدا بيدي حرباً ضروساً تشب الجزل والضرما
في جاركم وابنكم إذ كان مقتله شنعاء شيبت الاصداغ واللمما
أعيى المسود بها والسيدون فلم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما

وجعل الجهني كلما تنجز الكتاب لم يزده على هذه الأبيات حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية برجل من بني عبس ثم أحد بني رواحة يدعى «قبيصة»، فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه من معاوية إلى علي، فقال: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول وسرح رسول علي.

وخرجا فقدما المدينة في ربيع الأوّل لغرّته، فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره وخرج الناس ينظرون إليه فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض ومضى حتى دخل على علي، فدفع إليه الطومار، ففضّ خاتمه، فلم يجد في جوفه كتابة، فقال للرسول: ما وراءك؟

قال: آمن أنا.

قال: نعم.[1]

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٤.

رسالة الإمام عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري

وكتب أمير المؤمنين رسالة إلى أبي موسى الأشعري ـ الذي كان والياً على الكوفة من قبل عثمان ـ وكان رسوله إلى أبي موسى معبد الأسلمي، فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذي كان والراضي بالذي قد كان ومن بين ذلك حتى كان علي على المواجهة من أمر أهل الكوفة.[1]

ولاية مصر

لما قتل عثمان وولى علي بن أبي طالب عليه السلام الأمر دعا قيس بن سعد الأنصاري[2]، فقال له: سر إلى مصر فقد وليتكها واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك أرعب لعدوك وأعزّ لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشتد على

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٢.

(٢) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم.

قال قيس: لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المكر والخديعة في النار لكنت من أمكر هذه الأمة. وأما جوده فله فيه أخبار كثيرة، صحب علياً لما بويع له بالخلافة، وشهد معه حروبه واستعمله علي على مصر فكايده معاوية فلم يظفر منه بشيء، أتى المدينة بعد أن عزله أمير المؤمنين، فأخافه مروان بن الحكم، فسار إلى علي بالكوفة ولم يزل معه حتى قتل، فصار مع الحسن وسار في مقدمته إلى معاوية، وبعد صلح الحسن عليه السلام مع معاوية عاد قيس إلى المدينة، وتوفى سنة تسع وخمسين؛ وقيل: سنة ستين. أسد الغابة ٤: ٢١٥ ـ ٢١٦.

المريب، وارفق بالعامة والخاصة، فانّ الرفق يمن.

فقال له قيس بن سعد: رحمك الله يا أمير المؤمنين، فقد فهمت ما قلت؛ أما قولك: اخرج إليها بجند، فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا أدع ذلك الجند لك فان أنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدة لك وأنا أصير إليها بنفسي وأهل بيتي، وأما ما أوصيتني به من الرفق والاحسان فان الله عزّ وجل هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرىء على أهل مصر.

وكتب عبيد بن أبي رافع في صفر سنة ٣٦ قال: ثم إن قيس بن سعد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد ﷺ وقال: الحمد لله الذي جاء بالحقّ وأمات الباطل وكبت الظالمين، أيها الناس، أنّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا ﷺ فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عزّ وجل وسنّة رسوله ﷺ فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا، واستقامت له مصر وبعث عليها عماله إلّا أن قرية منها يقال لها «خربتا» فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان بن عفان وبها رجل من كنانة ثم من بني مدلج يقال له «يزيد بن الحارث من بني الحارث بن مدلج» فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد إنّا لا نقاتلك فابعث عمالك فالأرض أرضك، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس.

مسلمة بن مخلَّد(١)

قال الراوي: ووثب مسلمة بن مخلَّد الأنصاري من رهط قيس بن سعد، فنعى عثمان بن عفان ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس بن سعد: ويحك عليَّ تثب! فوالله ما أحب ان لي ملك الشام إلى مصر واني قتلتك، فبعث إليه مسلمة: أني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر.

قال: وكان قيس بن سعد له حزم ورأي، فبعث إلى الذين بخربتا اني لا أكرهكم على البيعة وأنا أدعكم وأكف عنكم فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلَّد وجبى الخراج ليس أحد من الناس ينازعه.

قال: وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية بن أبي سفيان لقربه من الشام مخافة أن يقبل إليه علي في أهل العراق ويقبل إليه قيس بن سعد في أهل مصر فيقع معاوية بينهما.

كتاب معاوية إلى قيس

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد وعلي بن أبي طالب يومئذٍ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين:

(١) مسلمة بن مخلَّد بن الصامت الأنصاري الخزرجي، كان مولده حين قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة مهاجراً، وكان من أصحاب معاوية وشهد معه صفين؛ وقيل: لم يشهدها، وكان فيمن شهد قتل محمد بن أبي بكر، استعمله معاوية على مصر، وتوفي سنة اثنتين وستين بالمدينة؛ وقيل: توفي آخر خلافة معاوية؛ وقيل: مات بمصر. أسد الغابة ٤ : ٣٦٤.

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد .

سلام عليك .

أما بعد ؛ فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفان في أثـره رأيـتموها أو ضربة سوط ضربها أو شتيمة رجل أو في تسييره آخر أو في استعماله الفتى فانكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يكن يحل لكم فقد ركبتم عظيماً من الأمـر وجئتم شيئاً إدّا فتب إلى الله عزّ وجل يا قيس بن سعد، فإنك كنت في المجلبين على عثمان بن عفان ان كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً، فأما صاحبك فإنّا استقينا أنه الذي أغرى به الناس وحملهم على قتله حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فـافعل، تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان وسلني غير هذا مما تحب فانك لا تسألني شيئاً إلّا أوتيته واكتب الي برأيك فيما كتبت به اليك والسلام .

كتاب قيس إلى معاوية

فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدي له أمره ولا يـتعجل له حربه فكتب إليه :

أما بعد ؛ فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان وذلك أمر لم أقارفه ولم أطف به، وذكرت أن صاحبي هو أغرى الناس بعثمان ودسهم إليه حتى قتلوه وهذا ما لم أطلع عليه وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأوّل الناس كان فيه قياماً عشيرتي، وأما ما سألتني من متابعتك وعرضت عـليَّ مـن

الجزاء به فقد فهمته وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع إليه وأنا كاف عنك ولن يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله والمستجار الله عزّ وجل.

كتاب معاوية الثاني لقيس

قال الطبري: فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلّا مقارباً مباعداً ولم يأمن أن يكون له في ذلك مباعداً مكايداً فكتب إليه معاوية أيضاً:

أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلماً ولم أرك تباعد فأعدك حرباً، أنت فيما ههنا كحنك الجزور وليس مثلي يصانع المخادع ولا ينتزع للمكايد ومعه عدد الرجال وبيده أعنة الخيل والسلام عليك.

جواب قيس لمعاوية

قال الراوي: فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماطلة أظهر له ذات نفسه فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد؛ فان العجب من اغترارك بي وطمعك في واستسقاطك رأيي، أتسومني الخروج من طاعة أولى الناس بالامرة وأقولهم للحق وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسيلة وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقولهم للزور وأضلّهم سبيلاً وأبعدهم من الله عزّ وجل

ورسوله ﷺ وسيلة، ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت إبليس، وأما قولك إني ماليء عليك مصر خيلاً ورجلاً فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم اليك إنك لذو جد والسلام. فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه وثقل عليه مكانه.(١)

عزل قيس بن سعد

وكان معاوية يحدث رجالاً من ذوي الرأي من قريش يقول: ما ابتدعت مكايدة قط كانت أعجب عندي من مكايدة كدت بها قيساً من قبل علي وهو بالعراق حين امتنع مني قيس قلت لأهل الشام: لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه فانه لنا شيعة يأتينا كيس نصيحته سراً ألا ترون ما يفعل باخوانكم الذين عنده من أهل خربتا يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم لا يستنكرونه في شيء.

قال معاوية: وهممت أن أكتب بذلك إلى شيعتي من أهل العراق فيسمع بذلك جواسيس علي عندي وبالعراق فبلغ ذلك علياً ونماه إليه محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب فلما بلغ ذلك علياً اتهم قيساً وكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتا وأهل خربتا يومئذ عشرة آلاف، فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم وكتب إلى علي إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم وقد رضوا مني أن أؤمن سربهم وأجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فلست مكايدهم بأمر أهون عليَّ وعليك من الذي أفعل بهم ولو أني غزوتهم كانوا لي قرناً

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥١ ـ ٥٥٣.

وهم أسود العرب ومنهم بسر بن أرطاة ومسلمة بن مخلّد ومعاوية بن خديج، فذرني فأنا أعلم بما أداري منهم، فأبى علي إلّا قتالهم وأبى قيس أن يقاتلهم.

فكتب قيس إلى علي إن كنت تتهمني فاعزلني عن عملك وابعث إليه غيري.

فبعث علي عليه السلام الأشتر أميراً إلى مصر حتى إذا صار بالقلزم شرب شربة عسل كان فيها حتفه، فلمّا بلغ علياً وفاة الأشتر بالقلزم بعث محمد بن أبي بكر أميراً على مصر.[١]

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٩.

الفصل الثالث

بداية نقض العهد



كتاب معاوية إلى الزبير

كتب معاوية كتاباً إلى الزبير بن العوام ، وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله الزبير أمير المؤمنين[1] من معاوية بن أبي سفيان :

سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد بايعت لك أهل الشام ، فأجابوا واستوسقوا ، كما يستوسق الجلب ، فدونك الكوفة والبصرة ، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب ، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين ، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك ، فأظهرا الطلب بدم عثمان ، وادعوا الناس إلى ذلك ، وليكن منكما الجد والتشمير ، أظفركما الله ، وخذل مناوئكما !

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سرّ به ، وأعلم به طلحة وأقرأه إياه ، فلم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية ، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام .[2]

(١) وهذا من أساليب معاوية الخبيثة في محاربته لعلي عليه السلام ، فنراه في هذه الرسالة يخاطب الزبير بن العوام بامرة المؤمنين ، ويعلن بيعته له مع أهل الشام ، وكل ذلك من أجل نقض بيعة أمير المؤمنين واثارة الصعوبات والعراقيل في بداية حكمه .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٣١ .

طلحة والزبير

وذكروا أن الزبير وطلحة أتيا علياً بعد فراغ البيعة ، فقالا : هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين ؟

قال علي : نعم ، على السمع والطاعة ، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان .

فقالا : لا ، ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر !

قال علي : لا ، ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد .

قال : وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق ، وطلحة في اليمن ، فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما شيئاً ، أظهرا الشكاة ، فتكلم الزبير في ملأ من قريش ، فقال : هذا جزاؤنا من علي ، قمنا له في أمر عثمان ، حتى أثبتنا عليه الذنب ، وسببنا له القتل ، وهو جالس في بيته وكفى الأمر ، فلما نال بنا ما أراد ، جعل دوننا غيرنا .

فقال طلحة : ما اللوم إلّا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى ، كرهه أحدنا وبايعناه ، وأعطيناه ما في أيدينا ، ومنعنا ما في يده ، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا .

قال : فانتهى قولهما إلى علي فدعا عبد الله بن عباس وكان استوزره ، فقال له : بلغك قول هذين الرجلين ؟

قال : نعم ، بلغني قولهما .

قال : فما ترى ؟

قال : أرى أنهما أحبا الولاية ، فول البصرة الزبير ، وول طلحة الكوفة ، فإنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان .

فضحك علي ، ثم قال : ويحك ، إن العراقين بهما الرجال والأموال ، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ، ويضربا الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوي بالسلطان ، ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ، ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية ، لكان لي فيهما رأي .(١)

في طلب الولاية

جاء الزبير وطلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة بأيام ، فقالا له : يا أمير المؤمنين ، قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها ، وعلمت رأي عثمان كان في بني أمية ، وقد ولاك الله الخلافة من بعده ، فولنا بعض أعمالك .

فقال لهما : ارضيا بقسم الله لكما ، حتى أرى رأيي ، واعلما أني لا أشرك في أمانتي إلّا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ، ومن قد عرفت دخيلته ، فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس .(٢)

عائشة

ذكر المؤرخون : أن عائشة لما أتاها أنه بويع لعلي ، وكانت خارجة عن

(١) الامامة والسياسة ١ : ٥١ .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٣١ .

المدينة ، فقيل لها : قتل عثمان ، وبايع الناس علياً . فقالت : ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض ، قتل والله مظلوماً[١] ، وأنا طالبة بدمه .

فقال لها عبيد[٢] : إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت ، ولقد قلت : اقتلوا نعثلاً فقد فجر[٣] !

فقالت عائشة : قد والله قلت وقال الناس ، وآخر قولي خير من أوله !

فقال عبيد : عذر والله يا أم المؤمنين . ثم قال :

منك البـداء ومـنك الغـير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بـقتل الامـام وقـلت لنـا إنـه قـد فـجر
فــهبنا أطـعناك فـي قـتله وقـــاتله عـندنا مـن أمـر

قال : فلما أتى عائشة خبر أهل الشام أنهم ردوا بيعة علي ، وأبوا أن يبايعوه ، أمرت فعمل لها هودج من حديد ، وجعل فيه موضع عينيها ، ثم خرجت ومـعها الزبير وطلحة و عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة.[٤]

---

(١) قال كلّ من صنّف في السير والأخبار : إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان ، حتى إنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنصبته في منزلها ، وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنته . انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥ .

(٢) وهو عبيد بن أبي سلمة الليثي ويقال له : عبيد ابن أُم كلاب ، وكان لاقاها قرب المدينة .

(٣) النعثل : الشيخ الأحمق ؛ ويقال : فيه نعثلة أي حمق .

قال ابن أبي الحديد : أوّل من سمى عثمان نعثلاً عائشة ، والنعثل : الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً ! انظر : لسان العرب ١١ : ٦٧٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥ .

(٤) الامامة والسياسة ١ : ٧١ .

العمرة من أجل الفتنة

دخل الزبير وطلحة على علي ﷺ، فاستأذناه في العمرة، فقال: ما العمرة تريدان، فحلفا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة، فقال لهما: ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان، وما رأيهما غير العمرة. قال لهما: فأعيدا البيعة لي ثانية، فأعاداها بأشدّ ما يكون من الايمان والمواثيق، فأذن لهما.

فلما خرجا من عنده، قال لمن كان حاضراً: والله لا ترونهما إلّا في فتنة يقتتلان فيها.

قالوا: يا أمير المؤمنين، فمر بردهما عليك.

قال: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

لما خرج الزبير وطلحة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحداً إلّا وقالا له: ليس لعلي في أعناقنا بيعة، وإنما بايعناه مكرهين.

فبلغ علياً ﷺ قولهما، فقال: ابعدهما الله وأغرب دارهما[1]، أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العمرة يريدان، ولقد أتياني بوجهي فاجرين، ورجعا بوجهي غادرين ناكثين، والله لا يلقيانني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء، يقتلان فيها أنفسهما، فبعدا لهما وسحقاً.[2]

(١) يقال: أغرب دار: أبعدها.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٣٢.

اتحاد الناكثون في مكة

خرجت عائشة نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان فلقيها رجل من أخوالها فقالت: ما وراءك ؟

قال: قتل عثمان واجتمع الناس على علي والأمر أمر الغوغاء .

فقالت: ما أظن ذلك تاماً، ردوني، فانصرفت راجعة إلى مكة حتى إذا دخلتها أتاها عبدالله بن عامر الحضرمي وكان أمير عثمان عليها فقال: ما ردّك يا أُم المؤمنين ؟

قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً[1] وأن الامر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الاسلام، فكان أوّل من أجابها عبدالله بن عامر الحضرمي وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤسهم وقام معهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية وقد قدم عليهم عبدالله بن عامر من البصرة ويعلى بن أمية من اليمن وطلحة والزبير من المدينة واجتمع ملؤهم بعد

(١) قال ابن أبي الحديد: وقد روى من طرق مختلفة أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت: أبعده الله ! ذلك بما قدمت يداه ، وما الله بظلام للعبيد .

قال: وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله ، فتحمل إلى المدينة ، قال: فسمعها تقول في بعض الطريق: إيه ذا الاصبع ! وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعده الله ! حتى أتاها خبر بيعة علي ، فقالت: لوددت أن هذه وقعت على هذه ، ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فردت معها .

قال: وروى من طرق أُخرى أنها قالت لما بلغها قتله: أبعده الله ! قتله ذنبه ، وأقاده الله بعمله ! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان ، كما سام أحمر ثمود قومه ، إن أحق الناس بهذا الامر ذو الاصبع ، فلما جاءت الأخبار ببيعة علي عليه السلام ، قالت: تعسوا تعسوا ! لا يردون الأمر في تيم أبداً . شرح نهج البلاغة ٦ : ٢١٦ .

نظر طويل في أمرهم على البصرة وقالت: أيها الناس إن هذا حدث عظيم وأمر منكر فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه فقد كفاكم أهل الشأم ما عندهم لعلّ الله عزّ وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم!!

وقد كان أزواج النبي ﷺ معها على قصد المدينة، فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك وانطلق القوم بعدها إلى حفصة، فقالت: رأيي تبع لرأي عائشة حتى إذا لم يبق إلّا الخروج قالوا: كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس فقال يعلى بن أمية: معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها.

وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهزوا به، فنادى المنادي إنّ أمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الاسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ولم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب وكانوا جميعاً ألفاً، وتجهزوا بالمال ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين.

وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبدالله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت، وبعثت إلى عائشة أن عبدالله حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر الله لعبد الله.[١]

قال الزهري: صار طلحة والزبير إلى مكة وابن عامر بها بحر الدنيا قد قدم من البصرة، وبها يعلى بن منية[٢] ومعه مال كثير قدم به من اليمن، وزيادة على أربعمائة بعير، فاجتمعوا عند عائشة فأداروا الرأي فقالوا: نسير إلى المدينة فنقاتل علياً.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٩.

(٢) وهي أمّه، وأبوه أمية التميمي.

فقال بعضهم : ليست لكم بأهل المدينة طاقة .

قالوا : فنسير إلى الشام فيه الرجال والأموال وأهل الشام شيعة لعثمان ، فنطلب بدمه ونجد على ذلك أعواناً وأنصاراً ومشايعين .

فقال قائل منهم : هناك معاوية وهو والي الشام والمطاع به ، ولن تنالوا ما تريدون ، وهو أولى منكم بما تحاولون لأنه ابن عم الرجل .

فقال بعضهم : نسير إلى العراق ، فلطلحة بالكوفة شيعة ، وللزبير بالبصرة من يهواه ويميل إليه ، فاجتمعوا على المسير إلى البصرة ، وأشار عبد الله بن عامر عليهم بذلك وأعطاهم مالاً كثيراً قوّاهم به ، وأعطاهم يعلى بن منية التميمي مالاً كثيرا وإبلاً ، فخرجوا في تسعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل .(١)

هروب مروان بن الحكم

هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة قال : وذكروا أن مروان بن الحكم لما بويع علي هرب من المدينة ، فلحق بعائشة بمكة . فقالت له عائشة : ما وراءك ؟

فقال مروان : غلبنا على أنفسنا ، فقال له رجل من أهل مكة : إياك وعلياً فقد طلبك ، ففر من بين يديه .

فقال مروان : لِم ؟ فوالله ما يجد إليَّ سبيلاً ، أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني

---

(١) انساب الأشراف : ٢٢١ .

بظن ، ولا ينصب إلا على اليقين ، وأيم الله ما أُبالي إذا قصر علي سيفه ما طال علي من لسانه .

فقال الرجل : إذا أطال الله عليك لسانه طال سيفه .

قال مروان : كلا إن اللسان أدب ، والسيف حكم .[١]

عائشة في الحجر

قال أرباب السير : فانصرفت عائشة إلى مكة فقصدت الحجر ، فاجتمع الناس إليها فقالت : أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدث سنه ـ وقد استعمل أمثالهم من قبله ـ ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام ، والله لاصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ! ! ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه والثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء .

فقال عبد الله بن عامر الحضرمي ـ وكان عامل عثمان على مكة ـ : ها أنا أوّل طالب بدمه ـ فكان أول مجيب ـ وتبعه بنو أُميّة وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة فرفعوا رؤوسهم وكان أول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن

(١) الامامة والسياسة ١ : ٥٣ .

العاص والوليد بن عتبة وسائر بني أُميّة.

وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير، ويعلى بن منية من اليمن ومعه ست مائة بعير وستة آلاف دينار فأناخ بالأبطح، وقدم طلحة والزبير من المدينة ولقيا عائشة فقالت: ما وراؤكما؟

قالا: إنا تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم.

فقالت: انهضوا إلى هذه الغوغاء.

فقالوا: نأتي الشام.

فقال ابن عامر: كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة، فاستقام الرأي على البصرة.[1]

دفاع أُمّ سلمة

أُم سلمة بنت أبي أُمية، تعتبر من أفضل نساء الرسول صلى الله عليه وآله بعد خديجة، كانت عند مقتل عثمان وبيعة أمير المؤمنين عليه السلام في مكة، وعندما اجتمع المخالفون لأمير المؤمنين على قتاله كانت تقول:

أيها الناس آمركم بتقوى الله، وإن كنتم تابعتم علياً فارضوا به فوالله ما أعرف في زمانكم خيراً منه.[2]

---

(١) بحار الأنوار ٢٣ : ١٤٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٢٢٤.

الفصل الرابع

المدينة تستعد للحرب



المدينة تستعد للحرب

عندما رفض معاوية بيعة الإمام علي ﷺ، أحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في معاوية وانتقاضه ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة أيجسر عليه أو ينكل عنه، وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس فدسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعاً إلى علي، فدخل عليه فجلس إليه ساعة ثم قال له علي: يا زياد تيسر.

فقال: لأي شيء.

فقال: تغزو الشام.

فقال زياد: الاناة والرفق أمثل.

فقال:

ومن لا يصانع في أمور كثيرة   يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل علي وكأنه لا يريده:

متى تجمع القلب الذكي وصارما   وأنفا حمياً تجتنبك المظالم

فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟

فقال: السيف يا قوم، فعرفوا ما هو فاعل.

ودعا علي محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء وولى عبدالله بن عباس ميمنته، وعمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ولاه ميسرته، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح بن أخي أبي عبيدة الجراح فجعله على مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن عباس ولم يول ممن خرج على عثمان أحداً، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس الى الشام وإلى عثمان بن حنيف والى أبي موسى مثل ذلك.

وأقبل على التهيؤ والتجهز وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة وقال:

ان الله عزّ وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح لا يهلك عنه إلّا هالك، وان المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله، وان في سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم أبداً حتى يأرز الأمر إليها، انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يفرقون جماعتكم لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الذي عليكم.

فبينا هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتمام على خلاف.(١)

عصيان الأوامر

عندما علم علي عليه السلام بتصميم طلحة والزبير وعائشة، جمع كبار أصحابه

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥.

وقام فيهم خطيباً فقال:

إن الله عزّ وجل جعل لظالم هذه الأُمة العفو والمغفرة، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة، فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل، ألا وإن طلحة والزبير وأُم المؤمنين قد تمالؤا على سخط إمارتي، ودعوا الناس إلى الاصلاح وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكف إن كفوا، وأقتصر على ما بلغني عنهم ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والاصلاح فتعبي للخروج إليهم وقال: إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وما كان عليهم في المقام فينا مؤونة ولا إكراه. فاشتد على أهل المدينة الأمر فتثاقلوا.[١]

ثم إن زياد بن حنظلة لما رأى تثاقل الناس عن علي ابتدر إليه وقال: من تثاقل عنك فإنّا نخف معك ونقاتل دونك.[٢]

وأجابه رجلان من أعلام الأنصار، هما أبو الهيثم بن التيهان[٣] وهو بدري، وخزيمة بن ثابت[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٥.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل: ١١١.

(٣) أبو الهيثم، مالك بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، شهد العقبة وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ومات سنة عشرين أو احدى وعشرين؛ وقيل: انه أدرك صفين وشهدها مع علي وقتل بها وهو الأكثر. انظر: أسد الغابة ٥: ٣١٨.

(٤) أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الاوسي، من السابقين الأولين، شهد بدراً وما بعدها، وهو ذو الشهادتين، جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، وشهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين، واستشهد في صفين سنة ٣٧ هـ، روى عن النبي ﷺ وروى عنه ابنه، وعمر بن ميمون، وإبراهيم بن سعد. انظر: أسد الغابة ٢: ١١٤، الاصابة في تمييز الصحابة ١: ٤٢٥، سير اعلام النبلاء ٢: ٤٨٥.

وقال أبو قتادة الانصاري لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قلّدني هذا السيف وقد اغمدته زماناً وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لا يألون الأُمّة غشّاً، وقد أحببت ان تقدّمني فقدّمني.(١)

روى أبو مخنف في كتابه الذي صنفه في حرب البصرة عن أصحابه، وروى غيره من أمثاله الرواة للسيرة عن سلفهم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: لما همّ بالمسير إلى البصرة بلغه عن سعد أبن أبي وقاص وابن مسلمة وأُسامة بن زيد وابن عمر تثاقلهم عنه فبعث إليهم، فلما حضروا قال لهم: قد بلغني عنكم هنات كرهتها وأنا لا أكرهكم على المسير معي على بيعتي.

قالوا: بلى.

قال: فما الذي يقعدكم عن صحبتي؟

فقال له سعد: إني أكره الخروج في هذا الحرب فاصيب مؤمناً فان أعطيتني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك.

وقال له أُسامة: أنت أعز الخلق عليَّ ولكني عاهدت الله أن لا اقاتل أهل لا إله إلا الله، وكان اسامة قد أهوى برمحه في عهد رسول الله إلى رجل في الحرب من المشركين فخافه الرجل فقال: لا إله إلا الله فشجره بالرمح فقتله فبلغ النبي صلى الله عليه وآله خبره، فقال: يا اسامة أقتلت رجلاً يشهد ان لا إله إلا الله؟

فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً.

فقال له: ألا شفقت عن قتله، فزعم اسامة أن النبي صلى الله عليه وآله أمره أن يقاتل بالسيف من قاتل المشركين، فإذا قوتل به المسلمون ضرب بسيفه الحجر فكسره.

---

(١) الجمل: ١١١.

وقال عبد الله بن عمر: لست أعرف في هذه الحرب شيئاً أسألك أن لا تحملني على ما لا أعرف.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: ليس كل مفتون معاتب، ألستم على بيعتي؟

قالوا: بلى.

قال: انصرفوا فسيغنيني الله عنكم.[1]

كتاب مالك الأشتر

كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة:

أما بعد، فإنك ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أمرك أن تقري في بيتك، فإن فعلت فهو خير لك، فإن أبيت إلا أن تأخذي منسأتك، وتلقي جلبابك، وتبدي للناس شعيراتك، قاتلتك حتى أردك إلى بيتك، والموضع الذي يرضاه لك ربّك.

جواب عائشة

فكتبت إليه في الجواب:

أما بعد فإنك أول العرب شب الفتنة، ودعا إلى الفرقة وخالف الائمة، وسعى في قتل الخليفة، وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك، وفهمت ما فيه، وسيكفينيك الله، وكل

---

(١) الجمل، للشيخ المفيد: ٤٥.

من أصبح مماثلاً لك في ضلالك وغيّك ، إن شاء الله .[١]

حديث عائشة وأمّ سلمة

قال أبو مخنف : جاءت عائشة إلى أُم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان ، فقالت لها : يا بنت أبي أمية ، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك .

فقالت أم سلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة ؟

فقالت عائشة : إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان ، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام ، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير ، وطلحة ، فاخرجي معنا ، لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا بنا .

فقالت أم سلمة : إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان ، وتقولين فيه أخبث القول ، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً ، وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبى طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، أفاذكرك ؟

قالت : نعم .

قالت : أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه ، حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال ، خلا بعلي يناجيه ، فأطال ، فأردت أن تهجمي عليهما ، فنهيتك فعصيتني ، فهجمت عليهما ، فما لبثت أن رجعت بأكيد ، فقلت : ما شأنك ؟ فقلت : إني هجمت

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٥ .

عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي، ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومي! فأقبل رسول الله ﷺ عليَّ، وهو غضبان محمر الوجه، فقال: ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الايمان، فرجعت نادمة ساقطة!

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ، وأنت تغسلين رأسه، وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس[1] يعجبه، فرفع رأسه، وقال: يا ليت شعري، أيتكن صاحبة الجمل الأذنب، تنبحها كلاب الحوأب، فتكون ناكبة عن الصراط! فرفعت يدى من الحيس، فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك، وقال: إياك أن تكونيها يا حميراء، أما أنا فقد أنذرتك.

قالت عائشة: نعم، أذكر هذا.

قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد، ثم قالا: يا رسول الله، إنا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعاً؟

فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثم خرجا، فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ، قلت له، وكنت أجرأ عليه منا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟

---

(١) الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه.

فقال : خاصف النعل ، فنظرنا فلم نر أحداً إلا علياً ، فقلت : يا رسول الله ، ما أرى إلا علياً .

فقال : هو ذاك .

فقالت عائشة : نعم ، أذكر ذلك .

فقالت : فأي خروج تخرجين بعد هذا ؟ !

فقالت : إنما أخرج للاصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله .

فقالت : أنت ورأيك .

فانصرفت عائشة عنها ، وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى علي عليه السلام.[1]

رواية حذيفة

عن حذيفة قال : لتعملن بعمل بني إسرائيل ! فلا يكون فيهم شيء إلّا كان فيكم مثله .

فقال رجل : يكون فينا قردة وخنازير ؟

قال : وما يبرئك من ذلك ـ لا أُمّ لك ـ ؟

قالوا : حدثنا يا أبا عبد الله !

قال : لو حدثتكم لافترقتم على ثلاث فرق : فرقة تقاتلني ، وفرقة لا تنصرني ، وفرقة تكذبني ! أما ! أني سأحدثكم ولا أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أرأيتكم لو حدثتكم أنكم تأخذون كتابكم فتحرقونه وتلقونه في الحشوش

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢١٧ .

صدقتموني ؟

قالوا : سبحان الله ! ويكون هذا ؟

قال : أرأيتكم لو حدثتكم أنكم تكسرون قبلتكم صدقتموني ؟

قالوا : سبحان الله ويكون هذا ؟

قال : أرأيتكم لو حدثتكم أن أُمّكم تخرج في فرقة من المسلمين وتقاتلكم صدقتموني ؟

قالوا : سبحان الله ! ويكون هذا .[١]

من أخبر عن المؤامرة ؟

وبعثت أم الفضل بنت الحارث[٢] رجلاً من جهينة يدعى ظفراً، فاستأجرته على أن يطوي ويأتي علياً بكتابها، فقدم على علي عليه السلام بكتاب أم الفضل بالخبر.[٣]

إلى البصرة

لقد ذكرنا فيما مضى انّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله كنَّ مع عائشة على قصد المدينة،

---

(١) كنز العمال ١١ : ٣٤١ ح ٣١٦٩٣.

(٢) هي لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية، أُمّ الفضل، وهي زوج العباس بن عبد المطلب وأُم الفضل وعبد الله ومعبد وعبيد الله وقثم وعبد الرحمن وغيرهم من بني العباس، وهي لبابة الكبرى وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وخالة خالد بن الوليد. يقال انها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، وكان النبي صلى الله عليه وآله يزورها ويقيل عندها. انظر: أسد الغابة ٥ : ٥٣٩.

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٤٧٠.

فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك وانطلق القوم بعدها إلى حفصة التي كانت راغبة في الذهاب مع عائشة لولا عبدالله بن عمر الذي منعها من الخروج.

وعند قررت عائشة الخروج إلى البصرة قال لها أنصارها: كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس، فقال يعلى بن منية: معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها.

وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهزوا به، فنادى المنادي إنّ أُمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الاسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ولم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب وكانوا جميعاً ألفاً، وتجهزوا بالمال ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين إلى البصرة، فخرجوا في تسعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل.[١]

خطبة علي عليه السلام

وذكر أبو مخنف في كتاب الجمل: أن علياً عليه السلام خطب لما سار الزبير وطلحة من مكة، ومعهما عائشة يريدون البصرة، فقال: أيها الناس، إن عائشة سارت إلى البصرة، ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فختنها، والله لو ظفروا بما أرادوا ـ ولن ينالوا ذلك ابداً ـ ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد.

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٠، انساب الأشراف: ٢٢١.

والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلّا في معصية الله وسخطه ، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة ، أي والله ليقتلن ثلثهم ، وليهربن ثلثهم ، وليتوبن ثلثهم ، وإنها التي تنبحها كلاب الحوأب ، وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان . وربّ عالم قتله جهله ، ومعه علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ! فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية ، أين المحتسبون ؟ أين المؤمنون ؟ ما لي ولقريش ! أما والله لقد قتلتهم كافرين ، ولأقتلنهم مفتونين ! وما لنا إلى عائشة من ذنب إلّا أنا أدخلناها في حيزنا ، والله لأبقرن الباطل ، حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقريش فلتضج ضجيجها . ثم نزل .[١]

نصيحة سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة

ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس[٢] ، من أرض خيبر ، أقبل عليهم سعيد بن العاصي على نجيب له ، فأشرف على الناس ، ومعه المغيرة بن شعبة ، فنزل وتوكأ على قوس له سوداء ، فأتى عائشة ، فقال لها : أين تريدين يا أُم المؤمنين ؟

قالت : أريد البصرة .

قال : وما تصنعين بالبصرة ؟

قالت : أطلب بدم عثمان .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٣٣ .

(٢) أوطاس واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين . البداية والنهاية ٤ : ٣٦٩ .

قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك .

ثم أقبل على مروان فقال له : وأنت أين تريد أيضاً ؟

قال : البصرة .

قال : وما تصنع بها ؟

قال : أطلب قتلة عثمان .

قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ، إن هذين الرجلين قتلا عثمان «طلحة والزبير» ، وهما يريدان الأمر لأنفسهما ، فلما غلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم ، والحوبة بالتوبة .

ثم قال المغيرة بن شعبة : أيها الناس ، إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم ، فارجعوا بها خيرا لكم ، وإن كنتم غضبتم لعثمان ، فرؤساؤكم قتلوا عثمان ، وإن كنتم نقمتم على علي شيئاً ، فبيّنوا ما نقمتم عليه ، أنشدكم الله فتنتين في عام واحد ، فأبوا إلّا أن يمضوا بالناس ، فلحق سعيد بن العاص باليمن ، ولحق المغيرة بالطائف ، فلم يشهد شيئاً من حروب الجمل ولا صفين .[١]

جمل عائشة

لما عزمت عائشة ، على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيراً أيداً يحمل هودجها ، فجاءهم يعلى بن أُميّة ببعيره المسمّى عسكراً[٢] ، وكان عظيم الخلق

(١) الامامة والسياسة ١ : ٥٩ .

(٢) عسكر : اسم جمل عائشة اشتراه يعلى بن منيه عامل عثمان على اليمن وقد هرب منها

شديداً ، فلما رأته أعجبها ، وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته ، ويقول في أثناء كلامه : (عسكر) ، فلمّا سمعت هذه اللفظة ، استرجعت ، وقالت : ردوه لا حاجة لي فيه ، وذكرت حيث سئلت أن رسول الله ذكر لها هذا الاسم ، ونهاها عن ركوبه ، وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه ، فغير لها بجلال غير جلاله ، وقيل لها : قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً ، وأشد قوة ، وأتيت به فرضيت.[1]

قال صفوان بن قبيصة الأحمسي : قال حدثني العرني صاحب الجمل قال: بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل تبيع جملك ؟

قلت: نعم . قال: بكم ؟ قلت: بألف درهم !

قال: مجنون أنت، جمل يباع بألف درهم !

قال: قلت: نعم، جملي هذا . قال: وممّ ذلك ؟

قلت: ما طلبت عليه أحداً قط إلّا أدركته ولا طلبني وأنا عليه أحد قط إلّا فتّه .

قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا .

قلت: ولمن تريده ؟ قال: لأُمّك .

قلت: لقد تركت أُمي في بيتها قاعدة ما تريد براحاً !

قال: إنما أريده لأُم المؤمنين عائشة.

عند بيعة الامام عليه السلام بالخلافة ، فأتى مكة وصادف فيها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم واخرين من بني امية ، فأعطى عائشة وطلحة والزبير اربعمائة الف درهم ، وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا ، وكان قد اشتراه بمائتي دينار . انظر : الجمل : ٤٧ ، مروج الذهب ٣: ٣٦٦ .

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٤ .

قلت: فهو لك فخذه بغير ثمن.

قال: لا، ولكن ارجع معنا إلى الرحل فلنعطك ناقة مهرية ونزيدك دراهم.

قال: فرجعت فأعطوني ناقة لها مهرية وزادوني أربعمائة أو ستمائة درهم، فقال لي: يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق؟

قال: قلت: نعم، أنا من أدرك الناس.

قال: فسر معنا، فسرت معهم فلا أمر على واد ولا ماء إلّا سألوني عنه حتى طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها قالوا: أي ماء هذا؟

قلت: ماء الحوأب.

قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً ردوني ـ تقول ذلك ثلاثاً ـ فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب.[1]

الحوأب[2]

وسمعت عائشة في طريقها نباح كلاب فقالت: ما يقال لهذا الماء الذي نحن به؟

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٥.

(٢) الحوأب ـ بالفتح ثم السكون وهمزة مفتوحة وباء موحدة ـ: موضع في طريق البصرة. مراصد الاطلاع: ١: ٤٣٣.

قالوا : الحوأب .

فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ردّوني ردّوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : أيتكن ينبحها كلاب الحوأب .

وعزمت على الرجوع ، فأتاها عبد الله بن الزبير فقال : كذب من زعم أن هذا الماء الحوأب ، وجاء بخمسين من بني عامر فشهدوا وحلفوا على صدق عبد الله .[1]

الشهادة الكاذبة

قال أبو مخنف : لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة ، طرقت ماء الحوأب ، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة ، فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم ، فقال قائل منهم : لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها .

فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب ، قالت : أهذا ماء الحوأب ؟

قالوا : نعم .

فقالت : ردّوني ردّوني . فسألوها ما شأنها ؟ ما بدا لها ؟

فقالت : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب ، قد نبحت بعض نسائي ، ثم قال لي : إياك يا حميراء أن تكونيها ؟

فقال لها الزبير : مهلا يرحمك الله ، فإنّا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة .

فقالت : أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب ؟

(١) أنساب الأشراف : ٢٢٤ .

فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جعلاً، فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب، فكانت هذه أول شهادة زور في الاسلام[١]. فسارت عائشة لوجهها.[٢]

وذكر ابن خلدون: وأركب يعلى بن منية عائشة جملاً اسمه عسكر اشتراه بمائة دينار؛ وقيل: بثمانين؛ وقيل: بل كان لرجل من عرينة عرض لهم بالطريق على جمل فاستبدلوا به جمل عائشة على ان حمله بألف فزادوه أربعمائة درهم وسألوه عن دلالة الطريق فدلّهم ومرّ بهم على الماء الحوأب فنبحتهم كلابه وسألوه عن الماء فعرفهم باسمه، فقالت عائشة: ردّوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب؟

ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وأقامت بها يوماً وليلة إلى أن قيل: النجاء النجاء، قد أدرككم علي، فارتحلوا نحو البصرة.[٣]

وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لنسائه: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب التي تنبحها كلاب الحوأب[٤]، فيقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثيرة ثم تنجو بعد ما كادت.[٥]

---

(١) قال الكليني: ألا وإن أول شهادة زور وقعت في الاسلام شهادتهم أن صاحبهم مستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان من أمر سعد بن عبادة ما كان رجعوا عن ذلك وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله مضى ولم يستخلف، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله الطيب المبارك أوّل مشهود عليه بالزور في الاسلام. الكافي ٨: ٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٣١٠.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٥.

(٤) الحوأب: ماء لبني عامر.

(٥) معاني الأخبار: ٣٠٥.

وقوله: تنجو بعدما كادت: أي تنجو بعد ما كادت تهلك.

رسالة عائشة إلى حفصة

ولما نزل علي ﷺ ذا قار ، كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر : أما بعد فاني أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار ، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا ، فهو بمنزلة الأشقر ، إن تقدم عقر ، وإن تأخر نحر .

فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف ، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن :

ما الخبر ما الخبر ، علي في السفر ، كالفرس الأشقر ، إن تقدم عقر ، وإن تأخر نحر .

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء . فبلغ أُم كلثوم بنت علي ﷺ ، فلبست جلابيبها ، ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ، ثم أسفرت عن وجهها ، فلما عرفتها حفصة خجلت ، واسترجعت ، فقالت أُم كلثوم : لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم ، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل ، فأنزل الله فيكما ما أنزل .

فقالت حفصة : كفي رحمك الله ، وأمرت بالكتاب فمزق ، واستغفرت الله .[1]

رسولا ابن حنيف

قال الراوي : وذكروا أن طلحة والزبير لما نزلا البصرة ، قال عثمان بن حنيف : نعذر إليهما برجلين ، فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله ، وأبا

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٤ : ١٣ .

الأسود الدؤلي ، فأرسلهما إلى طلحة والزبير ، فذهبا إليهما فناديا : يا طلحة فأجابهما ، فتكلم أبو الأسود الدؤلي ، فقال : يا أبا محمد ، إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله ، وبايعتم علياً غير مؤامرين في بيعته ، فلم نغضب لعثمان إذ قتل ، ولم نغضب لعلي إذ بويع ، ثم بدا لكم ، فأردتم خلع علي ، ونحن على الأمر الأول ، فعليكم المخرج مما دخلتم فيه .

ثم تكلم عمران ، فقال : يا طلحة ، إنكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ، ثم بايعتم علياً وبايعنا من بايعتم ، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا ؟ وإن كان خطأ فحظكم منه الأوفر ، ونصيبكم منه الأوفى .

فقال طلحة : يا هذان إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر غيره ، وليس على هذا بايعناه ، وايم الله ليسفكن دمه .

فقال أبو الاسود : يا عمران ، أما هذا فقد صرح أنه إنما غضب للملك .

ثم أتيا الزبير فقالا : يا أبا عبد الله ، إنا أتينا طلحة ، قال الزبير : إن طلحة وإياي كروح في جسدين ، وإنه والله يا هذان ، قد كانت منا في عثمان فلتات ، احتجنا فيها إلى المعاذير ، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه .

ثم أتيا فدخلا على عائشة ، فقالا : يا أُم المؤمنين ، ما هذا المسير ؟ أمعك من رسول الله به عهد ؟

قالت : قتل عثمان مظلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ، ولا نغضب لعثمان من القتل .

فقال أبو الأسود : وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا ؟

فقالت : يا أبا الأسود ، بلغني أن عثمان بن حنيف يريد قتالي .

فقال أبو الاسود ، نعم والله قتالاً أهونه تندر منه الرؤوس .(١)

الحقيقة المرّة

وأقبل غلام من جهينة إلى محمد بن طلحة ، فقال له : حدثني عن قتلة عثمان .

قال : نعم ، دم عثمان على ثلاثة أثلاث ، ثلث على صاحبة الهودج ، وثلث على صاحب الجمل الأحمر ، وثلث على علي بن أبي طالب .

فضحك الجهيني ، ولحق بعلي بن أبي طالب ، وبلغ طلحة قول ابنه محمد ، وكان محمد من عباد الناس ، فقال له : يا محمد ، أتزعم عنا قولك إني قاتل عثمان ، كذلك تشهد على أبيك ؟ كن كعبد الله بن الزبير ، فو الله ما أنت بخير منه ، ولا أبوك بدون أبيه ، كف عن قولك ، وإلاّ فارجع فإن نصرتك نصرة رجل واحد ، وفسادك فساد عامة .

فقال محمد : ما قلت إلاّ حقاً ، ولن أعود .(٢)

كتاب الناكثين إلى عثمان بن حنيف والي البصرة

عن ابن عباس : أن الزبير وطلحة أغذا(٣) السير بعائشة ، حتى انتهوا إلى

---

(١) الامامة والسياسة ١ : ٦١ .

(٢) الامامة والسياسة ١ : ٦١ .

(٣) الاغذاذ : الاسراع .

حفر أبي موسى الأشعري ، وهو قريب من البصرة وكتبا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري ، وهو عامل علي عليه السلام على البصرة : أن أخل لنا دار الامارة ، فلما وصل كتابهما إليه بعث الأحنف بن قيس ، فقال له : إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله ، والناس إليها سراع كما ترى .

فقال الأحنف : إنهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان ، وهم الذين ألبوا على عثمان الناس ، وسفكوا دمه وأراهم والله لا يزايلون حتى يلقوا العداوة بيننا ، ويسفكوا دماءنا ، وأظنهم والله سيركبون منك خاصة مالا قبل لك به ، إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة فإنك اليوم الوالي عليهم ، وأنت فيهم مطاع ، فسر إليهم بالناس ، وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة ، فيكون الناس لهم أطوع منهم لك !

فقال عثمان بن حنيف : الرأي ما رأيت ، لكنني أكره الشر ، وأن أبدأهم به وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به .

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدي من بني عمرو بن وديعة ، فأقرأه كتاب طلحة والزبير فقال له مثل قول الأحنف ، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف ، فقال له حكيم : فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين ، وإلّا نابذتهم على سواء .

فقال عثمان : لو كان ذلك رأيي لسرت إليهم نفسي .

قال حكيم : أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس إليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم . فأبى عليه عثمان .[1]

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٩ : ٣١١ .

كتاب أمير المؤمنين وهو في الربذة عليه السلام إلى واليه على البصرة

قال : وكتب علي عليه السلام إلى عثمان لما بلغه مشارفة القوم البصرة .

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف أما بعد :

فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا ، وتوجهوا إلى مصرك ، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به . والله أشد بأساً ، وأشد تنكيلاً فإذا قدموا عليك فأدعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه ، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك ، وإن أبَو إلّا التمسك بحبل النكث والخلاف ، فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين .

وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة ، وأنا معجل المسير إليك إن شاء الله .

أبو الأسود وعمران بن حصين

قال : فلما وصل كتاب علي عليه السلام إلى عثمان ، أرسل إلى أبي الاسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي ، فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم ، وما الذي أقدمهم ! فانطلقا حتى إذا أتيا حفر أبي موسى ، وبه معسكر القوم ، فدخلا على عائشة ، فنالاها ووعظاها ، وأذكراها وناشداها الله ، فقالت لهما : القيا طلحة والزبير .

فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلماه ، فقال لهما : إنا جئنا للطلب بدم عثمان ، وندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى ، ليختار الناس لأنفسهم .

فقالا له : إن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها ، وأنت تعلم قتلة عثمان

من هم ، وأين هم ! وإنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه ، وأعظمهم إغراء بدمه ، فأقيدوا من أنفسكم . وأما إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين !

وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنت آخذ قائم سيفك ، تقول : ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى بها منه ! وامتنعت من بيعة أبي بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول !

فقال لهما : اذهبا فالقيا طلحة ، فقاما إلى طلحة فوجداه أخشن الملمس ، شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب ، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف ، فأخبراه وقال له أبو الأسود :

يا بن حنيف قد أتيت فانفر   وطاعن القوم وجالد واصبر

وابرز لها مستلئماً وشمر

فقال ابن حنيف : أي والحرمين لأفعلن ، وأمر مناديه فنادى في الناس : السلاح السلاح ! فاجتمعوا إليه ، وقال أبو الأسود :

أتينا الزبير فداني الكلام   وطلحة كالنجم أو أبعد

وأحسن قوليهما فادح   يضيق به الخطب مستنكد

وقد أوعدونا بجهد الوعيد   فأهون علينا بما أو عدوا

فقلنا ركضتم ولم ترملوا   وأصدرتم قبل أن توردوا

فإن تلقحوا الحرب بين   الرجال فملقحها حده الانكد

وإن علياً لكم مصحر   ألا إنه الأسد الاسود

أمـــا إنـــه ثـــالث العـــابدين بـــــمكة والله لا يــــعبد
فرخوا الخـناق ولا تـعجلوا فـــإن غـــدا لكـــم مـــوعد

الناكثون في المربد(١)

قال : وأقبل القوم ، فلما انتهوا إلى المربد ، قام رجل من بني جشم ، فقال : أيها الناس أنا فلان الجشمي ، وقد أتاكم هؤلاء القوم ، فإن كانوا أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع ، وإن كانوا إنما أتوكم بطلب دم عثمان ، فغيرنا ولى قتله . فأطيعوني أيها الناس وردوهم من حيث أقبلوا ، فـإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقى ولا تذر .

قال : فحصبه ناس من أهل البصرة ، فأمسك .

قال : واجتمع أهل البصرة إلى المربد حتى ملئوه مشاة وركباناً ، فقام طلحة فأشار إلى الناس بالسكون ليخطب ، فسكتوا بعد جهد .

فقال : أما بعد ، فإن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة ، ومن المهاجرين الأولين الذي رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ونزل القرآن ناطقاً بفضلهم ، وأحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله ﷺ ،

---

(١) المربد في اللغة : كل شيء حبست فيه الابل والغنم . وكان مربد البصرة موجوداً قبل الاسلام وصارت له أهمية كبيرة بعد تخطيط البصرة من بعد الفتح الاسلامي فقد أصبحت من أشهر محال البصرة وكانت إلى جهة الباب الغربي منها . وكانت تحط فيها القوافل الآتية من البادية . ثم صارت سوقاً للأدب والدعوات الساسية . فكانت صورة معدلة عن سوق عكاظ ، وفيها دفن طلحة والزبير . راجع : معجم البلدان ٥ : ٩٨ .

وقد كان أحدث أحداثاً نقمناها عليه ، فأتيناه فاستعتبناه فأعتبنا ، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأُمة أمرها غصباً بغير رضاً منها ولا مشورة ، فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار ، فقتل محرماً بريئاً تائباً .

وقد جئناكم أيها الناس نطلب بدم عثمان ، وندعوكم إلى الطب بدمه ، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به ، وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين ، وكانت خلافة رحمة للأُمة جميعاً ، فإن كل من أخذ الأمر من غير رضا من العامة ولا مشورة منها ابتزازاً ، كان ملكه ملكاً عضوضاً ، وحدثاً كثيراً .

ثم قام الزبير ، فتكلم بمثل كلام طلحة . فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما : ألم تبايعا علياً فيمن بايعه ؟ ففيم بايعتما ثم نكثتما !

فقالا : ما بايعنا ، وما لأحد في أعناقنا بيعة ، وإنما استكرهنا على بيعة .

فقال ناس : قد صدقا وأحسنا القول ، وقطعا بالثواب .

وقال ناس : ما صدقا ولا أصابا في القول ، حتى ارتفعت الأصوات .[1]

خطبة عائشة

قال المؤرخون : ثم أقبلت عائشة على جملها ، فنادت بصوت مرتفع : أيها الناس ، أقلوا الكلام واسكتوا ، فأسكت الناس لها ، فقالت : إن أمير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة ، حتى قتل مظلوماً تائباً ، وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط ، وتأميره الشبان ، وحمايته موضع الغمامة ، فقتلوه

(١) ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ج ٩ ص ٣١٤ :

محرماً في حرمة الشهر وحرمة البلد ، ذبحاً كما يذبح الجمل .

ألا وإن قريشاً رمت غرضها بنبالها ، وأدمت أفواهها بأيديها ، وما نالت بقتلها إياه شيئاً ، ولا سلكت به سبيلاً قاصداً ، أما والله ليرونها بلايا عقيمة تنتبه النائم ، وتقيم الجالس ، وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم ، ويسومونهم سوء العذاب .

أيها الناس ، إنه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه ! مصتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعده توبته وخروجه من ذنبه ، وبايعتم ابن أبي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازاً وغصباً . تراني أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ، ولا أغضب لعثمان من سيوفكم، ألا إن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته ، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان .

قال : فماج الناس واختلطوا ، فمن قائل : القول ما قالت ، ومن قائل يقول : وما هي وهذا الأمر ، إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها ! وارتفعت الأصوات ، وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال ، وتراموا بالحصى .

ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين : فريق مع عثمان بن حنيف ، وفريق مع عائشة وأصحابها .

طلّاب الدنيا

قال أبو الخليل : لما نزل طلحة والزبير المربد ، أتيتهما فوجدتهما مجتمعين ،

فقلت لهما : ناشدتكما الله وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ! ما الذي أقدمكما أرضنا هذه ؟ فلم يتكلما ، فأعدت عليهما ، فقالا : بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا ، فجئنا نطلبها .[١]

رسالة طلحة والزبير قبل مقتل عثمان

قال الراوي : وأتاهما ـ أي طلحة والزبير ـ عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة[٢] بكتب كانا كتباها إليه ، فقال لطلحة : يا أبا محمد ، أما هذا كتبك إلينا ؟

قال : بلى .

قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله ، حتى إذا قتلته ، أتيتنا ثائراً بدمه ! فلعمري ما هذا رأيك ، لا تريد إلا هذه الدنيا . مهلاً ! إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضياً ، ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك !

فقال : إن علياً دعاني إلى بيعته بعدما بايع الناس فعلمت لو لم أقبل ما عرضه عليَّ لم يتم لي ، ثم يغري بي من معه .[٣]

خطاب عثمان بن حنيف

قال الراوي : ثم أصبحنا من غد فصفا للحرب ، وخرج عثمان بن حنيف

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣١٦ ـ ٣١٧ .

(٢) السَبْخَة ـ بالتحريك ـ : الأرض الملحة النازة ، موضع بالبصرة . مراصد الاطلاع ٢ : ٦٨٨ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ : ٣١٨ .

إليهما في أصحابه فناشدهما الله والاسلام ، وأذكرهما بيعتهما علياً عليه السلام فقالا : نطلب بدم عثمان.

فقال لهما : وما أنتما وذاك أين بنوه ؟ أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم ! كلا والله ولكنكما حسدتماه ، حيث اجتمع الناس عليه ، وكنتما ترجوان هذا الأمر ، وتعملان له ! وهل كان أحد أشد على عثمان قولاً منكماً فشتماه شتماً قبيحاً ، وذكر أُمه ، فقال للزبير : أما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله فإنها أدنتك إلى الظل ، وأن الأمر بيني وبينك ـ يا بن الصعبة ـ يعني طلحة ـ أعظم من القول ـ لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما .

اللهمَّ إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين ! ثم حمل عليهم ، واقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح .

كتاب الصلح

أمّا كتاب الصلح الذي اتفقوا عليه فهو :

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما ، أن لعثمان بن حنيف دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر ، وأن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة ، ولا يضار بعضهم بعضاً في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق ، حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .(١)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣١٨ .

جارية بن قدامة[١]

قال القاسم بن محمد: وأقبل جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أُم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك فانه يرى قتلك إن كنت أتيتينا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتينا مستكرهة فاستعيني بالناس.

قال: فخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير فقال: أما أنت يا زبير فحواري رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وآله بيدك وأرى أُمكما معكما، فهل جئتما بنسائكما ؟

قالا: لا.

قال: فما أنا منكما في شيء، واعتزل.

وقال السعدي في ذلك:

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم ... هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها ... فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطي والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبر عنهم والكافي[٢]

---

(١) جارية بن قدامة بن مالك بن زهير التميمي السعدي، اختلفوا في ادراكه النبي، شهد حروب علي عليه السلام، وهو الذي حصر عبد الله بن الحضرمي بالبصرة وحرق عليه الدار بالبصرة لما أرسله معاوية إليها. أسد الغابة ١: ٢٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٥.

الخيانة ونقض العهد عند الناكثين

قال أرباب السير : ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال لأصحابه : الحقوا رحمكم الله بأهلكم ، وضعوا سلاحكم ، وداووا جرحاكم ، فمكثوا كذلك أياماً .

ثم إن طلحة والزبير قالا : إن قدم علي ونحن على هذه الحال من القلّة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب ، فأرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف ، يدعوانهم إلى الطلب بدم عثمان ، وخلع علي ، وإخراج ابن حنيف من البصرة . فبايعهم على ذلك الأزد وضبّة وقيس بن عيلان كلّها إلّا الرجل والرجلين من القبيلة ، كرهوا أمرهم فتواروا عنهم ، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره ، فتوارى عنهما ، فقالت له أمة : ما رأيت مثلك ! أتاك شيخاً قريش فتواريت عنهما ! فلم تزل به حتى ظهر لهما ، وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلّهم وبنو حنظلة إلّا بني يربوع ، فإن عامتهم كانوا شيعة علي عليه السلام وبايعهم بنو دارم كلّهم إلّا نفرا من بني مجاشع ذوي دين وفضل .

فلما استوسق لطلحة والزبير أمرهما ، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ، ومعهما أصحابهما ، قد ألبسوهم الدروع ، وظاهروا فوقها بالثياب ، فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر ، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه ، وأقيمت الصلاة ، فتقدم عثمان ليصلّي بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير ، وقدموا الزبير فجاءت السبابجة[1] ، وهم الشرط حرس بيت المال . فأخرجوا الزبير ، وقدموا عثمان ،

---

(١) قال ابن أبي الحديد : السبابجة لفظة معربة قد ذكرها الجوهري في كتاب «الصحاح» ، وهم

فغلبهم أصحاب الزبير، فقدموا الزبير وأخروا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع، وصاح بهم أهل المسجد : ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس ! فغلب الزبير فصلّى بالناس، فلما انصرف من صلاته، صاح بأصحابه المتسلحين : أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما، فلما أسر ضُرِب ضَرب الموت، ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه، وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً، فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة فقالت لأبان بن عثمان : اخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله.

فنادى عثمان : يا عائشة، ويا طلحة ويا زبير، إن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم، فلا يبقى أحداً منكم. فكفوا عنه، وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة، فتركوه.

وأرسلت عائشة إلى الزبير أن أقتل السبابجة فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك.

قال : فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، وولى ذلك منهم عبد الله ابنه، وهم سبعون رجلاً وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا : لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً.

قال أبو مخنف : فحدثنا المقعب بن زهير، قال : كانت القتلى من السبابجة يومئذ أربعمائة رجل قال : فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر

قوم من السند، كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن.

كان في الاسلام، وكان السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً .

قال : وخيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي ، فاختار الرحيل ، فخلوا سبيله ، فلحق بعلي عليه السلام ، فلما رآه بكى ، وقال له : فارقتك شيخاً ، وجئتك أمرد .

فقال علي عليه السلام : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قالها ثلاثاً .[١]

خطبة طلحة والزبير في البصرة

قال الراوي : فقام طلحة والزبير خطيبين فقالا : يا أهل البصرة توبة بحوبة إنما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه .

فقال الناس لطلحة : يا أبا محمد، قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا .

فقال الزبير : فهل جاءكم مني كتاب في شأنه، ثم ذكر قتل عثمان وما أتى إليه وأظهر عيب علي فقام إليه رجل من عبد القيس فقال : أيها الرجل أنصت حتى نتكلم .

فقال عبدالله بن الزبير : وما لك وللكلام .

فقال العبدي : يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس في الاسلام كما دخلتم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله بايعتم رجلاً منكم والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك فرضينا واتبعناكم فجعل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣٢٠ .

الله عزّ وجل للمسلمين في إمارته بركة ثم مات واستخلف عليكم رجلاً منكم فلم تشاورونا في ذلك فرضينا وسلمنا، فلما توفى الامير جعل الأمر إلى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منا، ثم بايعتم علياً عن غير مشورة منا فما الذي نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه وإلّا فما هذا، فهمّوا بقتل ذلك الرجل فقام من دونه عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلاً.[١]

شكوى علي عليه السلام

اللهمَّ إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي.

ثم قالوا[٢] إلا أن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه، فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الأمة عند شرائها، متوجهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيس[٣] رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره فقدموا على

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٦.

(٢) ثم قالوا... الخ: أي أنهم اعترفوا بفضله وأنه أجدرهم بالقيام به، ففي الحق أن يأخذه ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الامر وقالوا للامام في الحق أن تتركه فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين، ولا يكون الحق في الاخذ إلا لمن توفرت فيه شروطه.

(٣) حبيس: فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأمّ المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسها بعده كأنها في حياته.

عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها . فقتلوا طائفة صبراً ، وطائفة غدراً . فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جره ، لحل لي قتل ذلك الجيش كلّه إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد.(١)

كتاب عائشة إلى زيد بن صوحان(٢)

عن مجالد بن سعيد قال: لما قدمت عائشة البصرة كتبت إلى زيد بن صوحان قائلة:

من عائشة ابنة أبي بكر أُم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان .

أما بعد :

فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذّل الناس عن علي .

---

(١) نهج البلاغة ٢ : ٨٥ خ ١٧٢ .

(٢) زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث الربعي العبدي ، يكنى أبا سلمان أو سليمان ، أدرك النبي ﷺ وصحبه ، كان فاضلاً ديّناً سيّداً في قومه ، هو وإخوته صعصعة وسيحان أبناء صوحان ، رووا أن النبي ﷺ كان في مسير له ، إذ هوم فجعل يقول : زيد وما زيد . وجندب وما جندب ، فسئل عن ذلك فقال : رجلان من أُمتي ، أما أحدهما فتسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده ، وأما الآخر فيضرب ضربة تفرق بين الحق والباطل . فكان زيد بن صوحان قطعت يده يوم جلولاء ، وقتل هو يوم الجمل . وأما جندب فهو الذي قتل الساحر . أسد الغابة ٣: ٢٣٣ .

جواب زيد

فكتب إليها :

من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله .

أما بعد :

فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك وإلّا فأنا أول من نابذك .

قال زيد بن صوحان : رحم الله أم المؤمنين امرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه .[١]

مناجزة حكيم بن جبلة للناكثين

قال الراوي : فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف ، خرج في ثلاثمائة من عبد القيس مخالفاً لهم ومنابذاً ، فخرجوا إليه ، وحملوا عائشة على جمل ، فسمى ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر ، ويوم علي يوم الجمل الأكبر . وتجالد الفريقان بالسيوف ، فشد رجل من الأزد من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها ، ووقع الأزدي عن فرسه ، فجثا حكيم ، فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه ، ثم دب إليه فقتله متكئاً عليه ، خانقاً له حتى زهقت نفسه فمر بحكيم إنسان وهو يجود بنفسه ، فقال : من فعل بك ؟

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٤٩٢ .

قال : وسادي ، فنظر فإذا الأزدي تحته ، وكان حكيم شجاعاً مذكوراً .

قال : وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة ، وقتل أصحابه كلهم ، وهم ثلاثمائة من عبد القيس والقليل منهم من بكر بن وائل .

وجاء في رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى شيعته والمؤمنين به شارحاً بها تصرّف الناكثين حين دخلوا البصرة :

ثم أتوا البصرة وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي وبها شيعتي خزان بيت مال الله ومال المسلمين فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي وطاعتي فمن أطاعهم أكفروه ومن عصاهم قتلوه فناجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلاً من عباد أهل البصرة ومخبيتهم يسمون المثفنين كأن راح أكفهم ثفنات الابل وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكري، فقال: اتقيا الله إن أوّلكم قادنا إلى الجنة فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلفونا أن نصدق المدعي ونقضي على الغائب أما يميني فشغلها علي بن أبي طالب عليه السلام ببيعتي إياه، وهذه شمالي فارغة فخذاها إن شئتما فخنق حتى مات رحمه الله .[1]

نزاع الغزاة على إمامة الجماعة

قال الراوي : فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرد ابن حنيف عنهما اختلفا في الصلاة ، وأراد كل منهما أن يؤم بالناس ، وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً له ورضاً بتقدمه ، فأصلحت بينهما عائشة ،

(١) كشف المحجة لثمرة المهجة : ١٨٢ .

بأن جعلت عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة يصليان بالناس ، هذا يوماً وهذا يوماً .[١]

قال ابن خلدون: وجاء مروان بن الحكم إلى طلحة والزبير فقال: على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة ؟

فقال ابن الزبير: على أبي !

وقال ابن طلحة: على أبي !

فأرسلت عائشة إلى مروان تقول له: أتريد أن تفرق أمرنا ليصل بالناس ابن أختي ـ تعني عبد الله بن الزبير ـ.[٢]

بيت المال في البصرة بيد الغزاة

قال أبو الأسود الدؤلي: رأيت علياً وقد دخل بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال: يا صفراء بيضاء غري غيري ، المال يعسوب الظلمة، وأنا يعسوب المؤمنين، فلا والله ما التفت إلى ما فيه ولا فكر فيما رآه منه وما وجدته عنده إلا كالتراب هو انا فتعجبت من القوم ومنه عليه السلام فقلت: أُولئك ممّن يريد الدنيا وهذا ممن يريد الآخرة وقويت بصيرتي فيه.[٣]

وقال الشيخ المفيد : ولما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة

(١) المصدر السابق .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٥٤ .
(٣) أنساب الأشراف ٢: ١٣٢ ح ١١٣ .

والزبير إلى بيت المال فتأملا إلى ما فيه من الذهب والفضة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها واخبرنا انه يعجلها لنا.[١]

وقال أبو مخنف: ان الزبير وطلحة لما قدما البصرة دخلا بيت المال فيها، فلما رأوا ما فيه من الأموال قرأ الزبير: ﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه**﴾[٢]، وقال: فهذه لنا، وهذا ما وعدنا الله، فنحن أحق بها من أهل البصرة فأخذا ذلك المال كله.

فلما غلب علي عليه السلام ردّ تلك الأموال إلى بيت المال، وقسمها في المسلمين.[٣]

خطة لاغتيال علي عليه السلام

عن أبي عمرة مولى الزبير قال: لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى علي فإما بيته وإما صبحته لعلي أقتله قبل أن يصل الينا! فلم يجبه أحد، فقال: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها.

فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟

قال: ويحك، إنا نبصر ولا نبصر ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر.[٤]

---

(١) الجمل: ١٥٤.
(٢) الفتح: ٢٠.
(٣) أنساب الأشراف: ١٣٣.
(٤) تاريخ الطبري ٣: ٤٩١.

اغواء كعب بن سور

وقال بعض أهل العلم: إن كعب بن سور لما قدم طلحة والزبير وعائشة البصرة دخل في بيت وطين عليه وجعل فيه كوة يناول منها طعامه وشرابه اعتزالاً للفتنة ؛ فقيل لعائشة: إن كعب بن سور إن خرج معك لم يتخلف من الأزد أحد، فركبت إليه فنادته وكلّمته فلم يجبها، فقالت: يا كعب ألست أُمّك ولي عليك حقّ؟ فكلّمها فقالت: إنما أريد أن أصلح بين الناس، فذلك حين خرج وأخذ المصحف فنشره ومشى بين الصفين يدعوهم إلى ما فيه فجاءه سهم غرب فقتله وكان معروفاً بالخير والصلاح وليس له حديث.[١]

وقال سهل بن سعد: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه! فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أُم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

قالت: ردوا أبانا فردوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه.

قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع.

فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه.[٢]

عن أبي المليح قال: لما قتل حكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حنيف فقال: ما شئتم، أما إن سهل بن حنيف وال على المدينة وإن قتلتموني انتصر فخلوا سبيله.[٣]

---

(١) الطبقات الكبرى ٧: ٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٠.

الفصل الخامس

أمير المؤمنين عليه السلام يتعقّب الناكثين



خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

روى المدائني ، عن عبد الله بن جنادة ، قال : قدمت الحجاز أريد العراق ، في أول إمارة علي عليه السلام ، فمررت بمكة ، فاعتمرت ، ثم قدمت المدينة ، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ نودي : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، وخرج علي عليه السلام متقلداً سيفه ، فشخصت الأبصار نحوه ، فحمد الله وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

أما بعد ، فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله ، قلنا : نحن أهله وورثته وعترته ، وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الامارة لغيرنا . وصرنا سوقة ، يطمع فينا الضعيف ، ويتعزز علينا الذليل ، فبكت الاعين منا لذلك ، وخشنت الصدور ، وجزعت النفوس . وايم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ، ويبور الدين ، لكنا على غير ما كنا لهم عليه ، فولى الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً ، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي ، فبايعتموني على شين مني لأمركم ، وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم ، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع ، تعلمون ذلك ، وقد نكثا وغدرا ، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم .

اللهمَّ فخذهما بما عملا أخذة رابية[1] ولا تنعش لهما صرعة ، ولا تقل لهما

---

(١) قال الجوهري : أي زائدة ، كقولك : أربيت ، إذا أخذت أكثر مما أعطيت ، قال تعالى : ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ .

عشرة ، ولا تمهلهما فواقا ، فإنهما يطلبان حقاً تركاه ، ودماً سفكاه .

اللهمَّ إني أقتضيك وعدك ، فإنك قلت وقولك الحق ، ثم بغى عليه لينصرنه الله .

اللهمَّ فأنجز لي موعدك ، ولا تكلني إلى نفسي ، إنك على كل شيء قدير . ثم نزل .[1]

ابن أُمّ سلمة في صف علي عليه السلام

عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما سار علي إلى البصرة دخل على أُمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله يودعها فقالت: سر في حفظ الله وفي كنفه، فوالله انك لعلى الحق والحق معك، ولولا اني أكره أن أعصي الله ورسوله فانّه صلى الله عليه وآله أمرنا أن نقرّ في بيوتنا لسرت معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي وأعز عليَّ من نفسي ابني عمر .[2]

اعتزال عبدالله بن عمر، محمد بن سلمة، وسعد بن أبي وقاص

وذكروا أن عمار بن ياسر قام إلى علي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي آتي عبد الله بن عمر فأكلمه ، لعله يخف معنا في هذا الأمر ، فقال علي : نعم ، فأتاه ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، إنه قد بايع علياً المهاجرون والأنصار ، ومن إن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٣٠٧ .

(٢) المستدرك ، الحاكم النيسابوري ٣ : ١١٩ .

قال الحاكم : هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

فضلناه عليك لم يسخطك ، وإن فضلناك عليه لم يرضك ، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة ، وقد علمت أن على القاتل القتل ، وعلى المحصن الرجم ، وهذا يقتل بالسيف ، وهذا يقتل بالحجارة ، وأن علياً لم يقتل أحداً من أهل الصلاة ، فيلزمه حكم القاتل .

فقال ابن عمر : يا أبا اليقظان ، إن أبي جمع أهل الشورى ، الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض ، فكان أحقهم بها علي ، غير أنه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه ، ولكن والله ما أحب أن لي الدنيا وما عليها وأني أظهرت أو أضمرت عداوة علي ؟

قال : فانصرف عنه ، فأخبر علياً بقوله ، فقال علي : لو أتيت محمد بن مسلمة الأنصاري ، فأتاه عمار ، فقال له محمد : مرحباً بك يا أبا اليقظان على فرقة ما بيني وبينك ، والله لولا ما في يدي من رسول الله صلى الله عليه وآله لبايعت علياً ، ولو أن الناس كلهم عليه لكنت معه ، ولكنه يا عمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأي .

فقال عمار : كيف ؟

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا رأيت المسلمين يقتتلون أو إذا رأيت أهل الصلاة .

فقال عمار : فإن كان قال لك : إذا رأيت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفيهما أبداً ، وإن كان قال لك : أهل الصلاة ، فمن سمع هذا معك ، إنما أنت أحد الشاهدين ، فتريد من رسول الله قولاً بعد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم وأموالكم عليكم حرام إلّا بحدث ، فتقول : يا محمد ، لا نقاتل المحدثين .

قال : حسبك يا أبا اليقظان .

قال : ثم أتى سعد بن أبي وقاص فكلّمه ، فأظهر الكلام القبيح ، فانصرف عمار إلى علي ، فقال له علي : دع هؤلاء الرهط ، أما ابن عمر فضعيف ، وأما سعد فحسود ، وذنبي إلى محمد بن مسلمة أني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي.[1]

سهل بن حنيف والي علي عليه السلام على المدينة

عندما اطلع علي عليه السلام على اجتماع طلحة والزبير وعائشة لمحاربته وبلغه مسيرهم إلى البصرة، أمر على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري[2]، وخرج فسار حتى نزل ذي قار وكان مسيره إليها ثمان ليال ومعه جماعة من أهل المدينة.[3]

استنفار عدي بن حاتم قومه لنصرة علي عليه السلام

ذكر المؤرخون: أن عدي بن حاتم قام إلى علي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو تقدمت إلى قومي أخبرهم بمسيرك وأستنفرهم ، فإن لك من طي مثل الذي معك.

فقال علي : نعم ، فافعل ، فتقدم عدي إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طي ،

---

(١) الامامة والسياسة ١ : ٥٢.

(٢) قال ابن قتيبة : واستخلف علي على المدينة قثم بن عبّاس ، وكان له فضل وعقل ، وأمره أن يشخص إليه من أحب الشخوص ، ولا يحمل أحداً على ما يكره ، فخف الناس إلى علي بعده ، ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد. الامامة والسياسة ١ : ٥٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٤٧١.

فقال لهم : يا معشر طي ، إنكم أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وآله في الشرك ، ونصرتم الله ورسوله في الاسلام على الردة ، وعلي قادم عليكم ، وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم ، فخفوا معه ، وقد كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا في الاسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة ، وقد ضمنت عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولي ، فإنكم أعز العرب داراً ، لكم فضل معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا أفضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد ، وقد أظلكم علي والناس معه ، من المهاجرين والبدريين والأنصار ، فكونوا أكثرهم عدداً ، فإن هذا سبيل للحي فيه الغنى والسرور ، وللقتيل فيه الحياة والرزق .

فصاحت طي : نعم ، نعم ، حتى كاد أن يصم من صياحهم .

فلما قدم على طي أقبل شيخ من طي قد هرم من الكبر ، فرفع له من حاجبيه ، فنظر إلى علي ، فقال له : أنت ابن أبي طالب ؟

قال : نعم .

قال : مرحباً بك وأهلاً ، قد جعلناك بيننا وبين الله ، وعديا بيننا وبينك ، ونحن بينه وبين الناس ، لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك ، لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأيامك الصالحة ، ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقاً إن في أمرك وأمر قريش لعجباً ، إذ أخرجوك وقدموا غيرك .

سر ، فوالله لا يتخلف عنك من طي إلّا عبد أو دعي إلّا بإذنك . فشخص معه من طي ثلاثة عشر آلاف راكباً.(١)

---

(١) الامامة والسياسة ١ : ٥٥ .

الربذة

عندما جاء علياً الخبر عن طلحة والزبير وعائشة خرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق، وأراد أن يعترضهم فاستبان له بالربذة[١] أن قد فاتوه.[٢]

رسالة علي عليه السلام إلى أهل الكوفة

روى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: لما قدم علي الربذة أقام بها وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وكتب إليهم:

إني اخترتكم على الأمصار، وفزعت اليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً، وأيدونا وانهضوا الينا، فالإصلاح ما نريد لتعود الأُمّة إخواناً، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحقّ وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه فمضى الرجلان إلى الكوفة، وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين وقاما في الناس بأمره فلم يجابا إلى شيء.

فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجى على أبي موسى فقالوا: ما ترى في الخروج؟

فقال: كان الرأي بالأمس ليس باليوم، ان الذي تهاونتم به فيما مضى هو

---

(١) الربذة: قال ياقوت الحموي: وفي كتاب العين: الربذ خفة القوائم في المشي وخفة الأصابع في العمل، والربذات العهون التي تعلق في أعناق الابل. والربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. معجم البلدان ٣: ٢٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٤.

الذي جر عليكم ما ترون وما بقى، إنما هما أمران العقود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا.

فلم ينفر إليه أحد، فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى فقال أبو موسى: والله ان بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بد من قتال لا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فانطلقا إلى علي فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر.[1]

خطبة علي عليه السلام في الربذة

وبقى علي بالربذة يتهيأ وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال:

إن الله عزّ وجل أعزّنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الاسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا إن بين هذه الأُمة لابدّ مفترقة كما افترقت الأُمم قبلهم فنعوذ بالله من شر ما هو كائن.

ثم عاد ثانية فقال: إنه لابدّ مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأُمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرّها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، فقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وآله واتبعوا سنته واعرضوا ما

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٤ـ٤٩٦.

أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردّوه وارضوا بالله عزّ وجل ربّاً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن حكماً وإماماً.[١]

قبيلة طيء

قال الشعبي: لما نزل علي بالربذة أتته جماعة من طي، فقيل لعلي: هذه جماعة من طي قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك.

قال: جزى الله كلّاً خيراً وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، ثم دخلوا عليه فقال علي: ما شهدتمونا به ؟

قالوا: شهدناك بكل ما تحب.

قال: جزاكم الله خيراً فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدين، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين.

فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال: يا أمير المؤمنين ان من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه، وإني والله ما كل ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني وسأجهد وبالله التوفيق، أما أنا فسأنصح لك في السر والعلانية، وأقاتل عدوك في كل موطن، وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقرابتك.

قال: رحمك الله قد أدى لسانك عمّا يجن ضميرك فقتل معه بصفين رضي الله عنه.[٢]

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٣.

ابن رفاعة

عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: لما أراد علي عليه السلام الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين أي شيء تريد والى أين تذهب بنا؟

فقال: أما الذي نريد وننوى فالاصلاح إن قبلوا منّا وأجابونا إليه.

قال: فإن لم يجيبونا إليه؟

قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر.

قال: فإن لم يرضوا؟

قال: ندعهم ما تركونا.

قال: فإن لم يتركونا؟

قال: امتنعنا منهم.

قال: فنعم إذا.

وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي إن هبت الموت

والله لأنصرن الله عزّ وجل كما سمّانا أنصاراً.[1]

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٤.

الوقوف في فيد[١]

قال الراوي: وارتحل علي بن أبي طالب عليه السلام من الربذة حتى نزل بفيد، فأتته جماعة طيء، ووجه ابنه الحسن بن علي وعمار بن ياسر إلى الكوفة لاستنفار أهلها، فلما قدما انصرف ابن عباس ومحمد بن أبي بكر، ويقال: بل أقاما حتى كان انصرافهم جميعاً.

وقال قوم: كان قيس بن سعد بن عبادة مع الحسن وعمار. والثبت أن علياً ولى قيساً مصر ـ وهو بالمدينة ـ حين ولى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب اليمن، ثم إنه عزله عن مصر، وقدم المدينة وشخص هو وسهل بن حنيف إلى الكوفة، فشهدوا صفين والنهروان معه، وانه لم يوجه مع الحسن إلا عمار بن ياسر.[٢]

وقدم رجل من الكوفة فيداً، فأتى علياً عليه السلام، فقال له: مَن الرجل؟

قال: عامر بن مطرف.

قال: الليثي؟

قال: الشيباني.

قال: أخبرني عمّا وراءك؟

قال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبك، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس لك بصاحب.

فقال عليه السلام: ما أريد إلا الصلح إلا أن يرد علينا.[٣]

---

(١) فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة. مراصد الاطلاع: ٣: ١٠٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٢٣٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٤ : ١٨.

أخبار في الثعلبية[١]

ولما نزل علي عليه السلام التعلبية أتاه الذي لقى عثمان بن حنيف وحرسه فقام وأخبر القوم الخبر وقال: اللهمَّ عافني ممّا ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين وسلمنا منهم أجمعين، ولما انتهى إلى الأساد[٢] أتاه ما لقى حكيم بن جبلة وأصحاب عثمان بن حنيف، فقال: الله أكبر ما ينجيني من طلحة والزبير إذ أصابا ثأرهما أو ينجيهما وقرأ: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾.[٣]

ذي قار[٤]

قال المؤرخون: ولما انتهوا إلى ذي قار انتهى إليه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعر، فلما رآه علي عليه السلام نظر إلى أصحابه فقال: انطلق هذا من عندنا وهو شيخ فرجع الينا وهو شاب، فلم يزل بذي قار يتلوم محمداً ومحمداً

(١) الثعلبية : من منازل طريق مكة ، قد كانت قرية فخربت ، وهي مشهورة . مراصد الاطلاع ١ : ٢٩٦.

(٢) الظاهر : الأساود : بالفتح ، جمع أسود : اسم ماء على يسار الطريق للقاصد إلى مكة من الكوفة . معجم البلدان ١ : ١٧١ .

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٤٩٦ .

(٤) ذي قار : اسم عين بين الكوفة وواسط ؛ وقيل : بين البصرة والكوفة ؛ وقيل : أنّها إلى البصرة أقرب ـ وفيها وقعت معركة ذي قار الشهيرة ، وهي الحرب بين جند برويز حفيد أنوشيروان ، وبني شيبان من العرب ، فظفرت بنو شيبان على جند برويز وهو أوّل يوم انتصفت فيه العرب على الفرس .

وأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق، فقال عبد القيس: خير ربيعة في كل ربيعة خير.

وقال:

يا لهف نفسي على ربيعة ربيعة السامعة المطيعة

قد سبقتني فيهم الوقيعة دعا علي دعوة سميعة

حلوا بها المنزلة الرفيعة

قال: وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لهم: مثل ما قال لطيء وأسد، ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين وقاما في الناس بأمره فلم يجابا إلى شيء، فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجي على أبي موسى فقالوا: ما ترى في الخروج؟

فقال: كان الرأي بالأمس ليس باليوم ان الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما ترون وما بقى إنما هما أمران العقود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا، فلم ينفر إليه أحد، فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى.

فقال أبو موسى: والله ان بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بد من قتال لا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا. فانطلقا إلى علي فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر.

وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفه فقال علي: يا أشتر أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء اذهب أنت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت، فخرج عبدالله بن عباس ومعه الأشتر فقدما الكوفة وكلّما أبا موسى، ولكن لم يصلا معه إلى نتيجة. فعادا إلى أمير المؤمنين وأخبراه الخبر.[١]

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٢٦.

ارسال الحسن بن علي عليه السلام

قال الراوي: ولما رجع ابن عباس إلى علي بالخبر دعا الحسن بن علي فأرسله وأرسل معه عمار بن ياسر فقال له: انطلق فأصلح ما أفسدت، فأقبلا حتى دخلا المسجد فكان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان؟

قال: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا.

فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين.

فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمّه إليه وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجّار!

فقال: لم أفعل ولم تسوؤني، وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال: يا أبا موسى، لِمَ تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الاصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء.

فقال: صدقت بأبي أنت وأمي، ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب، وقد جعلنا الله عزّ وجل إخواناً وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل... ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾** وقال عزّ وجل: **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم...﴾**.

فغضب عمار وساءه وقام وقال: يا أيها الناس، إنما قال له خاصة أنت فيها قاعداً خير منك قائماً، وقام رجل من بني تميم، فقال لعمار: اسكت أيها العبد، أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا.

وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ثم انطلق حتى أتى المنبر وسكن الناس وأقبل زيد على حمار حتى وقف باب المسجد ومعه الكتابان من عائشة إليه وإلى أهل الكوفة، وقد كان طلب الكتاب العامة فضمّه إلى كتابه فأقبل بهما معه كتاب الخاصة وكتاب العامة:

أما بعد، فثبطوا أيها الناس واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان بن عفان، فلما فرغ من الكتاب قال: أُمرت بأمر وأمرنا بأمر: أُمرت أن تقرّ في بيتها فأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا بما أمرت به، وركبت ما أمرنا به.

فقام إليه شبث بن ربعي فقال: يا عماني، سرقت بجلولاء فقطعك الله وعصيت أُمّ المؤمنين فقتلك الله، ما أمرت إلا بما أمر الله عزّ وجل به بالاصلاح بين الناس فقلت ورب الكعبة وتهاوى الناس.

وقام أبو موسى فقال: أيها الناس، أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم بما سمعنا إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت بينت وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن تجرى بها الشمال والجنوب والصبا والدبور فتسكن أحياناً فلا يدرى من أين تؤتي تذر الحليم كابن أمس شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وأرسلوا سهامكم واقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم، خلوا قريشاً إذا أبوا إلّا الخروج من دار الهجرة، وفراق أهل العلم بالامرة ترتق فتقها وتشعب صدعها فإن فعلت فلأنفسها سعت، وإن أبت فعلى أنفسها منت سمنها تهريق في أديمها، استنصحوني ولا تستغشوني، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم، ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها.

فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال: يا عبد الله بن قيس ردّ الفرات عن دراجه اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، فدع عنك ما لست مدركه ثم قرأ: ﴿آلم أحسب الناس أن

يتركوا ...﴾ سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق .[١]

دعوة القعقاع الناس لحماية الإمام علي عليه السلام

قال الراوي : فقام القعقاع بن عمرو فقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، أحب أن ترشدوا ولأقولن لكم قولاً هو الحق: أما ما قال الامير فهو الأمر لو أن إليه سبيلاً، وأما ما قال زيد فزيد في هذا الأمر فلا تستنصحوه فانّه لا يتنزع أحد من الفتنة طعن فيها وجرى إليها، والقول الذي هو القول أنه لا بدّ من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم وتعزّ المظلوم، وهذا علي يلي بما ولى وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو إلى الاصلاح، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .[٢]

عبد خير

قال المؤرخون: أن عبد خير الخيواني قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى هل كان هذان الرجلان ـ يعني طلحة والزبير ـ ممن بايع علياً ؟

قال: نعم .

قال: هل أحدث حدثاً يحل به نقض بيعته ؟

قال: لا أدري .

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٤٩٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٤٩٩ .

قال: لا دريت، فانّا تاركوك حتى تدرى.

يا أبا موسى، هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم أنها هي فتنة إنما بقى أربع قرون علي بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة أُخرى بالحجاز لا يجبى بها فيء ولا يقاتل بها عدو؟

فقال له أبو موسى: أولئك خير الناس، وهي فتنة!

فقال له عبد خير: يا أبا موسى غلب عليك غشك.[1]

سيحان بن صوحان

وقال سيحان: أيها الناس، إنه لابد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأُمة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإنّا سائرون معه، ولان عمار بعد نزوته الاولى، فلما فرغ سيحان من خطبته تكلّم عمار فقال: هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله يستنفركم إلى زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى طلحة والزبير، وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة، فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه.[2]

دعوة الحسن عليه السلام

وقام الحسن بن علي عليهما السلام فقال:

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٠٠.

يا أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فانه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولوا النهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم.

فسامح الناس وأجابوا ورضوا به.

عدي بن حاتم

وأتى قوم من طيء عدياً فقالوا: ماذا ترى وماذا تأمر؟

فقال: ننتظر ما يصنع الناس.

فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم فقال: قد بايعنا هذا الرجل، وقد دعانا إلى جميل وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون.

حجر بن عدي

وقام حجر بن عدي فقال: أيها الناس، أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً، مروا أنا أولكم.

وقال الحسن: أيها الناس، إني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء فليخرج في الماء، فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر وأخذ بعضهم الماء، وعلى كل سبع رجل أخذ البر ستة آلاف ومائتان، وأخذ الماء ألفان وثمانمائة.[1]

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٠٠.

حذيفة يحثّ أصحابه على اتباع علي عليه السلام

قال أبو مخنف : ولما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذي قار ، واستنفر الناس ، دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا ، ورغبهم في الآخرة ، وقال لهم : الحقوا بأمير المؤمنين ووصي سيد المرسلين ، فإن من الحق أن تنصروه ، وهذا الحسن ابنه وعمار ، قد قدما الكوفة يستنفران الناس ، فانفروا.

قال : فنفر أصحاب حذيفة إلى أمير المؤمنين ، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة[1]، وتوفي رحمه الله تعالى.[2]

ارسال القعقاع إلى أهل البصرة

قال الرواي: فبعث علي القعقاع[3] رسولاً إلى طلحة والزبير بالبصرة

---

(١) قال الخطيب البغدادي في تاريخه (ج ١١ : ص ١٤٣): كان عيسى البزاز المدائني مولىً لحذيفة بن اليمان، وقد روى الجابري قائلاً : صليت خلف عيسى مولى حذيفة بالمدائن على جنازة فكبر خمساً ثم التفت إلينا فقال: ما وهمت ولا نسيت ولكن كبرت كما كبر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان؛ صلّى على جنازة فكبر خمساً، ثم التفت إلينا فقال: ما نسيت ولا وهمت ولكني كبّرت كما كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى على جنازة فكبر خمساً .

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ : ١٨٧ .

(٣) روي عن القعقاع بن عمرو التميمي انّه قال: شهدت وفاة النبي صلى الله عليه وآله . وللقعقاع أثر عظيم في قتال الفرس في القادسية وغيرها، وكان من أشجع الناس وأعظمهم بلاء وشهد مع علي عليه السلام الجمل وغيرها من حروبه، وأرسله علي عليه السلام إلى طلحة والزبير فكلمهما بكلام حسن تقارب الناس به إلى الصلح. سكن الكوفة وهو الذي قال فيه أبو بكر: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل. أسد الغابة ٤ : ٢٠٧ .

يدعوهما إلى الأُلفة والجماعة ، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف ، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة ، فقال : أي أماه ! ما أقدمك هذا البلد ؟

فقالت : أي بني ، الاصلاح بين الناس ، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها ، فحضرا ، فقال القعقاع : إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها ؟

فقالت : إنما جئت للاصلاح بين الناس ، فقالا : ونحن كذلك .

قال : فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح ؟ وعلى أي شيء يكون ؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ، ولئن أنكرناه لا نصطلحن .

قالا : قتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن .

فقال : قتلتما قتلته من أهل البصرة ، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجل ، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف ، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون ، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الامر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة ، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير ، لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله ، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان ، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم ، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة ، ثم أعلمهم أن خلقاً من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع .

فقالت له عائشة : فماذا تقول أنت ؟

قال : أقول : إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإنّ أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ، وإدراك الثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً ، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وايم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأُمة التي قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم ، وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة القبيلة .

فقالوا : قد أصبت وأحسنت فارجع ، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر .

قال : فرجع إلى علي عليه السلام فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشر القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه.[١]

خطبة ذي قار

قال الراوي : وأقبلت وفود البصرة نحو علي عليه السلام حين نزل بذي قار فجاءت وفد تميم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة ، وعلى أي حال نهضوا إليهم وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم قتال

(١) البداية والنهاية ٧: ٢٦٤ .

على بال، فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائرهم من أهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وأدخلوهم على علي فأخبروه خبرهم، وسأل علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره عن دقيق أمرهما وجليله حتى تمثل له:

ألا أبـلغ بـني بكـر رسـولاً فليس إلى بـني كـعب سـبيل
سيرجع ظلمكم منكم عـليكم طـويل السـاعدين له فـضول

وتمثل علي عليه السلام عندها:

ألم تـعلم أبـا سـمعان أنـا نرد الشيخ مـثلك ذا الصـداع
ويذهل عقله بـالحرب حـتى يـقوم فـيستجيب لغـير داع
فدافع عن خزاعة جـمع بكـر وما بك يا سراقـة مـن دفـاع

وعند ذلك رجع القعقاع من عند عائشة وطلحة والزبير بمثل رأيهم، وفي تلك الاثناء كان الامام علي عليه السلام قد جمع الناس ثم قام على الغرائر فحمد الله عزّوجل وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله، وذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام والسعادة وإنعام الله على الأُمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على هذه الأُمة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا ردّ الأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره ومصيب ما أراد، ألا وإني راحل غداً[١] فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس.[٢]

---

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج (٢: ١٨٨) ان أمير المؤمنين عليه السلام بقي في ذي قار خمسة عشر يوماً.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٠٦.

قيمة الخلافة عند علي عليه السلام

قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل ؟

فقلت: لا قيمة لها .

فقال عليه السلام: والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً .[١]

وأصبح علي عليه السلام على ظهر، فمضى الناس حتى إذا انتهى إلى عبد القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك، ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة .[٢]

نزول علي عليه السلام في زاوية[٣]

عن قتادة قال: نزل علي عليه السلام في «زاوية» وأقام أياماً وفيها أرسل إلى الأحنف بن قيس: ان شئت أتيتك وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف .[٤]

الأحنف بن قيس

كان الأحنف وقبيلة بني سعد مستعدين للدفاع عن علي عليه السلام، فقد راسله

(١) نهج البلاغة ١ : ٨٠.
(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٠٨ .
(٣) زاوية: موضع قرب البصرة. معجم البلدان ٣: ١٢٨ .
(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٥٠٨ .

وقال له : يا علي ان قومنا بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسبى نساءهم .

فقال : ما مثلي يخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلّا ممّن تولّى وكفر ، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجل : ﴿لست عليهم بمسيطر إلّا من تولّى وكفر﴾[١] ، وهم قوم مسلمون ، هل أنت مغن عني قومك ؟

قال : نعم واختر مني واحدة من ثنتين : إما أن أكون آتيك فأكون معك بنفسي ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف ، فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال : يا آل خندف ، فأجابه ناس ، ثم نادى : يا آل تميم ، فأجابه ناس ، ثم نادى : يا آل سعد ، فلم يبق سعدي إلا أجابه ، فاعتزل بهم ثم نظر ما يصنع الناس .

فلما وقع القتال وظفر علي عليه السلام جاؤوا وافرين فدخلوا فيما دخل فيه الناس .[٢]

---

(١) الغاشية : ٢٢ و ٢٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٠٨ .

الفصل السادس

حرب الجمل



التقاء الجيشين

عن قتادة قال: سار علي عليه السلام من «زاوية» يريد طلحة والزبير وعائشة، وساروا من الفرضة يريدون علياً فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ يوم الخميس.[١]

وقال الطبري: ثم سار علي عليه السلام من زاوية، وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله أو عبد الله بن زياد.

فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدي أن أخرج فإذا خرجت فمل بنا إلى عسكر علي، فخرجا في عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا إلى عسكر أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الناس: من كان هؤلاء معه غلب!

ودفع شقيق بن ثور رايتهم إلى مولى له يقال له رشراشة، فأرسل إليه وعلة بن محدوج الذهلي: ضاعت الأحساب دفعت مكرمة قومك إلى رشراشة، فأرسل شقيق: أن أغن شأنك فانّا نغني شأننا، فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال يرسل إليهم علي ويكلمهم ويردعهم.[٢]

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٣٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥١٣.

كليب الجرمي

قال ابن شهرآشوب: وأرسل أهل البصرة إلى الإمام علي عليه السلام كليباً الجرمي بعد يوم الجمل ليزيل الشبهة عنهم في أمره، فذكر له ما علم انه على الحق، ثم قال له: بايع.

فقال: اني رسول القوم فلا احدث حدثاً حتى ارجع إليهم.

فقال: أرأيت لو ان الذين ولّوك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلأ والماء.

قال: فأمدد إذاً يدك.

قال كليب: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليَّ فبايعته.[1]

خطبة علي عليه السلام قبل الحرب

خطب أمير المؤمنين عليه السلام قبل نشوب الحرب فقال: أيها الناس إن أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب فإن أبى قوتل.

ألا وإني أقاتل رجلين: رجلاً ادعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه.

أوصيكم بتقوى الله فإنّها خير ما تواصى العباد به، وخير عواقب الأُمور عند الله.

---

(١) مناقب آل ابي طالب ١: ٣٢٤.

وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة ، ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر ، والعلم بمواضع الحق . فامضوا لما تؤمرون به ، وقفوا عندما تنهون عنه ، ولا تعجلوا في أمر حتى تتبيّنوا ، فإنّ لنا مع كل أمر تنكرونه غيراً .[١]

اتمام الحجّة

من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل :

لا تلقين طلحة، فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه، يركب الصعب ويقول هو الذلول . ولكن الق الزبير فإنه ألين عريكة ، فقل له يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا .[٢]

وروى جعفر بن محمد الصادق ، عن أبيه عن جدّه عليهم السلام ، قال : سألت ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك ، فقال : إني قد أتيت الزبير ، فقلت له ، فقال : قل له إني أريد ما تريد ـ كأنّه يقول : الملك ـ لم يزدني على ذلك .

فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته .

وروى محمد بن إسحاق والكلبي ، عن ابن عباس ، قال : قلت : الكلمة للزبير فلم يزدني علي أن قال : قل له أنا مع الخوف الشديد لنطمع .[٣]

وروى الزبير بن بكار في «الموفقيات» قال : لما سار علي عليه السلام إلى البصرة ،

(١) نهج البلاغة ٢ : ٨٦ خ ١٧٣ .
(٢) نهج البلاغة ١ : ٧٦، خ ٣١.
(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ١٦٥ .

بعث ابن عباس فقال : ائت الزبير ، فاقرأ عليه السلام ، وقل له : يا أبا عبد الله ، كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة !

فقال ابن عباس : أ فلا آتي طلحة ؟

قال : لا ، إذا تجده عاقصاً قرنه في حزن ، يقول : هذا سهل .

قال : فأتيت الزبير ، فوجدته في بيت يتروح في يوم حار وعبد الله ابنه عنده فقال : مرحباً بك يا بن لبابة ، أجئت زائراً أم سفيراً ؟

قلت : كلا ، إن ابن خالك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : يا أبا عبد الله ، كيف عرفتنا بالمدينة ، وأنكرتنا بالبصرة ؟ !

فقال :

علقتهم أني خلقت عصبه قتادة تعلقت بنشبه

لن أدعهم حتى أؤلف بينهم !

قال : فأردت منه جواباً غير ذلك ، فقال لي ابنه عبد الله : قل له بيننا وبينك دم خليفة ، ووصية خليفة ، واجتماع اثنين ، وانفراد واحد ، وأم مبرورة ، ومشاورة العشيرة .

قال : فعلمت أنه ليس وراء هذا الكلام إلاّ الحرب ، فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته .(١)

خبر غيبي

عن أبي أيوب الأنصاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام : تقاتل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٦٩ .

الناكثين والقاسطين والمارقين .[١]

وقال محمد بن جرير الطبري : ومن دلائله قوله عليه السلام يوم الجمل : قد أُمرت بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين ، فالناكثون : الزبير وطلحة ومن تابعهما ، والمارقون : عبد الله بن وهب الراسبي صاحب الخوارج ومن تابعه ، والقاسطون معاوية وعمرو بن العاص وأصحابهما .[٢]

عبد الله بن الزبير

كان الامام علي عليه السلام يقول : ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله[٣].[٤]

---

(١) الغدير ١ : ٣٣٧ .

(٢) المسترشد : ٦٦٨ .

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي وكنيته أبو خبيب ـ بالخاء المعجمة المضمومة ـ وهو اسم أكبر أولاده ، وقيل : كان يكنيه بذلك من يعيبه ، وأمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة وجدّته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة بنت خويلد عمّة أبيه الزبير بن العوام بن خويلد وخالته عائشة ، وهو أول مولود ولد في الاسلام بعد الهجرة ، هاجرت أمه الى المدينة وهي حامل به ؛ وقيل حملت به بعد ذلك وولدته بالمدينة على رأس عشرين شهراً من الهجرة . وشهد عبدالله الجمل مع أبيه الزبير مقاتلاً لعلي عليه السلام فكان علي يقول : ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ له عبد الله .

امتنع عبدالله من بيعة يزيد بن معاوية فأرسل إليه يزيد مسلم بن عقبة فحصر المدينة وأوقع بأهلها وقعة الحرة المشهورة ، ثم سار الى مكة ليقاتل ابن الزبير فمات في الطريق فاستخلف الحصين بن نمير السكوني على الجيش فسار الحصين وحصر ابن الزبير بمكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين فأقام عليه محاصراً ، وفي هذا الحصر احترقت الكعبة واحترق فيها قرناً الكبش الذي فدى به اسماعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليهما

كان عبد الله بن الزبير هو الذي يصلي بالناس في أيام الجمل ، لأن طلحة والزبير تدافعا الصلاة ، فأمرت عائشة عبد الله أن يصلي قطعاً لمنازعتهما ، فـإن

ودام الحصر الى ان مات يزيد منتصف ربيع الأول من السنة فدعاه الحصين ليبايعه ويخرج معه الى الشام ويهدر الدماء التي بينهما ممن قتل بمكة والمدينة في وقعة الحرة فلم يجبه ابن الزبير وقال : لا أهدر الدماء ، فقال الحصين : قبح الله من يعدك داهياً أو اريباً ، أدعوك الى الخلافة وتدعونني الى القتل .

وبويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعد موت يزيد وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وجدد عمارة الكعبة وأدخل فيها الحجر ، وبقى ابن الزبير خليفة الى ان ولى عبد الملك بن مروان بعد أبيه ، فلما استقام له الشام ومصر جهز العساكر فسار الى العراق فقتل مصعب بن الزبير وسير الحجاج بن يوسف الى الحجاز فحصر عبد الله بن الزبير بمكة أول ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج بالناس الحجاج ولم يطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة ونصب منجنيقاً على جبل أبى قبيس فكان يرمى الحجارة الى المسجد ولم يزل يحاصره الى ان قتل في النصف من جمادى الآخرة من سنة ثلاث وسبعين .

قال عروة بن الزبير : لما اشتد الحصر على عبد الله قبل قتله بعشرة أيام دخل على أمه اسماء وهي شاكية فقال لها : ان في الموت لراحة ، فقالت له : لعلك تمنيته لي ، ما أحب ان أموت حتى يأتي على أحد طرفيك ، اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت بعدوك فتقر عـيني ، فضحك ، فلمّا كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها فقالت له : يا بني لا تقبلن مـنهم خـطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل ، فو الله لضربة بسيف في عز خير من ضربة بسوط في ذل ، وخرج على الناس وقاتلهم في المسجد وكان لا يحمل على ناحية الا هزم من فيها من جند الشام ، فأتاه حجر من ناحية الصفا فوقع بين عينيه فنكس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن عـلى أقـدامـنا يـقطر الدم

ثم اجتمعوا عليه فقتلوه .

وقال يعلى بن حرملة : دخلت مكة بعد ما قتل ابن الزبير فجاءت أمه امرأة طويلة عجوز مكفوفة البصر تقاد فقالت للحجاج : أما آن لهذا الراكب ان يـنزل ؟ فـقال لهـا الحـجاج : المنافق . قالت : والله ما كان منافقاً . أسد الغابة ٣ : ١٦١ .

(٤) نهج البلاغة ، قصار الكلمات .

ظهروا كان الأمر إلى عائشة ، تستخلف من شاءت .

وكان عبد الله بن الزبير يدعي أنه أحق بالخلافة من أبيه ومن طلحة ، ويزعم أن عثمان يوم الدار أوصى بها إليه .

واختلفت الرواية في كيفية السلام على الزبير وطلحة ، فروي أنه كان يسلم على الزبير وحده بالامرة ، فيقال : السلام عليك إيها الأمير ، لأن عائشة ولته أمر الحرب .

وروي أنه كان يسلم على كل واحد منهما بذلك .

قال ابن أبي الحديد المعتزلي : لما نزل علي عليه السلام بالبصرة ووقف جيشه بإزاء جيش عائشة ، قال الزبير : والله ما كان أمر قط إلا عرفت أين أضع قدمي فيه ، إلّا هذا الأمر ، فإني لا أدري : أمقبل أنا فيه أم مدبر !

فقال له ابنه عبد الله : كلا ولكنك فرقت سيوف ابن أبي طالب ، وعرفت أن الموت الناقع تحت راياته .

فقال الزبير : ما لك أخزاك الله من ولد ما أشأمك ![(١)]

أهداف الناكثين

روى المدائني ، قال : بعث علي عليه السلام ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب ، فقال له : إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لكم : ألم تبايعني طائعاً غير مكره ، فما الذي رابك مني ، فاستحللت به قتالي !

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ١٦٦ .

قال : فلم يكن له جواب إلّا أنه قال لى : أنا مع الخوف الشديد لنطمع . لم يقل غير ذلك .

قال أبو إسحاق : فسألت محمد بن على بن الحسين عليه السلام ما تراه ـ يعنى بقوله هذا ـ فقال : أما والله ما تركت ابن عباس حتى سألته ، عن هذا فقال : يقول : إنا مع الخوف الشديد مما نحن عليه ، نطمع أن نلي مثل الذي وليتم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : بعثني علي عليه السلام يوم الجمل إلى طلحة والزبير ، وبعث معي بمصحف منشور وإن الريح لتصفق ورقه ، فقال لي : قل لهما : هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، فما تريدان ؟ فلم يكن لهما جواب إلا أن قالا : نريد ما أراد ، كأنهما يقولان : الملك .

فرجعت إلى على فأخبرته .

وروى قاضي القضاة في كتاب «المغني» عن وهب بن جرير ، قال : قال رجل من أهل البصرة لطلحة والزبير : إن لكما فضلاً وصحبة ، فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما ، أشيء أمركما به رسول الله صلى الله عليه وآله ، أم رأي رأيتماه ؟

فأما طلحة فسكت وجعل ينكت في الأرض ، وأما الزبير فقال : ويحك ! حدثنا أن هاهنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها .[١]

حرب علي عليه السلام

قال الشيخ الطوسي : كل من حارب أمير المؤمنين علي عليه السلام فهو كافر ،

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٩ : ٣١٧ .

ودليل ذلك الاجماع والرواية المروية عن الرسول الأكرم ﷺ حين قال: حربك يا علي حربي، وسلمك سلمي.[١]

المرأة وقيادة الجيش

قال ابن أبي الحديد: وركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكراً في هودج، قد ألبس الرفرف، ثم ألبس جلود النمر، ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد.

وقال الشعبي، عن مسلم بن أبى بكرة، عن أبيه أبى بكرة، قال: لما قدم طلحة والزبير البصرة، تقلدت سيفي، وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عائشة، وإذا هي تأمر وتنهى، وإذا الأمر أمرها، فذكرت حديثاً كنت سمعته عن رسول الله ﷺ: لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة، فانصرفت واعتزلتهم.

وقد روى هذا الخبر على صورة أخرى: أن قوماً يخرجون بعدي في فئة، رأسها امرأة، لا يفلحون أبدا.

كان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره.[٢]

خطبة علي عليه السلام

خطب علي عليه السلام لما تواقف الجمعان، فقال:

---

(١) تلخيص الشافي ٤: ١٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ٢٢٧.

لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم ، فإنكم بحمد الله على حجّة ، كفكم عنهم حتى يبدءوكم حجّة أُخرى ، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، وإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف القوى والانفس والعقول ، لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة ، فيعير بها وعقبه من بعده.[1]

قال ابن أبي الحديد : وأخذت عائشة كفاً من حصى ، فحصبت به أصحاب علي عليه السلام ، وصاحت بأعلى صوتها : شاهت الوجوه ! كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين ، فقال لها قائل : وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى .

وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار ، وحوله بنوه : حسن وحسين ومحمد عليهم السلام ودفع الراية إلى محمد ، وقال : أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل ، ولا تقفن دونه .

فتقدم محمد ، فرشقته السهام ، فقال لأصحابه : رويداً حتى تنفد سهامهم ، فلم يبق لهم إلا رشقة أو رشقتان . فأنفذ إليه علي عليه السلام يستحثه ، ويأمره بالمناجزة ، فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه ، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن ، وقال له : أقدم لا أُم لك ! فكان محمد إذا ذكر ذلك بعد يبكي ويقول : لكأني أجد ريح نفسه في قفاي ، والله لا أنسى ذلك أبداً .

ثم أدركت علياً عليه السلام رقّة على ولده ، فتناول الراية منه بيده اليسرى ، وذو

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٨ .

الفقار مشهور في يمنى يديه ، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ، ثم رجع وقد انحنى سيفه ، فأقامه بركبته .

فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين . فلم يجب أحداً منهم ولا رد إليهم بصره ، وظل ينحط ويزأر زئير الأسد ، حتى فرق من حوله . وتبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة ، لا يبصر من حوله ، ولا يرد حواراً ، ثم دفع الراية إلى ابنه محمد ، ثم حمل حملة ثانية وحده ، فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً ، والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة ، حتى خضب الأرض بدماء القتلى ، ثم رجع وقد انحنى سيفه ، فأقامه بركبته ، فاعصوصب به أصحابه ، وناشدوه الله في نفسه وفي الاسلام ، وقالوا : إنك إن تصب يذهب الدين ، فأمسك ونحن نكفيك .

فقال : والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة .

ثم قال لمحمد ابنه : هكذا تصنع يا بن الحنفية .

فقال الناس : من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين ![١]

الدعوة إلى القرآن

قال الراوي: واصطف الجيشان، فقابلت ميمنة أمير المؤمنين ، ميسرة أهل البصرة، وأخذ علي مصحفاً فطاف به في أصحابه وقال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٧ .

محشو فقال: أنا، فأعرض عنه ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟

فقال الفتى: أنا، فأعرض عنه ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟

فقال الفتى: أنا، فدفعه إليه فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى فدعاهم، فقطعوا يده اليسرى، فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل.

فقال علي عليه السلام: الآن حل قتالهم.

قال عبدالله بن سلمة: كنت حاضراً يوم الجمل، فرأيت أُم الفتى بعد هذه الحادثة ترثي ابنها وتقول:

يا ربّ إن مسلماً دعاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم

يأمُرهم بأمر من ولاهم ... فخضبوا من دمه قَناهم

وأمهم قائمة تراهم ... يأتمرون الغي لا تنهاهم[1]

راية علي عليه السلام

دفع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل رايته إلى ابنه محمد بن الحنفية، وقد استوت الصفوف، وقال له: تزول الجبال ولا تزل. عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، أرم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك، واعلم

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٢١.

انّ الله معنا .(١)

ثمّ قال له : احمل ، فتوقف قليلاً ، فقال له : احمل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أ ما ترى السهام كأنها شآبيب المطر ! فدفع في صدره ، فقال : أدركك عرق من أُمّك ، ثم أخذ الراية فهزها ، ثم قال :

اطعن بها طعن أبيك تحمد   لا خير في الحرب إذا لم توقد

بالمشرفي والقنا المسدد

ثم حمل عليه السلام وحمل الناس خلفه ، فضعضع أركان عسكر الجمل ، فدفع إليه الراية مرّة أُخرى ، وقال : امح الأُولى بالأُخرى ، وهذه الأنصار معك . وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، في جمع من الأنصار ، كثير منهم من أهل بدر ، فحمل حملات كثيرة ، أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسناً .

فقال خزيمة بن ثابت لعلي عليه السلام : أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح ، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه ، وإن كنت أردت ان تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال .

وقالت الأنصار : يا أمير المؤمنين ، لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين عليهما السلام لما قدمنا على محمد أحداً من العرب .

فقال علي عليه السلام : أين النجم من الشمس والقمر ! أما إنه قد أغنى وأبلى ، وله فضله ، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه ، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه .

---

(١) نهج البلاغة ١ : ٤٣ .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين ، ولا نظلمهما له ، ولا نظلمه ـ لفضلهما عليه ـ حقّه .

فقال علي عليه السلام : أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله صلى الله عليه وآله !

وقيل لمحمد: لِم يغرر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين عليهما السلام!

فقال : إنهما عيناه وأنا يمينه ، فهو يدفع عن عينيه بيمينه .(١)

محمد بن الحنفية

وهو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب ، وأُمّه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس .

روى الربيع بن المنذر عن أبيه قال: وقع بين علي وطلحة كلام، فقال له طلحة: لا كجرأتك على رسول الله سميت باسمه وكنّيت بكنيته وقد نهى رسول الله أن يجمعهما أحد من أُمّته بعده .

فقال علي عليه السلام : إن الجريء من إجترأ على الله وعلى رسوله، اذهب يا فلان فادع فلاناً وفلاناً ـ لنفر من قريش ـ .

قال: فجاؤوا، فقال: بم تشهدون ؟

قالوا: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنه سيولد لك بعدي غلام فقد نحلته اسمي وكنيتي ولا تحل لأحد من أُمّتي بعده .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٤ .

وعن المنذر الثوري قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول ـ وذكر يوم الجمل ـ قال: لما تصافقنا أعطاني علي عليه السلام الراية فرأى مني نكوصاً لما دنا الناس بعضهم إلى بعض، فأخذها مني فقاتل بها.

قال: فحملت يومئذ على رجل من أهل البصرة، فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه، فلما هزموا قال علي: لا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، وقسم فيؤهم بينهم ما قوتل به من سلاح أو كراع، وأخذنا منهم ما أجلبوا به علينا من كراع أو سلاح.[1]

وروى المفيد في أماليه: عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: كان اللواء معي يوم الجمل، وكان أكثر القتلى في بني ضبة[2]، فلما انهزم الناس أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فانتهى إلى الهودج وكأنه شوك القنفذ مما فيه من النبل، فضربه بعصا ثم قال: هيه[3] يا حميراء، أردت أن تقتليني كما قتلت ابن عفان؟! أبهذا أمرك الله أو عهد به إليك رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقالت: ملكت فاسجح.

فقال عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: انظر هل نالها شيء من السلاح؟ فوجدها قد سلمت، لم يصل إليها إلّا سهم خرق في ثوبها خرقاً، وخدشها خدشاً ليس بشيء.

---

(١) الطبقات الكبرى ٥: ٩١.

(٢) بنو ضبة: بطن من طابخة من العدنانية، وبنو ضبة بن أد بن طابخة، كانت ديارهم بجوار بني غنم بالنواحي الشمالية التهامية من نجد ثم انتقلوا في الاسلام إلى العراق للجزيرة الفراتية وبها قتلوا المتنبي الشاعر.

(٣) هيه: بمعنى «ايه» فأبدل من الهمزة هاء، وايه اسم سمى به الفعل ومعناه الأمر، تقول للرجل: ايه، بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود. وأيضا يقال لشيء يطرد هيه هيه ـ بالكسر ـ.

فقال ابن أبي بكر : يا أمير المؤمنين قد سلمت من السلاح إلّا سهماً قد خلص إلى ثوبها فخدش منه شيئاً .

فقال علي عليه السلام : احتملها فأنزلها دار ابني خلف الخزاعي ، ثم أمر مناديه فنادى : لا يدفف على جريح ، ولا يتبع مدبر ، ومن أغلق بابه فهو آمن .(١)

مالك الأشتر وعبدالله بن الزبير

قال عبدالله بن الزبير : مشيت يوم الجمل وبي سبع وثلاثون جراحة من ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم الجمل قط ، ما ينهزم منا أحد وما نحن إلّا كالجبل الأسود ، وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلّا قتل ، فأخذه عبدالرحمن بن عتاب فقتل ، فأخذه الأسود بن أبي البختري فصرع ، وجئت فأخذت بالخطام فقالت عائشة : من أنت ؟

قلت : عبدالله بن الزبير .

قالت : وا ثكل أسماء .

قال : ومرّ بي الأشتر فعرفته فعانقته فسقطنا جميعاً وناديت اقتلوني ومالكاً ، فجاء ناس منا ومنهم فقاتلوا عنّا حتى تحاجزنا وضاع الخطام ، ونادى علي : أعقروا الجمل ، فانّه ان عقر تفرقوا ، فضربه رجل فسقط ، فما سمعت صوتاً قط أشد من عجيج الجمل ، وأمر علي محمد بن أبي بكر فضرب عليها قبة وقال : انظر هل وصل إليها شيء ، فأدخل رأسه فقالت : من أنت ويلك ؟ فقال : أبغض أهلك إليك .(٢)

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد : ٢٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٢٨ .

وقيل للأشتر: قد كنت كارهاً لقتل عثمان فما أخرجك بالبصرة؟

قال: إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوا، وكان ابن الزبير هو الذي أكره عائشة على الخروج، فكنت أدعو الله عزّ وجل أن يلقينيه، فلقيني كفّة لكفّة، فما رضيت بشدة ساعدي أن قمت في الركاب فضربته على رأسه فصرعته.[1]

قلنا: فهو القائل: اقتلوني ومالكاً؟

قال: لا، ما تركته وفي نفسي منه شيء، ذاك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد لقيني فاختلفنا ضربتين فصرعني وصرعته فجعل يقول: اقتلوني ومالكاً، ولا يعلمون من مالك، فلو يعلمون لقاتلوني.[2]

محمد بن طلحة

محمد بن طلحة بن عبيد الله وأُمّه حمنة[3] بنت جحش أخت زينب بنت

---

(١) روى أبو مخنف عن الأصبغ بن نباتة، قال: دخل عمار بن ياسر ومالك بن الحارث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل فقالت عائشة: يا عمار، من معك؟

قال: الأشتر. فقالت: يا مالك، أنت الذي صنعت بابن أختي ما صنعت؟

قال: نعم، ولولا أني كنت طاوياً ثلاثة أيام لارحت أُمّة محمد منه.

فقالت: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم مسلم إلّا بإحد أُمور ثلاث: كفر بعد الايمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق»!!

قال الأشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أُم المؤمنين، وأيم الله ما خانني سيفي قبلها، ولقد أقسمت ألّا يصحبني بعدها. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١: ٢٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٨.

(٣) أُمّه حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ، قتل يوم الجمل مع أبيه سنة ست وثلاثين، وكان هواه مع علي عليه السلام إلّا انّه أطاع أباه، فلما رآه علي قتيلاً قال: هذا السجاد قتله برّه بأبيه، وكان سيّد أولاد طلحة، ونهى علي عليه السلام عن قتله ذلك اليوم فقال:

جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال محمد بن عمر: كان محمد بن طلحة رجلاً فاضلاً في نفسه، وقد أمره عمر بن الخطاب أن ينزل في قبر خالته زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله.

شهد مع أبيه الجمل فقتل يومئذ، ولما قدموا البصرة فأخذوا بيت المال ختماه جميعاً طلحة والزبير وحضرت الصلاة فتدافع طلحة والزبير حتى كادت الصلاة تفوت ثم اصطلحا على أن يصلي عبد الله بن الزبير صلاة ومحمد بن طلحة صلاة، فذهب ابن الزبير يتقدّم عن أوّل صلاة فاقترعا فقرعه محمد بن طلحة، فتقدم فقرأ: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾.

قالوا: وقاتل محمد بن طلحة يوم الجمل قتالاً شديداً، فلما لحم الأمر وعقر الجمل وقتل كلّ من أخذ بخطامه فتقدم محمد بن طلحة فأخذ بخطام الجمل وعائشة عليه، فقال لها: ما ترين يا أمه؟

قالت: أرى أن تكون خير بني آدم، فلم يزل كافاً فأقبل عبد الله بن مكعبر رجل من بني عبد الله بن غطفان حليف لبني أسد، فحمل عليه بالرمح فقال له محمد: أذكرك حم، فطعنه فقتله.[1]

روى عن محمد بن حاطب انّه قال: لما فرغنا من القتال يوم الجمل قام

اياكم وصاحب البرنس؛ قيل: ان أباه أمره بالقتال وكان كارهاً للقتال فتقدم ونثل درعه بين رجليه وقام عليها وجعل كلما حمل عليه رجل قال: نشدتك بحاميم، حتى شدّ عليه رجل فقتله وأنشأ يقول:

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلى حم قبل التقدم

أسد الغابة ٤: ٣٢٢.

(١) الطبقات الكبرى ٥: ٥٤.

علي بن أبي طالب والحسن وعمار بن ياسر وصعصعة بن صوحان والأشتر ومحمد بن أبي بكر يطوفون في القتلى، فأبصر الحسن بن علي قتيلاً مكبوباً على وجهه فرده على قفاه وقال: انّا لله وانّا إليه راجعون، هذا فرع قريش والله.

فقال أبوه عليه السلام: من هو يا بني؟

قال: محمد بن طلحة.

قال: انّا لله وانّا إليه راجعون، ان كان ما علمته لشاباً صالحاً، قتله برّه بأبيه.[1]

بنو ضبّة

قال المدائني والواقدي: ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبّة والأزد، الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه، ولقد كانت الرؤوس تندر[2] عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقتاب البطن[3] تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل، حتى لقد صرخ عليه السلام بأعلى صوته: ويلكم أعقروا الجمل فإنه شيطان!

ثم قال: أعقروه وإلّا فنيت العرب، لا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوى هذا البعير إلى الأرض، فصمدوا له حتى عقروه فسقط وله رغاء شديد، فلما برك كانت الهزيمة.[4]

---

(١) أسد الغابة ٤ : ٣٢٢.

(٢) تندر: تقطع.

(٣) الأقتاب: الأمعاء، واحده قتب، محركة بالتاء أو بكسر فسكون.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٣.

نماذج من أراجيز يوم الجمل

ومن الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل   ننازل الموت إذا الموت نـزل

قالوا : وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه ، نبيل ، عليه جبة ، يحض الناس على الحرب ، ويقول :

يا معشر الأزد عـليكم أمّكـم   فـإنها صـلاتكم وصـومكم
والحرمة العظمى التي تـعمكم   فأحضروها جدكم وحـزمكم
لا يـغلبن سـم العـدو سـمكم   إن العـدو إن عـلاكـم زمكـم
وخـصكم بـجوره وعـمكم   لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

قال أبو مخنف : لم يقل أحد من رجّاز البصرة قـولاً كـان أحب إلى أهـل الجمل من قول هذا الشيخ ، استقتل الناس عند قوله ، وثبتوا حول الجمل .

قال المدائني والواقدى : وهذا الرجز يصدق الرواية أن الزبير وطلحة قاما في الناس ، فقالا : إن علياً إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة ، فاحموا حقيقتكم ، فإنه لا يبقى حرمة إلّا انتهكها ، ولا حريماً إلّا هتكه ، ولا ذرية إلّا قتلها ، ولا ذوات خدر إلّا سباهن ، فقاتلوا مقاتلة من يحمى عن حريمه ، ويـختار المـوت عـلى الفضيحة يراها في أهله .(١)

وقال أبو البختري الطائي : أطافت ضبّة والأزد بعائشة يـوم الجـمل وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل فيفتونه ويشمّونه ويقولون :

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٥ .

بـــعر جـــمل أمّـــنا ريحه ريـح المسك[١]

عمرو بن يثربي

كان عمرو بن يثربى الضبي[٢] فارس أصحاب الجمل وشجاعهم ، وقد قتل الكثير من أصحاب علي ﷺ .

قالوا : كان عمرو أخذ بخطام الجمل ، فدفعه إلى ابنه ، ثم دعا إلى البراز ، فخرج إليه علباء بن الهيثم السدوسي ، فقتله عمرو ، ثم دعا إلى البراز ، فخرج إليه هند بن عمرو الجملي[٣] فقتله عمرو ، ثم دعا إلى البراز ، فقال زيد بن صوحان العبدى لعلي ﷺ : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت يداً أشرفت على من السماء وهي تقول : هلم إلينا ، وأنا خارج إلى ابن يثربي ، فإذا قتلني فادفني بدمي ، ولا تغسلني ، فإني مخاصم عند ربي .

ثم خرج فقتله عمرو ، ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجزاً يقول :

أرديت علباء وهنداً في طلق ثم ابن صوحان خضيباً في علق

ثم ترك ابن يثربي الخطام ، وخرج يطلب المبارزة فاختلف في قاتله ، فقال قوم : إن عمّار بن ياسر خرج إليه ، والناس يسترجعون له ، لأنه كان أضعف من برز

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٥٣٠ .

(٢) عمرو بن يثربي : كان من رؤوس ضبّة في الجاهلية ثم أسلم ، واستقضاه عثمان على البصرة . الاصابة ٥ : ١٢٠ .

(٣) هند بن عمرو الجملي : نسبة إلى نجمل بن سعد العشيرة ، حي من مذحج . الاشتقاق : ٤١٣ .

إليه يومئذ . أقصرهم سيفاً ، وأقصفهم رمحاً ، وأحمشهم ساقاً ، حمالة سيفه من نسعة الرحل ، وذباب سيفه قريب من إبطه . فاختلفا ضربتين ، فنشب سيف ابن يثربي في حجفة عمّار فضربه عمّار على رأسه فصرعه ، ثم أخذ برجله يسحبه حتى انتهى به إلى علي عليه السلام ، فقال ابن يثربي : يا أمير المؤمنين ، استبقني أجاهد بين يديك ، وأقتل منهم مثل ما قتلت منكم .

فقال له علي عليه السلام : أبعد زيد وهند وعلباء أستبقيك ! لا ها الله إذا !

قال : فأدنني منك أسارك .

قال له : أنت متمرد ، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتمردين ، وذكرك فيهم .

فقال : أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضة أبنته منك .

فأمر به عليه السلام فضربت عنقه .(١)

زيد بن صوحان

قال حميد بن هلال : كان زيد بن صوحان يقوم الليل ويصوم النهار وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها فان كان ليكرهها إذا جاءت مما كان يلقى فيها ، فبلغ سلمان ما كان يصنع فأتاه فقال : أين زيد ؟

قالت امرأته : ليس ها هنا .

قال : فانّي أقسم عليك لما صنعت طعاماً ولبست محاسن ثيابك ثم بعثت إلى زيد .

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٩ .

قال: فجاء زيد فقرب الطعام، فقال سلمان: كل يا زيد.

قال: إني صائم.

قال: كل يا زيد لا ينقص أو تنقص دينك إن شر السير الحقحقة، إن لعينك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجتك عليك حقاً، كل يا زيد فأكل وترك ما كان يصنع.[1]

وروى عبد الرحمن بن مسعود، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان.[2]

وعن النعمان أبي قدامة: أنه كان في جيش عليهم سلمان الفارسي فكان يؤمهم زيد بن صوحان يأمره بذلك سلمان.[3]

وقال حميد بن هلال: قام زيد بن صوحان إلى عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين، ملت فمالت أُمّتك، اعتدل تعتدل أُمّتك ثلاث مرار.[4]

وعن علي بن هاشم، عن أبيه: أن زيد بن صوحان أوصى أن يدفن معه مصحفه وكان ثقة قليل الحديث.[5]

وقال أيضاً: قال زيد بن صوحان: لا تغسلوا عني دماً، ولا تنزعوا عني ثوباً إلّا الخفّين وارمسوني في الأرض رمساً، فاني رجل محاج.

---

(١) تاريخ بغداد ٨: ٤٤٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات الكبرى ٦: ١٢٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

قال يعقوب: قتل زيد بن صوحان يوم الجمل.[١]

سيحان بن صوحان

قال شهاب بن عباد: وكان سيحان بن صوحان قتل يوم الجمل، وهو الذي دفن مع أخيه زيد بن صوحان في قبر واحد.

وعن عمار الدهني قال: قال زيد: ادفنوني وابن أمي في قبر ولا تغسلوا عنا دماً فإنا قوم مخاصمون.[٢]

علي عليه السلام والزبير

قال ابن أبي الحديد: برز علي عليه السلام بين الصفّين حاسراً، وقال: ليبرز إليَّ الزبير، فبرز إليه مدججاً؛ فقيل لعائشة: قد برز الزبير إلى علي عليه السلام، فصاحت: وا زبيراه!

فقيل لها: لا بأس عليه منه، إنّه حاسر والزبير دارع.[٣]

قال الطبري: وخرج طلحة والزبير فخرج إليهما علي عليه السلام فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال علي عليه السلام: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من

(١) تاريخ بغداد ٨: ٤٤١، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٧.
(٢) الطبقات الكبرى ٦: ١٢٥.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢: ١٦٧.

بعد قوة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما، فهل من حدث أحل لكما دمي؟

قال طلحة: ألّبت الناس على عثمان.

قال علي عليه السلام: **﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾**[١]، يا طلحة تطلب بدم عثمان، فلعن الله قتلة عثمان، يا طلحة لقد أخرجت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظت زوجتك في بيتها، ألم تبايعني يا طلحة؟

فقال طلحة: لقد بايعتك والسيف على عنقي.[٢]

حديث رسول الله صلى الله عليه وآله

قال الراوي: برز علي عليه السلام يوم الجمل، ونادى بالزبير: يا أبا عبد الله، مراراً، فخرج الزبير، فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما، فقال له علي عليه السلام: إنما دعوتك لاذكرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبّه؟ قلت: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي!

فقال: أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له.

فاسترجع الزبير، وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر، ورجع إلى صفوفه.

فقال له عبد الله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به!

---

(١) النور: ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥١٤.

فقال: أذكرني علي حديثاً أنسانيه الدهر، فلا أحاربه أبداً، وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبد الله: ما أراك إلّا جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنّها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير: ويلك! أتهيجني على حربه، أما إني قد حلفت ألّا أحاربه.

قال: كفّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حر كفارة عن يميني، ثم أنصل سنان رمحه[1]، وحمل على عسكر علي عليه السلام برمح لا سنان له، فقال علي عليه السلام: أفرجوا له، فإنه مخرج، ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة، ثم قال لابنه: أجبناً ويلك ترى!

فقال: لقد أعذرت.

فلما كرّ الزبير راجعاً إلى أصحابه نادماً واجماً، رجع علي عليه السلام إلى أصحابه جذلاً مسروراً، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، تبرز إلى الزبير حاسراً، وهو شاك في السلاح، وأنت تعرف شجاعته!

قال: إنه ليس بقاتلي، إنما يقتلني رجل خامل الذكر، ضئيل النسب، غيلة في غير مأقط حرب، ولا معركة رجال، ويلمه أشقى البشر! ليودن أن أمه هبلت به! أما إنه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن![2]

---

(١) أنصل سنان رمحه: أي نزعه.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١: ٢٣٣.

نهاية الزبير في وادي السباع[1]

نقل الوليد بن عبدالله، عن أبيه قال: لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، ومضى الزبير حتى مرّ بعسكر الأحنف، فلما رآه وأخبر به قال: والله ما هذا انحياز، وقال للناس: من يأتينا بخبره.

فقال عمرو بن جرموز لأصحابه: أنا، فأتبعه، فلما لحقه نظر إليه الزبير وكان شديد الغضب قال: ما وراءك؟

قال: إنما أردت أن أسألك.

فقال غلام للزبير يدعى عطية كان معه: أنه معد.

فقال: ما يهولك من رجل وحضرت الصلاة.

فقال ابن جرموز: الصلاة.

فقال الزبير: الصلاة، فنزلا واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه في جربان درعه فقتله وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وخلى عن الغلام فدفنه بوادي السباع ورجع إلى الناس بالخبر.

فأما الأحنف فقال: والله ما أدري أحسنت أم أسأت؟ ثم انحدر إلى علي وابن جرموز معه فدخل عليه فأخبره، فدعا بالسيف فقال: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله ﷺ وبعث بذلك إلى عائشة، ثم أقبل على الأحنف فقال: تربصت.

فقال: ما كنت أراني إلّا قد أحسنت وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين فارفق فان طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت اليّ غداً أحوج منك أمس، فاعرف

(١) وادي السباع: بين البصرة ومكة، بينه وبين البصرة خمسة أميال. معجم البلدان ٥: ٣٤٣.

احساني واستصف مودتي لغدٍ ولا تقولن مثل هذا فانّي لم أزل لك ناصحاً .

مقتل طلحة(١)

قاد مع الزبير وعائشة الناكثين في حرب الجمل، وكان سبب قتله ان مروان

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، وأُمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية، لما أسلم طلحة والزبير آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما بمكة قبل الهجرة، فلما هاجر المسلمون الى المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين طلحة وبين أبى أيوب الانصاري، لم يشهد بدراً وشهد أحداً ووقى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه واتقى عنه النبل بيده حتى شلت اصبعه.

روى موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: سمّاني رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد طلحة الخير، ويوم العسرة طلحة الفياض، ويوم حنين طلحة الجود.

وقتل طلحة يوم الجمل وكان شهد ذلك اليوم محارباً لعلي بن أبى طالب عليه السلام فزعم بعض أهل العلم أن علياً دعاه فذكره أشياء من سوابقه على ما قال للزبير فرجع عن قتاله واعتزل في بعض الصفوف فرمى بسهم في رجله؛ وقيل: ان السهم أصاب ثغرة نحره فمات رماه مروان بن الحكم.

روى يحيى بن سعيد قال: قال طلحة يوم الجمل:

ندمت ندامة الكسعى لما شريت رضى بني جرم برغمى

اللهمَّ خذ لعثمان منّي حتى يرضى وانما قال ذلك لأنه كان شديداً على عثمان.

وقال علي عليه السلام لما بلغه مسير طلحة والزبير وعائشة: منيت بأربعة أدهى الناس وأسخاهم طلحة وأشجع الناس الزبير وأطوع الناس في الناس عائشة وأكثر الناس غنى يعلى بن منبه، والله ما انكروا عليَّ شيئاً منكراً ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى وانهم يطلبون حقاً تركوه، ودماً سفكوه، ولقد ولوه دوني وان كنت شريكهم في الانكار لما أنكروه وما تبعة عثمان إلّا عندهم، بايعوني ونكثوا بيعتي وما استبانوا فيَّ حتى يعرفوا جوري من عدلي واني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم، واني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم فان قبلوه فالتوبة مقبولة والحق أولى ما انصرف إليه، وان أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل وناصراً.

ابن الحكم رماه بسهم في ركبته فجعلوا إذا أمسكوا فم الجرح انتفخت رجله وإذا تركوه جرى.

قال مروان بن الحكم يوم الجمل: والله لا أترك ثأري وأنا أراه، ولأقتلن طلحة بعثمان، فإنه قتله. ثم رماه بسهم فأصاب مأبضه، فنزف الدم حتى مات.(١)

وفي رواية أُخرى، قال: فأما طلحة، فإن أهل الجمل لما تضعضعوا قال مروان: لا أطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم، فانتحى له بسهم فأصاب ساقه، فقطع أكحله، فجعل الدم يبض، فاستدعى من مولى له بغلة، فركبها وأدبر، وقال لمولاه: ويحك! أما من مكان أقدر فيه على النزول، فقد قتلني الدم! فيقول له مولاه: انجح، وإلا لحقك القوم، فقال: بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا! حتى انتهى إلى دار من دور البصرة، فنزلها ومات بها.(٢)

وقال الطبري: وجعل يقول: قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله في فيئها فمات في تلك الخربة ودفن في بني سعد.(٣)

وكان سبب قتل طلحة ان مروان بن الحكم رماه بسهم في ركبته فجعلوا إذا أمسكوا فم الجرح انتفخت رجله وإذا تركوه جرى فقال: دعوه، فانما هو سهم أرسله الله تعالى فمات منه.

وقال مروان: لا أطلب بثأري بعد اليوم والتفت الى أبان بن عثمان فقال: قد كفيتك بعض قتلة أبيك ودفن الى جانب الكلا، وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين وكان عمره ستين سنة وقيل اثنتان وستون وقيل أربع وستون سنة. أسد الغابة ٣: ٦١.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٩: ٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٩: ١١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٤.

شراسة المعركة

عن الشعبي قال: حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل البصرة فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة أكثرهم ضبّة والأزد، وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر، ويقال إلى أن زالت الشمس ثم انهزموا.

فنادى رجل من الأزد: كرّوا، فضربه محمد بن علي فقطع يده، فنادى: يا معشر الأزد فرّوا، واستحر القتل بالأزد فنادوا نحن على دين علي بن أبي طالب.(١)

وقال مالك بن دينار: حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه بالرمح، فقال: أتريد أن تقتلني؟

قال: لا انصرف.

وروي: انّ أول مبارزة في المعركة كانت بين محمد بن الحنفية وطلحة.

قال الطبري: كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار وأصيب فيه طلحة وذهب فيه الزبير، فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلّا القتال ولم يريدوا إلّا عائشة، ذمرتهم عائشة، فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة، وتزاحف الناس فهزمت يمن البصرة يمن الكوفة وربيعة البصرة ربيعة الكوفة، ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة وقال: إن الموت ليس منه فوت، يدرك الهارب ولا يترك المقيم.(٢)

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٤.

الجمل

قال مالك الأشتر: برز علي عليه السلام بين الصفّين حاسراً ونادى: أعقروا الجمل، فانّه ان عقر تفرقوا، فضربه رجل فسقط، فما سمعت صوتاً قط أشد من عجيج الجمل.

كانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل يومئذ، فتناول الراية من أهل بيته الصعب وأخوه عبدالله بن سليم فقتلوه، فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي في يده.[١]

نقل أبو مخنف عن حبّة العرني قال: لما رأى علي عليه السلام أن الموت عند الجمل، وأنه ما دام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه، وأمر أصحابه بذلك، ومشى نحوه والخطام مع بني ضبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، واستحر القتل في بني ضبّة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وخلص علي عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بجير: دونك الجمل يا بجير، فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض، وعجّ عجيجاً لم يسمع بأشد منه، فما هو إلاّ أن صرع الجمل حتى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب، واحتملت عائشة بهودجها، فحملت إلى دار عبد الله بن خلف، وأمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح.

وقال عليه السلام: لعنه الله من دابة! فما أشبهه بعجل بني إسرائيل، ثم قرأ: **﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً﴾**[٢].[٣]

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٩.

(٢) طه: ٩٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٥.

وعن الاصبغ بن نباتة قال: لما عقر الجمل وقف علي عليه السلام على عائشة فقال: ما حملك على ما صنعت؟

قالت: ذيت وذيت.

فقال: أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد ملأت أُذنيك من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان، أما أحياؤهم فيقتلون في الفتنة، وأما أمواتهم ففي النار على ملّة اليهود.(١)

أبو ثابت

عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع علي عليه السلام يوم الجمل، فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام، فلما فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أُم سلمة فقلت: اني والله ما جئت اسأل طعاماً ولا شراباً ولكني مولى لأبي ذر.

فقالت: مرحباً، فقصصت عليها قصتي فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟

قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عنّي عند زوال الشمس.

قالت: أحسنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع القران، والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا على الحوض.(٢)

قال أبو مخنف: وقام رجل إلى علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، أي فتنة

(١) بحار الأنوار ٢٣: ٢٨٥.

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري ٣: ١٢٤.

أعظم من هذه ؟ إن البدرية ليمشي بعضها إلى بعض بالسيف !

فقال علي عليه السلام : ويحك ، أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها ! والذي بعث محمداً بالحقّ وكرّم وجهه ، ما كَذبت ولا كُذبت ، ولا ضللت ولا ضل بي ، ولا زللت ولا زل بي ، وإني لعلى بيّنة من ربي ، بيّنها الله لرسوله ، وبيّنها رسوله لي ، وسأدعى يوم القيامة ولا ذنب لي ، ولو كان لي ذنب لكفر عني ذنوبي ما أنا فيه من قتالهم .(١)

أمل حُبْشي بن جنادة

حبشي بن جنادة بن نصر بن أسامة، أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وآله وشهد مع علي عليه السلام مشاهده .

قال : عاد حبشي بن جنادة رجل فقال : ما أتخوف عليك إلا مسيرك مع علي .

قال : ما من عملي شيء أرجى عندي منه .(٢)

مروان بن الحكم

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن اُمية بن عبد شمس، كان كاتباً لعثمان ، وأمر له عثمان بأموال من بيت المال حيث كان يوزعها على قرابته صلة لهم . وكان الناس ينقمون على عثمان تقريبه مروان وطاعته له ويرون أن كثيراً مما ينسب إلى عثمان لم يأمر به وأن ذلك عن رأي مروان دون عثمان فكان الناس

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٦٥ .

(٢) الطبقات الكبرى ٦ : ٣٧ .

قد شنفوا لعثمان لما كان يصنع بمروان ويقربه، وكان مروان يحمله على أصحابه وعلى الناس ويبلغه ما يتكلمون فيه ويهددونه به ويريه أنه يتقرب بذلك إليه.

فلما حصر عثمان كان مروان يقاتل دونه أشد القتال وأرادت عائشة الحج وعثمان محصور فأتاها مروان وزيد بن ثابت وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص فقالوا: يا أم المؤمنين لو أقمت فإن أمير المؤمنين على ما ترين محصور ومقامك مما يدفع الله به عنه.

فقالت: قد حلبت ظهري وعريت غرائزي ولست أقدر على المقام، فأعادوا عليها الكلام، فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم، فقام مروان وهو يقول:

وحرق قيس عليَّ البلاد حتى إذا استعرت أجذما

فقالت عائشة: أيها المتمثّل عليَّ بالأشعار وددت والله أنك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كل واحد منكما رحا وأنكما في البحر وخرجت إلى مكة.

قال ابن سعد: فلما قتل عثمان وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان خرج معهم مروان بن الحكم فقاتل يومئذ أيضاً قتالاً شديداً، فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفاً فقال: والله إن دم عثمان إلا عند هذا هو كان أشد الناس عليه وما أطلب أثراً بعد عين ففوق له بسهم فرماه به فقتله.

وقاتل مروان أيضاً حتى ارتث فحمل إلى بيت امرأة من عنزة فداووه

وقاموا عليه فما زال آل مروان يشكرون ذلك لهم.

وانهزم أصحاب الجمل وتوارى مروان حتى أخذ له الأمان من علي بن أبي طالب فأمنه، فقال مروان: ما تقرني نفسي حتى آتيه فأبايعه فأتاه فبايعه ثم انصرف مروان إلى المدينة.(١)

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة: قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه فخلى سبيله.

فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: أولم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته إنها كفّ يهودية، لو بايعني بكفّه لغدر بسبته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر.(٢)

التوقف بعد الحرب

قال الطبري: وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وندب الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم، فطاف علي من معهم في القتلى وصلّى على قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة، وصلّى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، فكانوا مدنيين ومكيين ودفن على

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ٣٨.
(٢) نهج البلاغة ١ : ١٢٣.

الأطراف في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شيء ثم بعث به إلى مسجد البصرة، أن من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان فإنه مما بقى ما لم يعرف، خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عزّ وجل، لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفى شيء وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفل من السلطان.[1]

الغائب الحاضر في المعركة

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال له عليه السلام: أهوى أخيك معنا؟

فقال: نعم.

قال: فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان.[2]

كلام علي عليه السلام مع قتلى الجمل

قال الأصبغ بن نباتة: لما انهزم أهل البصرة ركب علي عليه السلام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء، وكانت باقية عنده، وسار في القتلى يستعرضهم، فمر بكعب بن

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٢.

(٢) نهج البلاغة ١: ٤٤، خ ١٢.

سور القاضي[1] ، قاضي البصرة ، وهو قتيل ، فقال : أجلسوه فأجلس ، فقال له : ويلمك أمك كعب بن سور ! لقد كان لك علم لو نفعك ! ولكن الشيطان أضلك فأزلك ، فعجلك إلى النار ، أرسلوه .

ثم مرّ بطلحة بن عبيد الله قتيلاً ، فقال : أجلسوه ، فأجلس ، فقال : ويلمك

(١) كعب بن سور بن بكر الأزدي ؛ قيل : انه أدرك النبي ﷺ ، وهو قاضي البصرة ، استقضاه عمر بن الخطاب عليها .

روى الشعبي ان كعب بن سور كان جالساً عند عمر بن الخطاب فجاءت امرأة فقالت : ما رأيت قط رجلاً أفضل من زوجي ، انّه ليبيت ليله قائماً ويظل نهاره صائماً في اليوم الحار ما يفطر ، فاستغفر لها عمر وأثنى عليها وقال : مثلك أثنى بالخير وقاله ، فاستحيت المرأة وقامت راجعة ، فقال كعب بن سور : يا أمير المؤمنين ، هلا أعديت المرأة على زوجها إذ جاءتك تستعديك .

قال : أكذلك أرادت ؟

قال : نعم .

قال : ردّوا عليّ المرأة ، فردت فقال : لا بأس بالحق أن تقوليه ان هذا يزعم أنك جئت تشكتين انه يجتنب فراشك .

قالت : أجل اني امرأة شابة واني أتتبع ما يتبع النساء ، فأرسل إلى زوجها فجاء فقال لكعب : اقض بينهما ، فقال : أمير المؤمنين أحق ان يقضي بينهما ، فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما ، فانك فهمت من أمرهما ما لم أفهم ، فقال : اني أرى لها يوماً من أربعة أيام كان زوجها له أربع نسوة فإذا لم يكن له غيرها فاني أقضي له بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن ولها يوم وليلة .

فقال له عمر : والله ما رأيك الأول بأعجب من رأيك الآخر اذهب فأنت قاض على أهل البصرة .

فلم يزل قاضياً عليها إلى أن قتل يوم الجمل مع عائشة خرج بين الصفين معه مصحف فنشره وجعل يناشد الناس في دمائهم وقيل بل دعاهم إلى حكم القرآن فأتاه سهم غرب فقتله . أسد الغابة ٤ : ٢٤٢ .

أمك طلحة ! لقد كان لك قدم لو نفعك ! ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار .

ثمّ مرّ بعبد الله بن خلف الخزاعي ، وكان عليه السلام قتله بيده مبارزة ، وكان رئيس أهل البصرة ، فقال : أجلسوه ، فأجلس ، فقال : الويل لك يا بن خلف ! لقد عانيت أمراً عظيماً .

ومرّ عليه السلام بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، فقال : أجلسوه ، فأجلس ، فقال : هذا يعسوب قريش .[1]

ثمّ مرّ عليه السلام على معبد بن المقداد فقال: رحم الله أبا هذا، أما إنه لو كان حياً لكان رأيه أحسن من رأي هذا .

ثمّ مرّ عليه السلام بمعبد بن زهير بن أبي أمية فقال : لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي نخيرة ولقد أخبرني من أدركه وإنه ليولول فرقاً من السيف .

ثم مرّ بمسلم بن قرظة فقال : البر أخرج هذا ! ! والله لقد كلمني أن أكلم له عثمان في شيء كان يدعيه قبله بمكة فأعطاه عثمان وقال : لولا أنت ما أعطيته إن هذا ما علمت بئس أخو العشيرة ثم جاء المشوم للحين ينصر عثمان .

ثم مرّ عليه السلام بعبد الله بن حميد بن زهير فقال : هذا أيضاً ممن أوضع في قتالنا ، زعم يطلب الله بذلك ولقد كتب إلي كتباً يؤذي عثمان فيها فأعطاه شيئاً فرضي عنه .

ثم مرّ عليه السلام بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال : هذا خالف أباه في الخروج

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤٩ .

وأبوه حين لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا.[١]

الشرارة الأصلية للمعركة

من المناسب ونحن نصل إلى خاتمة الحديث عن معركة الجمل أن نعرف المحرك الأصلي لهذه المعركة ومن أشعل شرارتها الأُولى.

من المعروف انّ عائشة والزبير وطلحة كانوا من أشد المعارضين لسياسة عثمان، وقد لعبوا دوراً كبيراً في اثارة الناس ضد سياسته خصوصاً عائشة التي كانت تصيح «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»، بينما نرى انّ طلحة والزبير من الأوائل الذين بايعوا أمير المؤمنين بعد مقتل عثمان، ولكن عدل علي عليه السلام لم يعجبهم لأنه سلب الدنيا وملذاتها منهما.

قال ابن أبي الحديد: جاء الزبير وطلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة بأيام، فقالا له: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كنّا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت رأي عثمان كان في بني أمية، وقد ولاك الله الخلافة من بعده، فولنا بعض أعمالك، فقال لهما: ارضيا بقسم الله لكما، حتى أرى رأيي، واعلما أني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي، ومن قد عرفت دخيلته، فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس، فاستأذناه في العمرة.[٢]

أما معاوية فعندما علم ما جرى من بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام كتب كتاباً على الفور إلى الزبير قائلاً: «لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي

(١) بحار الأنوار ٢٣ : ٢٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ٢٣١.

سفيان : سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد بايعت لك أهل الشام ، فأجابوا واستوسقوا ...» . وهذا من أساليب معاوية الخبيثة في محاربته لأمير المؤمنين عليه السلام ، فنراه يخاطب الزبير بن العوام بامرة المؤمنين ، ويعلن بيعته له مع أهل الشام ، وكل ذلك من أجل نقض بيعة أمير المؤمنين واثارة الصعوبات والعراقيل في وجه الإمام علي عليه السلام ، لذا فانّ فكرة التحرك ضد الإمام بدأت في مكة بعد بيعة الامام بأيام قلائل ، وكان شعار المطالبة بدم عثمان قد رفع من ذلك الوقت .

كذلك نجد دور مروان بن الحكم في اشعال شرارة المعركة ، فالبرغم من انّه يقاتل أمير المؤمنين لكنه يقوم بقتل طلحة قائلاً : والله إن دم عثمان إلا عند هذا ـ يعني طلحة ـ هو كان أشد الناس عليه وما أطلب أثراً بعد عين ففوق له بسهم فرماه به فقتله .[1]

اذن ، نجد ان المحرك الأساسي للمعركة هم بني اُميّة ، أما عائشة وطلحة والزبير ما هم إلا دمى تتحرك بيدهم .

بني اُميّة

قال عمرو بن مرة : جاء الحكم بن أبي العاص[2] يستأذن النبي صلى الله عليه وآله ، فعرف

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٢ .

(٢) روى نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله فمر الحكم بن أبي العاص فقال النبي صلى الله عليه وآله : ويل لاُمتي ممّا في صلب هذا ، وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله نفاه من المدينة إلى الطائف وخرج معه ابنه مروان ؛ وقيل : ان مروان ولد بالطائف وقد اختلف في السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه وآله ايّاه ؛ فقيل : كان يتسمع سر رسول الله صلى الله عليه وآله ويطلع عليه من باب بيته وانه الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفقأ عينه بمدرى في يده لما اطلع عليه من الباب ؛

كلامه فقال: ائذنوا له، حية، أو ولد حية، عليه لعنة الله، وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمنين، وقليل ما هم، ليترفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.[١]

وقال عبد الله بن عباس، عن أبيه: انّ النبي ﷺ نظر إلى قوم من بني فلان (بني أُمية) يتبخترون في مشيتهم فعرف الغضب في وجهه ثم قرأ: ﴿**والشجرة الملعونة في القرآن**﴾؛ فقيل له: أي الشجرة هي يا رسول الله حتى نجتنبها؟

فقال: ليست بشجرة نبات إنّما هم بنو فلان، إذا ملكوا جاروا، وإذا ائتمنوا خانوا، ثم ضرب بيده على ظهر العباس قال: فيخرج الله من ظهرك يا عم رجلاً يكون هلاكهم على يديه.[٢]

عدد قتلى معركة الجمل

عن محمد وطلحة قالا: كان قتلى الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي عليه السلام ونصفهم من أصحاب عائشة، من الأزد ألفان، ومن سائر اليمن خمسمائة، ومن مضر ألفان وخمسمائة من قيس وخمسمائة من تميم وألف من بني ضبة وخمسمائة من بكر بن وائل.

وقيل: قتل من أهل البصرة في المعركة الأُولى خمسة آلاف، وقتل من أهل

وقيل: كان يحكي رسول الله ﷺ في مشيته وبعض حركاته، وكان النبي ﷺ يتكفأ في مشيته فالتفت يوماً فرآه وهو يتخلج في مشيته فقال: كن كذلك، فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ. أسد الغابة ـ ٢: ٣٤.

(١) البداية والنهاية ٦: ٢٧٢.

(٢) تاريخ بغداد ٤: ١١٣.

البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف.

قالا: وقتل من بني عدي يومئذ سبعون شيخاً كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن.[1]

وصية علي عليه السلام للمحاصرين

قال الطبري: وكان أناس من الجرحى قد لجأوا إلى عائشة فأخبر علي عليه السلام بمكانهم عندها فتغافل عنهم فسكتت، فخرج علي عليه السلام فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة، فغضب وقال: صه لا تهتكن ستراً ولا تدخلن داراً ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن الرجل ليكافيء المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس.[2]

سيرة علي عليه السلام مع أعدائه

عن محمد بن راشد، عن أبيه، قال: كان من سيرة علي عليه السلام أن لا يقتل مدبراً، ولا يذفف على جريح، ولا يكشف ستراً، ولا يأخذ مالاً، فقال قوم يومئذٍ: ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟!

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٤.

فقال علي عليه السلام : القوم أمثالكم، من صفح عنّا فهو منا ونحن منه، ومن لجّ حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر وإن لكم في خمسه لغنى .[١]

وقال ابن أبي الحديد : اتفقت الرواة كلّها على أنه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض ، فقسمه بين أصحابه ، وأنهم قالوا له : اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً .

فقال : لا .

فقالوا : فكيف تحلّ لنا دماءهم وتحرم علينا سبيهم !

فقال : كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام ! أما ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم ، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ، ولا نصيب لكم في شيء منه ، فلما أكثروا عليه قال : فاقرعوا على عائشة ، لادفعها إلى من تصيبه القرعة !

فقالوا : نستغفر الله يا أمير المؤمنين ! ثم انصرفوا .[٢]

العفو العام

بعد نهاية معركة الجمل وانتصار أمير المؤمنين عليه السلام فيها خطب في أهل البصرة ، فبعد حمد الله تعالى والثناء عليه قال :

أما بعد : فإن الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة ، وعفو جم وعقاب أليم ،

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٥٤٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١ : ٢٥٠ .

قضى أن رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه ، وبرحمته اهتدى المهتدون ، وقضى أن نقمته وسطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه ، وبعد الهدى والبينات ما ضل الضالون فما ظنكم يا أهل البصرة وقد نكثتم بيعتي وظاهرتم على عدوي ؟ !

فقام إليه رجل فقال : نظنّ خيراً ، ونراك قد ظهرت وقدرت فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك ، وإن عفوت فالعفو أحب إلى الله تعالى .

فقال : قد عفوت عنكم ، فإياكم والفتنة ، فإنكم أول الرعية نكث البيعة وشق عصا هذه الأُمة .

قال : ثم جلس للناس فبايعوه .(١)

بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين عليه السلام

عن محمد وطلحة قالا : بايع الأحنف من العشي لأنه كان خارجاً هو وبنو سعد ، ثم دخلوا جميعاً البصرة فبايع أهل البصرة على راياتهم ، وبايع علي عليه السلام أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة .(٢)

بيت المال في البصرة

قال أبو الأسود الدؤلي : لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل ، دخل بيت المال

(١) بحار الأنوار ٢٣ : ٢٣٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٤٤ .

بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غري غيري ـ مراراً ـ ثم نظر إلى المال، وصعد فيه بصره وصوب، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم (ستة ملايين درهم)، والناس اثنا عشر ألفا.

وقال حبّة العرني: قسم علي عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة، فقال: يا أمير المؤمنين، كنت شاهداً معك بقلبي، وإن غاب عنك جسمي، فاعطني من الفيء شيئاً. فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم، ولم يصب من الفيء شيئاً.(١)

علي عليه السلام على منبر البصرة

عن معاذة العدوية قالت: سمعت علياً عليه السلام على منبر البصرة يقول:

أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم.(٢)

عائشة بعد الجمل

وأرسل علي عليه السلام ابن عباس إلى عائشة، لكي ينصحها بالرجوع إلى المدينة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ : ٢٤٩.

(٢) أنساب الأشراف: ١٤٦.

قال عبدالله بن عباس: دخلت على عائشة، ولما لم أجد ما أجلس عليه جلست على وسادتها، فقالت: يا ابن عباس، لقد أخطأت بالجلوس على وسادتي وفي بيتي بدون اذني.

فقلت: ان هذا البيت ليس هو البيت الذي أمرك الله بعدم تركه، فاذا كان هو فاني لا أجلس على وسادتك أو أدخله بدون اذنك. ثمّ قلت: انّ أمير المؤمنين يطلب منك الرجوع إلى المدينة.

فقال عائشة: أمير المؤمنين أين وعمر أين؟

قلت: عمر وعلي.

قالت: لا.

وقال جرير بن حازم: سمعت أبا يزيد المديني يقول: قال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ القوم: يا أُم المؤمنين ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك.

قالت: أبو اليقظان؟

قال: نعم.

قالت: والله إنك ما علمت قوال بالحقّ.

قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك.[1]

ارسال عائشة

قال الطبري: وجهز علي عليه السلام عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٨.

أو متاع، وأخرج معها كلّ من نجا ممّن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهّز يا محمد فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦ وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها يوماً.(١)

مَن هي عائشة ؟

هي عائشة بنت أبي بكر، وأُمّها أُم رومان ابنة عامر بن عويمر، ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، وتزوجها الرسول بعد وفاة زوجته الأُولى خديجة، قبل الهجرة بسنتين، وعمرها ست سنوات؛ وقيل: سبع سنين، وبنى بها في شهر شوال، بعد مضي ثمانية عشر شهراً من هجرته إلى المدينة، وبعد غزوة بدر الكبرى، وقبض النبي وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وقد أقامت مع النبي ثمانية أعوام وخمسة أشهر، ومكثت بعده في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان من المؤيدين للحكم القائم، ثم انحرفت عن عثمان، وترأست المعارضين، حتى إذا قتل قادت مناوئي الإمام علي عليه السلام وخصومه إلى حربه ـ حرب الجمل ـ في البصرة، وبعد أن غُلبت في الحرب أعادها الإمام علي عليه السلام مكرمة إلى المدينة حيث بقيت هناك حتى إذا استشهد علي عليه السلام وتربع معاوية على دست الحكم وأخذ يروج نشر فضائل آل أمية خاصة وحزب عائشة ومعارضي الإمام علي عليه السلام عامّة

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٥٨.

أصبح لها في هذا الدور شأن خطير .

وكنيتها أُم عبد الله ، تكنت باسم ابن اختها عبد الله بن الزبير .

توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من شهر رمضان ، من السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة والخمسين ، فصلّى عليها أبو هريرة وهو يومذاك خليفة مروان على المدينة ، ودفنت بوصية منها مع سائر أُمهات المؤمنين في البقيع .[١]

خبر الفتح

قال الطبري : وكتب علي عليه السلام بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة :

من عبدالله علي أمير المؤمنين .

أما بعد : فإنا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخريبة فناء من أفنية البصرة ، فأعطاهم الله عزّ وجل سنة المسلمين وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة وأصيب ممّن أصيب منا ثمامة بن المثنى وهند بن عمرو وعلباء بن الهيثم وسيحان وزيد ابنا صوحان ومحدوح .

وكتب عبدالله بن رافع ، وكان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة .[٢]

(١) راجع : نسب قريش : ٢٣٧ ، وترجمتها في الاستيعاب ٤ : ١٨٨٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٤٥ .

تأمير ابن عباس على البصرة

قال الطبري : وأمّر الإمام علي ﷺ ابن عباس على البصرة، وولّى زياداً الخراج وبيت المال.[١]

دخول علي ﷺ للكوفة

لما قدم على بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين ، وقد أعزّ الله نصره وأظهره على عدوه ، ومعه أشراف الناس وأهل البصرة ، استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم ، فدعوا له بالبركة وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أين تنزل ؟ أتنزل القصر ؟

فقال : لا ، ولكني أنزل الرحبة .

فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وقال : أما بعد ، يا أهل الكوفة ، فإن لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدلوا وتغيروا . دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبدأتم بالمنكر فغيرتم . ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم . فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه. ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل . فأما اتباع الهوى فيصد عن الحقّ ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة .

ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، والآخرة ترحلت مقبلة ، ولكل واحدة منها بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٥٤٢ .

الحمد لله الذي نصر وليه ، وخذل عدوه ، وأعـز الصـادق المـحق ، وأذل الناكث المبطل . عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم ، الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه ، من المنتحلين المدعين المقابلين إليـنا ، يتفضلون بفضلنا ، ويجاحدونا أمرنا ، وينازعونا حقنا ، ويدافعونا عنه . فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غياً .

ألا إنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زار . فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ، ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة .

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي ـ وكان صاحب شرطته ـ فقال : والله إني لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً . والله لئن أمرتنا لنقتلنهم .

فقال علي : سبحان الله يا مالك ، جزت المدى ، وعدوت الحد ، وأغرقت في النزع !

فقال : يا أمير المؤمنين ، لبعض الغشم أبلغ في أمور تـنوبك مـن مـهادنة الأعادي .

فقال علي : ليس هكذا قضى الله يا مالك ، قتل النفس بـالنفس فـما بـال الغشم .

وقال : **﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً﴾**[1].

والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك ، فـقد نـهى الله عـنه ، وذلك هـو الغشم .[2]

---

(١) الاسراء : ٣٣ .

(٢) وقعة صفين : ٤ ـ ٥ .

بيت المال في الكوفة

قال قزعة بن سويد الباهلي : لما فرغ علي بن أبي طالب من أهل الجمل أتى الكوفة فدخل بيت مالها فأضرط به[1] ثم قال : يا مال غري غيري . ثم قسّمه بيننا ، ثم جاءت ابنة للحسن ـ أو للحسين ـ فتناولت منه شيئاً ، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها .

قال : فقلنا : يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقاً ! !

قال : إذا أخذ أبوها حقّه فليعطها ما شاء .

فلما فرغ من قسمته قسم بيننا حبالاً جاءت من البحرين فأبينا قبضها فأكرهنا عليها ، فخرجت كتاناً جيداً فتنافسنا فيها فبلغت دراهم ، ثم عمد إلى بيت المال فكسحه ونضحه بالماء ، ثم صلّى فيه ركعتين ، ثم توسّد رداءه وقال : ينبغي لبيت مال المسلمين أن لا يأتي عليه يوم ـ أو جمعة ـ إلّا كان هكذا ليس فيه شيء قد أخذ كلّ ذي حقّ حقّه .[2]

إرشاد أبو بردة بن عوف

قال ابن مزاحم: فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي ـ وكان ممّن تخلف عنه ـ فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة ، بم قتلوا ؟

(١) هذا كناية عن عدم اعتنائه عليه السلام بما كان فيه وكونه حقيراً لديه ، صغيراً عنده لا شأن له ولا قدر .

(٢) أنساب الأشراف : ١٣٢ .

قال : قتلوا شيعتي وعمالي ، وقتلوا أخا ربيعة العبدي ، رحمة الله عليه ، في عصابة من المسلمين.

قالوا : لا ننكث كما نكثتم ، ولا نغدر كما غدرتم .

فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فسألتهم أن يدفعوا إليَّ قتلة إخواني أقتلهم بهم ، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم ، فأبوا عليَّ ، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي ، فقتلتهم بهم ، أفي شك أنت من ذلك ؟

قال : قد كنت في شكّ ، فأما الآن فقد عرفت ، واستبان لي خطأ القوم ، وأنك أنت المهدي المصيب .[1]

ولاية محمد بن أبي بكر على مصر

كان ممّا أوصى به الإمام علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر :

هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر : أمره بتقوى الله والطاعة له في السر والعلانية وخوف الله في الغيب والمشهد ، وباللين للمسلم وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبإنصاف المظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالاحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ويعذب المجرمين .

وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة ، فإن لهم في ذلك من العافية و عظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه .

(١) وقعة صفين : ٥ .

وأمره أن يلين لهم جناحه وأن يساوي بينهم في مجلسه ووجهه ويكون القريب والبعيد عنده في الحق سواء .

وأمره أن يحكم بين الناس بالعدل ، وأن يقيم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخاف في الله لومة لائم فإن الله مع من اتقاه وآثر طاعته وأمره على من سواه .(١)

قال هشام : أن علياً كتب مع محمد بن أبي بكر كتاباً إلى أهل مصر ، فلما قدم به على قيس قال له قيس : ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني وبينه ؟

قال له : لا وهذا السلطان سلطانك .

قال : لا والله ، لا أقيم معك ساعة واحدة وغضب حين عزله فخرج منها مقبلاً إلى المدينة فقدمها ، فجاء حسان بن ثابت شامتاً به ، وكان حسان عثمانياً ، فقال له : نزعك علي بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الأثم ولم يحسن لك الشكر .

فقال له قيس بن سعد : يا أعمى القلب والبصر ، والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك ، اخرج عني .

ثم إن قيساً خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على علي فخبره قيس فصدقه علي ثم إن قيساً وسهلاً شهدا مع علي عليه السلام صفين .

قال الطبري : عندما وصل محمد بن أبي بكر إلى مصر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق وبصّرنا وإياكم كثيراً

---

(١) تحف العقول : ١٧٦ .

مما عمى عنه الجاهلون، ألا إن أمير المؤمنين ولّاني أموركم وعهد إليَّ ما قد سمعتم وأوصاني بكثير منه مشافهة ولن آلوكم خيراً ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله وتقوى فاحمدوا الله عزّ وجل على ما كان من ذلك فانه هو الهادي، وأن رأيتم عاملاً لي عمل غير الحق زائغاً فارفعوه إليَّ وعاتبوني فيه فاني بذلك أسعد، وأنتم بذلك جديرون، وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته، ثم نزل.(١)

ولبث محمد شهراً ثم بعث الى القوم الذين أفسدوا مصراً فقال لهم: أما ان تدخلوا في طاعتنا واما أن تخرجوا من بلادنا، فأجابوه ان لا نفعل فدعنا حتى ننظر الى ما يصير إليه أمرنا، فأمهلهم محمد فكانت وقعة صفين وهم هائبون من محمد، فلما انقضت وصارت قضية الحكمين طمعوا في محمد وأظهروا له المبارزة، فبعث محمد الحرث بن جهان الجعفي الى خريت وفيها يزيد بن الحرث مع بني كنانة فقاتلهم فقاتلوه، فبعث محمد إليهم أيضاً ابن مضاهم الكلبي فقتلوه، وخرج معاوية بن خديج السكوني وطلب بدم عثمان مع اناس من الأوباش، وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ ذلك امير المؤمنين فقال: ما لمصر إلّا الأشتر.(٢)

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٦.

(٢) الأنوار العلوية: ٤٥٤.

الفصل السابع

إلى صفين



كتاب علي عليه السلام إلى معاوية

لما رجع علي عليه السلام بعد وقعة الجمل إلى الكوفة مجمعاً على قصد الشام بعث إلى جرير بن عبد الله البجلي[1] بهمدان والى الاشعث بن قيس باذربيجان وهما من عمال عثمان بأن ياخذا له البيعة ويحضرا عنده، فلما حضرا بعث جريراً إلى معاوية يعلمه ببيعته ونكث طلحة والزبير وحزبهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس[2]، ودفع إليه كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار إذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيراً. وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء

---

(١) هو جرير بن عبد الله: أبو عمرو ويقال: أبو عبد الله البجلي، أسلم قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بأربعين يوماً، وتوفّي سنة احدى وخمسين؛ وقيل: سنة أربع وخمسين. انظر ترجمته في أسد الغابة: ١: ٢٨٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٩.

الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الامور إلي فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك . وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس وحاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن . ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى . وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله .

قال : واستحثه جرير بالبيعة فقال : يا جرير إنها ليست بخلسة وإنه أمر له ما بعده فأبلعني ريقي حتى أنظر ، ودعا ثقاته وشارهم في الأمر .

فقال له عتبة بن أبي سفيان : استعن على هذا الأمر بعمرو بن العاص وأثمن له بدينه فإنه من قد عرفت وقد اعتزل أمر عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالاً إلا أن يرى فرصة .[1]

كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

روى نصر ، عن عمر بن سعد ومحمد بن عبيد الله قالا : كتب معاوية إلى عمرو :

أما بعد : فإنه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا

(١) بحار الأنوار ٢٣ : ٣٧٠.

مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني أقبل أذاكرك أمراً.

مشورة عمرو بن العاص

قال: فلما قُرىء الكتاب على عمرو استشار ابنيه عبد الله ومحمداً فقال: ما تريان؟

فقال عبد الله: أرى أن نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقر في منزلك فلست مجعولاً خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشك أن تهلك فتشقي فيها.

وقال محمد: أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها ولن يصرم هذا الأمر، وأنت فيه خامل يتصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام فكن يدا من أيديها واطلب بدم عثمان فإنك قد استسلمت فيه إلى بني أُمية.

فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر فيه.

فلمّا جنّه الليل رفع صوته ينشد أبياتاً في ذلك يرددها، فقال عبد الله: ترحل الشيخ.

مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية

قال ابن خلدون: لما أحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص إلى فلسطين

ومعه ابناه عبد الله ومحمد فسكن بها هارباً مما توقعه من قتل عثمان إلى أن بلغه الخبر بقتله فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء حتى أتى دمشق، فبلغه بيعة علي فاشتد عليه الأمر، وأقام ينتظر ما يصنعه الناس، ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجاً من أمره ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب في أمره، وسمع ان معاوية بالشام لا يبايع علياً وانه يعظم قتل عثمان فاستشار ابنيه في المسير إليه فقال له ابنه عبد الله: توفى النبي صلى الله عليه وآله والشيخان بعده وهم راضون عنك، فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس. وقال له محمد: أنت ناب من أنياب العرب، وكيف يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صيت.

فقال: يا عبد الله أمرتني بما هو خير لي في ديني، ويا محمد أمرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي، ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجدوهم يطلبون دم عثمان، فقال: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، فأعرض معاوية قليلاً ثم رجع إليه وشركه في سلطانه.[1]

نصيحة وردان

قال ابن أبي الحديد: ودعا عمرو غلامه وردان، وكان داهياً مارداً، فقال: إرحل يا وردان، ثم قال: أحطط يا وردان ثم قال: إرحل يا وردان. أحطط يا وردان.

فقال له وردان: خلطت أبا عبد الله! أما إنك إن شئت أنباتك بما في قلبك.

قال: هات ويحك!

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٨.

قال : إعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : علي معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة عوض من الدنيا ، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، وأنت واقف بينهما .

قال : قاتلك الله ! ما أخطات ما في قلبي ، فما ترى يا وردان ؟

قال : أرى أن تقيم في بيتك ، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك .

قال : الآن لما أشهرت العرب سيري إلى معاوية ! فارتحل وهو يقول :

يا قاتل الله وردانا وقدحته ... أبدى لعمرك ما في النفس وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها ... بحرص نفسي وفي الاطباع إدهان

نفس تعف وأخرى الحرص يغلبها ... والمرء يأكل تبنا وهو غرثان

أما علي فدين ليس يشركه ... دنيا وذاك له دنيا وسلطان

فاخترت من طمعي دنيا على بصر ... وما معي بالذي أختار برهان

إني لأعرف ما فيها وأبصره ... وفي أيضاً لما أهواه الوان

لكن نفسي تحب العيش في شرف ... وليس يرضى بذل العيش انسان

فسار حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجة معاوية إليه ، فباعده من نفسه ، وكايد كل واحد منهما صاحبه .

الخطر الثلاثي يهدد معاوية

قال معاوية لعمرو يوم دخل عليه : أبا عبد الله ، طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر .

قال : وما ذاك ؟

قال : منها : أن محمد بن أبي حذيفة[1] كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين .

ومنها : أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام .

ومنها : أن علياً نزل الكوفة ، وتهيأ للمسير الينا .

فقال عمرو : ليس كل ما ذكرت عظيماً ، أما إبن أبي حذيفة ، فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلاً يقتله أو يأتيك بـه ، وإن قـاتل لم يضرك .

وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنيه الذهب والفضة ، وسله الموادعة فـإنه إليها سريع .

وأما علي فلا والله يا معاوية ، ما يسوي العرب بينك وبينه في شيء مـن الأشياء ، وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش ، وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه .

---

(١) أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة بن عتبة القرشي العبشمي ، وأُمّه سهلة بن عمرو العامرية ، وهو ابن خال معاوية بن أُبي سفيان ، ولد بأرض الحبشة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله واستشهد أبوه أبو حذيفة باليمامة فضم عثمان ابنه هذا وكفله ورباه . استأذن عثمان في ان يذهب إلى مصر للغزو فأذن له فأخذ هناك يؤلّب الناس على عثمان ، ثم وثب على واليه عبد الله بن سعد بمصر وأخرجه منها وبايعه أهل مصر بالامارة ، ولما استخلف علي أقره عليها فبقي عليها حتى سار إليه معاوية عند مسيره إلى صفين ، فخرج إليهم محمد ومنعه من دخول الفسطاط ثم تصالحوا على ان يخرج محمد بن أبي حذيفة ومن معه آمنين فخرج محمد وثلاثون رجلاً فغدر بهم معاوية وحبسه في سجن دمشق ثم قتله رشدين مولى معاوية ! وكان محمد ممن أدركوا صحبة الرسول . أسد الغابة ٤ : ٣١٥ .

ثمّ قال : والله يا معاوية ما أنت وعلي بحملي بعير ، ليس لك هجرته ولا سابقته ، ولا صحبته ولا جهاده ، ولا فقهه ولا علمه ، ووالله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكني قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاء جميلاً ، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه ، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر ؟

قال : حكمك .

فقال : مصر طعمة . فتلكأ عليه معاوية .[١]

ثمّ قال معاوية لعمرو : يا أبا عبد الله ، إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا .

قال عمرو : دعني عنك .

فقال معاوية : إني لو شئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت .

قال عمرو : لا ، لعمر الله ما مثلي يخدع ، لأنا أكيس من ذلك .

قال معاوية : أدن مني أسارك ، فدنا منه عمرو ليساره ، فعض معاوية أذنه ، وقال : هذه خدعة ! هل ترى في البيت أحداً ليس غيري وغيرك !؟[٢]

قال أبو القاسم البلخي : قول عمرو له : «دعني عنك» كناية عن الالحاد ، بل تصريح به ، أي دع هذا الكلام لا أصل له ، فإن إعتقاد الآخرة . أنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات .

وقال : وما زال عمرو بن العاص ملحداً ، ما تردد قط في الالحاد والزندقة ، وكان معاوية مثله ، ويكفي من تلاعبهما بالاسلام حديث السرار المروي ، وأن

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ٦٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ٦٥ .

معاوية عضّ أذن عمرو، أين هذا من سيرة عمرو ؟ وأين هذا من أخلاق علي عليه السلام وشدته في ذات الله، وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة !

قال نصر : فأنشأ عمرو يقول :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فأربح بصفقة ... أخذت بها شيخا يضر وينفع
وما الدين والدنيا سواء وإنني ... لآخذ ما تعطي ورأسي مقنع
ولكنني أغضي الجفون وإنني ... لأخدع نفسي، والمخادع يخدع
وأعطيك أمراً فيه للملك قوة ... وألفي به إن زلت النعل أصرع
وتمنعني مصرا وليست برغبة ... وإني بذا الممنوع قدما لمولع(١)

قال أبو عثمان الجاحظ : كانت مصر في نفس عمرو بن العاص، لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر، فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره، وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا، لا يستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه.(٢)

قال نصر : فقال له معاوية : يا أبا عبد الله، أما تعلم أن مصر مثل العراق !

قال : بلى، ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك، وإنما تكون لك إذا غلبت علياً على العراق.

قال : وقد كان أهل مصر بعثوا بطاعتهم إلى علي عليه السلام.

فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشتري عمراً

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ : ٦٦.
(٢) نفس المصدر.

بمصر إن هي صفت لك ! ليتك لا تغلب على الشام .

فقال معاوية : يا عتبة ، بت عندنا الليلة ، فلما جنّ الليل على عتبة رفع صوته ليسمع معاوية وقال :

أيــها المــانع سـيفاً لم يـهز إنــما مـلت عــلى خــز وقــز
إنـــما أنت خـــروف مــاثل بـين ضـرعين وصـوف لم يـجز
أعــط عــمراً إن عــمراً تـارك ديـــنه اليـوم لدنـيا لم تـحز
يــا لك الخــير فــخذ مـن درّه شــخبه الأول وابـعد مـا غـرز
واسـحب الذيـل وبـادر فـوقها وإنـــتهزها إن عـــمرا يـنتهز
أعـــطه مـــصراً وزده مـثلها إنــما مـصر لمـن عـز فـبز
واتــرك الحــرص عـليها ضـلة واشـبب النـار لمـقرور يكـز
إن مـــصراً لعـــلي أو لنـــا يـغلب اليـوم عـليها مـن عـجز

قال : فلما سمع معاوية قول عتبة ، أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر ، فقال عمرو : لي الله عليك بذلك شاهد !

قال : نعم ، لك الله عليَّ بذلك إن فتح الله علينا الكوفة .

فقال عمرو : والله على ما نقول وكيل .(١)

المعاهدة بين عمرو بن العاص ومعاوية

قال ابن سعد : ثم خرج عمرو ومعه ابناه حتى قدم على معاوية بن أبي

(١) المصدر السابق .

سفيان فبايعه على الطلب بدم عثمان وكتبا بينهما كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تعاهد عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس من بعد مقتل عثمان بن عفان وحمل كل واحد منهما صاحبه الامانة، إن بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح في أمر الله والاسلام ولا يخذل أحدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة، ولا يحول بيننا ولد ولا والد أبداً ما حيينا فيما استطعنا، فإذا فتحت مصر فإن عمراً على أرضها وإمارته التي أمره عليها أمير المؤمنين وبيننا التناصح والتوازر والتعاون على ما نابنا من الأُمور، ومعاوية أمير على عمرو بن العاص في الناس وفي عامة الأمر حتى يجمع الله الأُمة، فإذا اجتمعت الأُمة فإنهما يدخلان في أحسن أمرها على أحسن الذي بينهما في أمر الله الذي بينهما من الشرط في هذه الصحيفة. وكتب وردان سنة ثمان وثلاثين.

قال: وبلغ ذلك علياً فقام فخطب أهل الكوفة فقال:

أما بعد، فإنه قد بلغني أن عمرو بن العاص الأبتر بن الأبتر بايع معاوية على الطلب بدم عثمان وحضهم عليه فالعضد والله الشلاء عمرو ونصرته.[1]

قال الزهري: كان عمرو يقول لمعاوية حين خرجت الخوارج على علي: كيف رأيت تدبيري لك حيث ضاقت نفسك مستهزئاً على فرسك الورد تستبطئه فأشرت عليك أن تدعوهم إلى كتاب الله وعرفت أن أهل العراق أهل شبهة وأنهم يختلفون عليه فقد اشتغل عنك علي بهم وهم آخر هذا قاتلوه ليس جند أوهن كيداً منهم.[2]

(١) الطبقات الكبرى ٤: ٢٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٤: ٢٥٧.

وقال عبد الواحد بن أبي عون : لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة مصر لعمرو ما عاش ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعنائه وسعيه فيه وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر فلم يفعل معاوية ، فتنكر عمرو لمعاوية فاختلفا وتغالطا وتميز الناس وظنوا أنه لا يجتمع أمرهما فدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح أمرهما وكتب بينهما كتاباً ، وشرط فيه شروطاً لمعاوية وعمرو خاصة وللناس عليه وأن لعمرو ولاية مصر سبع سنين وأن على عمرو السمع والطاعة لمعاوية ، وتواثقا وتعاهدا على ذلك وأشهد عليهما به شهوداً ، ثم مضى عمرو بن العاص على مصر والياً عليها وذلك في آخر سنة تسع وثلاثين ، فوالله ما مكث بها إلا سنتين أو ثلاثاً حتى مات .[١]

عمرو بن العاص وابن عمّه

قال نصر : وكان لعمرو بن العاص إبن عم من بني سهم ، أريب ، فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى وقال : ألا تخبرني يا عمرو بأي رأي تعيش في قريش ! أعطيت دينك وتمنيت دنيا غيرك ! أترى أهل مصر ـ وهم قتلة عثمان ـ يدفعونها إلى معاوية وعلي حي ! وأتراها إن صارت لمعاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمته في الكتاب ؟

فقال عمرو : يا بن أخي إن الأمر لله دون علي ومعاوية .

فقال الفتى :

ألا يا هند أخت بني زياد رمي عمرو بداهية البلاد

---

(١) المصدر السابق .

رمـــي عــمرو بـأعور عـبشمي ... بــعيد القــعر مــخشي الكــياد
له خــدع يــحار العــقل مــنها ... مــزخــرفة صــوائــد للــفؤاد
فشرط في الكـتاب عـليه حـرفا ... يــــناديه بـــخدعته المــنادي
وأثـــبت مــثله عــمرو عــليه ... كـلا المـرايـن حـية بـطن وادي
ألا يا عمرو مـا احـرزت مـصراً ... ولا مــلت الغــداه إلى الرشــاد
أبــعت الديــن بـالدنيا خسـارا ... فــأنت بـذاك مـن شـر العـباد
فلو كـنت الغـداة أخـذت مـصراً ... ولكــن دونــها خــرط القــتاد
وفـدت إلى مـعاوية بـن حـرب ... فكــنت بـها كـوافـد قـوم عـاد
وأعــطيت الذي أعــطيت مـنها ... بــطرس فــيه نـضح مـن مـداد
ألم تــعرف أبــا حســن عــلياً ... ومـا نـالت يـداه مـن الاعـادي
عــدلت بـه مـعاوية بـن حـرب ... فـيا بـعد البـياض مـن السـواد !
ويــا بـعد الأصـابع مـن سـهيل ... ويا بـعد الصـلاح مـن الفسـاد !
أتــأمن أن تــدال عـلى خـدب ... يــحث الخـيل بـالاسل الحـداد
يــــنادي بــالنزال وأنت مــنه ... قــريب فـانظرن مـن ذا تـعادي

فقال عمرو : يا بن أخي، لو كنت عند علي لوسعني ولكني الآن عند معاوية.

قال الفتى : إنك لو لم ترد معاوية لم يردك ، ولكنك تريد دنياه وهو يريد دينك .

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي عليه السلام فحدثه أمره فسر به وقربه .

غضب مروان

قال نصر : وغضب مروان وقال: ما بالي لا أشترى كما اشتري عمرو ؟

فقال معاوية : إنما يشترى الرجال لك .(١)

خيارات عمرو بن العاص

لما تمّ الاتفاق بين عمرو بن العاص ومعاوية، قال معاوية لعـمرو: والآن ماذا نفعل ؟

فقال عمرو لمعاوية : امض الرأي الأوّل، فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه فقتله .

وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه .

ثم قال : ما ترى في علي ؟

قال : أرى فيه خيراً ، إنه قد أتاك في طلب البيعة خير أهل العراق ، ومن عند خير الناس في أنفس الناس ودعواك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطر شديد ، ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي وهو عدو لجـرير المـرسل اليك ، فابعث إليه ووطن له ثقاتك فليفشوا في الناس أن علياً قتل عثمان ، وليكونوا أهل رضا عند شرحبيل فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب وإن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء أبداً .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ٦٨ .

فكتب إلى شرحبيل : إن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مفظع ، فاقدم .

ودعا معاوية يزيد بن أسد ، وبسر بن أرطاة ، وعمرو بن سفيان ، ومخارق بن الحارث الزبيدي ، وحمزة بن مالك ، وحابس بن سعد الطائي ، وهؤلاء رؤوس قحطان واليمن وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبني عم شرحبيل بن السمط فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن علياً قتل عثمان .

فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل وهو بحمص إستشار أهل اليمن فاختلفوا عليه فقام إليه عبد الرحمن بن غنم الأزدي وهو صاحب معاذ بن جبل وختنه وكان أفقه أهل الشام فقال : يا شرحبيل بن السمط ، إن الله لم يزل يزيدك خيراً منذ هاجرت إلى اليوم وإنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، إنه قد ألقي إلى معاوية أن علياً قتل عثمان ولهذا يريدك فإن كان قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار وهم الحكام على الناس وإن لم يكن قتله فعلام تصدق معاوية عليه ! لا تهلكن نفسك وقومك ، فإن كرهت أن يذهب بحظها جرير فسر إلى علي فبايعه عن شامك وقومك .

فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية .

فلما قدم شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظموه، فلما دخل على معاوية تكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا شرحبيل ، إن جرير بن عبد الله قدم علينا يدعونا إلى بيعة علي وعلي خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان وقد حبست نفسي عليك وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا .

فقال شرحبيل : أخرج فأنظر ، فلقيه هؤلاء النفر الموطئون له ، فكلهم أخبره أن علياً قتل عثمان ، فرجع مغضباً إلى معاوية فقال : يا معاوية أبى الناس إلّا أن علياً قتل عثمان ، والله ان بايعت له لنخرجنك من شامنا أو لنقتلنك .

فقال معاوية : ما كنت لاخالف عليكم ، ما أنا إلّا رجل من أهل الشام .

قال : فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذن .

فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأن الشام كله مع شرحبيل .[١]

مَن هو معاوية ؟

معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، وهو معاوية بن أبي سفيان وأُمه هند[٢] بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يجتمع أبوه وأمه في عبد شمس ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند في الفتح ، وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم[٣] .

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ٧٢ .

(٢) قال الطبري : وقد وقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . انظر : تاريخ الطبري ٢ : ٢٠٤ .

(٣) المؤلفة قلوبهم : هم قوم مسلمون قد أقروا بالاسلام ودخلوا فيه ، لكنه لم يستقر في قلوبهم ولم يثبت ثبوتاً راسخاً ، فأمر الله تعالى نبيّه بتألفهم بالمال ، لكي تقوى عزائمهم وتشتد قلوبهم على البناء على هذا الدين ، وهؤلاء هم المنافقون . مستند الشيعة ٩ : ٢٧٦ .

قال ابن الأثير: لما سير أبو بكر الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان، فلما مات يزيد استخلفه على عمله بالشام وهو دمشق، فلما بلغ خبر وفاة يزيد إلى عمر قال لأبي سفيان: أحسن الله عزاك في يزيد، فقال له أبو سفيان: من ولّيت مكانه؟

قال: أخاه معاوية.

قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين.

وعن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطاني حطاة، وقال: اذهب فادع لي معاوية.

قال: فجئت فقلت: هو يأكل، ثم قال: اذهب فادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل.

فقال صلى الله عليه وآله: لا أشبع الله بطنه.

أخرج مسلم هذا الحديث بعينه.

قال ابن الأثير: ولم يزل معاوية والياً على ما كان أخوه يتولاه بالشام خلافة عمر، فلما استخلف عثمان جمع له الشام جميعه ولم يزل كذلك إلى ان قتل عثمان فانفرد بالشام ولم يبايع علياً وأظهر الطلب بدم عثمان فكانت وقعة صفين بينه وبين علي عليه السلام.

ثم لما قتل علي واستخلف الحسن بن علي عليه السلام سار معاوية إلى العراق وسار إليه الحسن بن علي فلما رأى الحسن الفتنة وان الأمر عظيم تراق فيه الدماء ورأى اختلاف أهل العراق سلم الأمر إلى معاوية وعاد إلى المدينة وتسلم معاوية العراق وأتى الكوفة فبايعه الناس.

بقي معاوية خليفة عشرين سنة وأميراً عشرين سنة لأنه ولي دمشق أربع سنين من خلافة عمر، واثنتي عشرة سنة خلافة عثمان، مع ما أضاف إليه من باقي الشام وأربع سنين تقريباً أيام خلافة علي، وستة أشهر خلافة الحسن، وسلم إليه الحسن الخلافة سنة احدى وأربعين؛ وقيل: سنة أربعين والأول أصح.

وتوفي معاوية في النصف من رجب سنة ستين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

ولما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام ورأى معاوية وملكه قال: هذا كسرى العرب!

وروى عبد الرحمن بن أبزي عن عمر انه قال: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، ثم في كذا وكذا وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء.[1]

معاوية واشاعة المنكرات

عن أنس بن مالك قال: صلّى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» لأُم القرآن ولم يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، فلما سلّم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان: يا معاوية، أسرقت الصلوة أم نسيت؟[2]

وعن ابن أبي ليلى قال: استسقى حذيفة فأتاه دهقان باناء فضة فأخذه

(١) أسد الغابة ٤ : ٣٨٣ ـ ٣٨٥.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ١ : ٢٣٣.

فرماه به وقال: ان رسول الله ﷺ نهانا أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل.[١] ولكن معاوية كان يأكل بآنية الذهب والفضة ويلبس الحرير.

قال ابن أبي الحديد: وأما أفعاله ـ أي معاوية ـ المجانبة للعدالة الظاهرة، من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء، فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم.

وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً.

فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول ﷺ، وهو يخبرني عن رأيه! لا أساكنك بأرض أبداً.[٢]

وقال الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلّا واحدة لكانت موبقة:

١ ـ انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة.

٢ ـ واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير.

٣ ـ وادعائه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

٤ ـ وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر ـ قالها مرتين ـ.[٣]

وقال المدائني: تمثّل معاوية بن أبي سفيان في مرضه:

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي ٣: ٢٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥: ١٣٠.

(٣) الموفقيات: ٥٧٤ ح ٣٧٢، الغدير ١٠: ٢٢٥.

لعمري لقد عمرت في الملك برهة / ودانت لي الدنيا بوقع البواتر
وأعطيت حر المال والملك واللهى / وسلم قماقيم الملوك الجبابر
فأضحى الذي قد كان مما يسرني / كلمح مضى في المزمنات الغوابر
فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة / ولم أكن في اللذات أعشى النواظر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغةٍ / من الدهر حتى زار ضنك المقابر[١]

مَن هو عمرو بن العاص ؟

عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي ، وأُمّه النابغة بنت حرملة ، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلّم إليهم من عنده من المسلمين جعفر بن أبي طالب ومن معه فلم يفعل وقال له : يا عمرو كيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقاً .

أسلم عام خيبر ؛ وقيل: كان اسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر ، وكان قد قدم على النبي ﷺ هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ، فتقدم خالد وأسلم وبايع ثم تقدم عمرو فأسلم واستعمله رسول الله ﷺ على عمان ، ثم سيّره أبو بكر أميراً إلى الشام فشهد فتوحه وولى فلسطين لعمر بن الخطاب ثم سيّره عمر في جيش إلى مصر فافتتحها ولم يزل والياً عليها إلى ان مات عمر ، فأمره عليها عثمان أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاعتزل عمرو بفلسطين وكان يأتي المدينة أحياناً وكان يطعن على عثمان ، فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وعاضده وشهد معه صفين .

(١) العقد الفريد ٣: ٨.

ثم سيّره معاوية إلى مصر فأخذها من يد محمد بن أبى بكر وهو عامل لعلي عليه السلام عليها، واستعمله معاوية عليها إلى ان مات سنة ثلاث وأربعين ليلة عيد الفطر.(١)

قال عبد الرحمن بن شماسة: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال ابنه عبد الله: لِم تبكي، أجزعاً من الموت؟

قال: لا والله، ولكن لما بعد الموت. انّي كنت على أطباق ثلاث؛ كنت أوّل شيء كافراً، فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله فلو مت حينئذٍ وجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله كنت أشد الناس حياء منه فلو مت لقال الناس هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير ومات فترجى له الجنة، ثم تلبست بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلي أم لي فإذا مت فلا تبكين عليَّ باكية ولا تتبعني نائحة.(٢)

عمرو بن العاص يحاول خداع عبدالله بن عمر

قال ابن سعد في طبقاته: دس معاوية عمرو بن العاص وهو يريد أن يعلم ما في نفس عبدالله بن عمر يريد القتال أم لا، فقال: يا أبا عبد الرحمن ما يمنعك أن تخرج فنبايعك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وابن أمير المؤمنين وأنت أحق الناس بهذا الأمر.

قال: وقد اجتمع الناس كلهم على ما تقول؟

---

(١) أسد الغابة ٤: ١١٥ ـ ١١٧.

(٢) أسد الغابة ٤: ١١٨.

قال: نعم، إلّا نفر يسير.

قال: لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهجر لم يكن لي فيها حاجة.

قال: فعلم أنه لا يريد القتال.

قال: هل لك أن تبايع لمن قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده.

فقال: أف لك، أخرج من عندي ثم لا تدخل عليّ ويحك إن ديني ليس بديناركم ولا درهمكم، وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية.[1]

ونقل ابن عبد البر في الاستيعاب: ان عبدالله بن عمر أظهر ندمه عندما حضرته الوفاة بانّه لم يقاتل بين يدي علي عليه السلام.[2]

وقال حبيب بن أبي ثابت: بلغني عن ابن عمر في مرضه الذي مات فيه قال: ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلّا أني لم أقاتل الفئة الباغية.[3]

خروج علي عليه السلام لحرب معاوية وما قاله لكبار المهاجرين والأنصار

عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: لما أراد علي عليه السلام المسير إلى الشام، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار، فجمعهم، ثم حمد الله وأثنى عليه، وقال:

---

(١) الطبقات الكبرى ٤ : ١٦٤.

(٢) الاستيعاب ١ : ٧٧.

(٣) الطبقات الكبرى ٤ : ١٨٧.

أما بعد ، فإنكم ميامين الرأي ، مراجيح الحلم ، مباركو الأمر ، ومقاويل بالحق ، وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم .

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، يا أمير المؤمنين ، فأنا بالقوم جد خبير ، هم لك ولأشياعك أعداء ، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك لا يبقون جهداً ، مشاحة على الدنيا ، وضناً بما في أيديهم منها ، ليس لهم إربة غيرها ، إلا ما يخدعون به الجهال من طلب دم ابن عفان ، كذبوا ليس لدمه ينفرون ، ولكن الدنيا يطلبون ، انهض بنا إليهم فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلّا الضلال ، وإن أبوا إلّا الشقاق ، فذاك ظنّي بهم ، والله ما أراهم يبايعون وقد بقي فيهم أحد ممن يطاع إذا نهى ، ويسمع إذا أمر .[1]

قال نصر : وقام عمّار بن ياسر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل استعار نار الفجرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حظهم ورشدهم ، فإن قبلوا سعدوا ، وإن أبوا إلّا حربنا ، فوالله إن سفك دمائهم ، والجد في جهادهم ، لقربة عند الله ، وكرامة منه .

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، انكمش بنا إلى عدونا ولا تعرج ، فوالله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد الترك والروم ، لادهانهم في دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٧١ .

حبسوه وضربوه وحرموه وسيروه ، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ، ونحن لهم فيما يزعمون قطين[١].

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب ، وغيرهما : لم تقدمت أشياخ قومك وبدأتهم بالكلام يا قيس ؟

فقال : أما إني عارف بفضلكم، معظم لشأنكم ، ولكني وجدت في نفسي الضغن الذي في صدوركم جاش حين ذكرت الأحزاب .

فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم .

فقام سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، نحن سلم لمن سالمت ، وحرب لمن حاربت ، ورأينا رأيك ، ونحن يمينك ، وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص ، وتخبرهم بما صنع لهم في ذلك من الفضل ، فإنهم أهل البلد وهم الناس ، فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب ، فأما نحن فليس عليك خلاف منا ، متى دعوتنا أجبناك ، ومتى أمرتنا أطعناك .

فقام الأشتر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يهدنك ما رأيت ، ولا يؤيسنك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن ، إن جميع من ترى من الناس شيعتك ، لا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ، ولا يحبون البقاء بعدك ، فإن شئت فسر بنا إلى عدوك ، فو الله ما ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبّه ، وإنا لعلى بينة من ربنا ، وإن أنفسنا لن تموت حتى يأتي أجلها . وكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين ، وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين

(١) قطين : رقيق .

بالأمس، وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير!

ثمّ قام يزيد بن قيس الأرحبي، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن أولو جهاز وعدة، و أكثر الناس أهل قوة، ومن ليس به ضعف ولا علّة، فمر مناديك، فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة[1]، فإن أخا الحرب ليس بالسئوم ولا النئوم، ولا من إذا أمكنته الفرص أجلها، واستشار فيها، ولا من يؤخر عمل الحرب في اليوم لغد وبعد غد.

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين، وقال ما يعرف، فتوكل على الله، وثق به، وأشخص بنا إلى هذا العدو راشداً معاناً، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك رغبة عنك إلى من ليس له مثل سابقتك وقدمك وإلا ينيبوا ويقبلوا ويأبوا إلّا حربنا نجد حربهم علينا هيناً، ونرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء، فقال: يا أمير المؤمنين، إن القوم لو كانوا الله يريدون، ولله يعملون، ما خالفونا، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الاسوة وحباً للأثرة، وضنّاً بسلطانهم، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إحن في نفوسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين، بهم قديمة، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم.

ثم التفت إلى الناس، فقال: كيف يبايع معاوية علياً، وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجدّه عتبة في موقف واحد، والله ما أظنهم يفعلون، ولن يستقيموا

---

(١) النخيلة تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه علي عليه السلام لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها. الغارات ١ : ٢٩.

لكم دون أن تقصف فيهم قنا المران ، وتقطع على هامهم السيوف ، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد ، وتكون أمور جمة بين الفريقين.(١)

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

قال نصر : وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية :

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر .

سلام على أهل طاعة الله ممّن هو سلم لأهل ولاية الله .

أما بعد :

فإنّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته ، خلق خلقاً بلا عبث ولا ضعف في قوته ، لا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم شقياً وسعيداً ، وغوياً ورشيداً ، ثم اختارهم على علمه ، فاصطفى وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وآله ، فاختصه برسالته ، واختاره لوحيه ، وائتمنه على أمره ، وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان أول من أجاب وأناب ، وصدق ووافق فأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فصدقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه كل هول ، وواساه بنفسه في كل خوف ، فحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ، ومقامات الروع ، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ،

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٧١ ـ ١٨٠ .

وهو هو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيّة، وأطيب الناس ذريّة، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم.

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك، من بقيه الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله، والشاهد لعلي مع فضله وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب، يجالدون حوله بأسيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسره، ويشركه في أمره، وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع ما استطعت بباطلك، وليمددك لك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا.

واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور. وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء! والسلام على من اتبع الهدى.

جواب معاوية على كتاب محمد بن أبي بكر

فكتب إليه معاوية:

من معاوية بن أبى سفيان ، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر .

سلام على أهل طاعة الله ، أما بعد :

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه ، وما أصفى به نبيه ، مع كلام ألفته ووضعته ، لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سابقته ، وقرابته من نبي الله ونصرته له ، ومواساته إياه ، في كل خوف وهول ، واحتجاجك عليَّ ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك .

فأحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا ، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأفلج حجته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه ، أول من ابتزه وخالفه ، على ذلك اتفقا واتسقا ، ثم دعواه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما ، وتلكأ عليهما ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايعهما وسلم لهما ، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قبضا وانقضى أمرهما .

ثم أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان ، يهتدى بهديهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك ، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، وبطنتما وظهرتما ، وكشفتما له عداوتكما وغلكما ، حتى بلغتما منه مناكما ، فخذ حذرك يا بن أبي بكر ، فسترى وبال أمرك ، وقس شبرك بفترك ، تقصر عن أن تساوى أو توازى من يزن الجبال حلمه ، ولا تلين على قسر قناته ولا يدرك ذو مدى أناته .

أبوك مهد له مهاده ، وبنى ملكه وشاده ، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جوراً فأبوك أسه ونحن شركاؤه ، فبهديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ،

رأينا أباك فعل ما فعل ، فاحتذينا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعب أباك بما بدا لك ، أو دع . والسلام على من أناب ، ورجع من غوايته وناب .(١)

دعوة علي عليه السلام الناس لحرب معاوية

قال نصر : ثم إن علياً عليه السلام صعد المنبر فخطب الناس ، ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

إن الله قد أكرمكم بدينه ، وخلقكم لعبادته ، فأنصبوا أنفسكم في أداء حقه ، وتنجزوا موعوده ، واعلموا أن الله جعل أمراس الاسلام متينة ، وعراه وثيقة ، ثم جعل الطاعة حظ الانفس ورضا الرب ، وغنيمة الأكياس عند تفريط العجزة ، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها ، ولا قوة إلا بالله ! ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه ، وتناول ما ليس له وما لا يدركه معاوية وجنده ، الفئة الطاغية الباغية ، يقودهم إبليس ، ويبرق لهم ببارق تسويفه ، ويدليهم بغروره ، وأنتم أعلم الناس بالحلال والحرام ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان ، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة ، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته ، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى ، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس عني ، وقال : في غيري كفاية ، فإن الذود إلى الذود إبل ، ومن لا يذد عن حوضه يتهدم .

ثم إني آمركم بالشدّة في الأمر ، والجهاد في سبيل الله ، وألا تغتابوا مسلماً ، وانتظروا للنصر العاجل من الله إن شاء الله .(٢)

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٨٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٨٤ .

خطبة الحسن بن علي عليه السلام

قال نصر : ثم قام ابنه الحسن بن علي عليهما السلام ، فقال : الحمد لله لا إله غيره ولا شريك له .

ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدي شكره ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا لله ولكم ، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدتهم . فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تخاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب ، وإن الاقدام على الأسنة نخوة وعصمة ، لم يتمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ، هداهم إلى معالم الملة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رضيت به   والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

خطبة الحسين بن علي عليه السلام

ثم قام الحسين بن علي عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا أهل الكوفة ، أنتم الأحبة الكرماء ، والشعار دون الدثار ، جدوا في إطفاء ما دثر بينكم ، وتسهيل ما توعر عليكم .

ألا إن الحرب شرها ذريع وطعمها فظيع ، فمن أخذ لها أهبتها ، واستعد لها عدتها ، ولم يألم كلومها قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه فيها ، فذاك قمن ألا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن يدعمكم بالفيئة ثم نزل .

أصحاب عبدالله بن مسعود

قال نصر : فأجاب علياً عليه السلام إلى السير جلّ الناس ، إلّا أن أصحاب عبد الله ابن مسعود أتوه ، فيهم عبيدة السلماني وأصحابه ، فقالوا له : إنا نخرج معكم ، ولا نترك عسكركم ونعسكر على حدة ، حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام ، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له أو بدا لنا منه بغي كنا عليه .

فقال لهم علي عليه السلام : مرحباً وأهلاً ، هذا هو الفقه في الدين ، والعلم بالسنّة ، من لم يرض بهذا فهو خائن جبار .

وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود ، منهم الربيع بن خثيم ، وهم يومئذ أربعمائة رجل ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنا قد شككنا في هذا القتال ، على معرفتنا بفضلك ، ولا غناء بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمن يقاتل العدو ، فولنا بعض هذه الثغور نكمن ثم نقاتل عن أهله .

فوجّه علي عليه السلام بالربيع بن خثيم على ثغر الري ، فكان أول لواء عقده عليه السلام بالكوفة لواء الربيع بن خثيم .[1]

قميص عثمان على منبر دمشق

قال نصر : فلما نزل علي عليه السلام النخيلة متوجهاً إلى الشام ، وبلغ معاوية خبره ، وهو يومئذ بدمشق ، قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مختضباً بالدم ، وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله ، لا تجف دموعهم على عثمان ، خطبهم ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٨٤ .

وقال : يا أهل الشام ، قد كنتم تكذبونني في علي ، وقد استبان لكم أمره ، والله ما قتل خليفتكم غيره، وهو أمر بقتله ، وألّب الناس عليه ، وآوى قتلته ، وهم جنده وأنصاره وأعوانه ، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لابادتكم .

يا أهل الشام ، الله الله في دم عثمان ! فأنا وليّه وأحقّ من طلب بدمه ، وقد جعل الله لولي المقتول ظلماً سلطاناً ، فانصروا خليفتكم المظلوم ، فقد صنع القوم به ما تعلمون ، قتلوه ظلماً وبغياً ، وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله . ثم نزل .

قال نصر : فأعطوه الطاعة وانقادوا له ، وجمع إليه أطرافه ، واستعد للقاء علي عليه السلام .(١)

خطبة علي عليه السلام في النخيلة

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة ومتوجهاً إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ، فقال :

الحمد لله كلما وقب ليل وغسق ، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق ، والحمد لله غير مفقود الأنعام ، ولا مكافىء الأفضال .

أما بعد : فقد بعثت مقدّمتي ، وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط(٢) حتى يأتيهم

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٩٦ .

(٢) قال الرضي رحمه الله : يعني عليه السلام بالملطاط هاهنا السمت الذي أمرهم بلزومه ، وهو شاطيء الفرات ، ويقال ذلك أيضاً لشاطيء البحر ، وأصله ما استوى من الأرض ، ويعني بالنطفة ماء الفرات ، وهو من غريب العبارات وعجيبها .

أمري ، وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة منكم ، موطنين أكناف دجلة ، فأنهضهم معكم إلى عدوكم ، وأجعلهم من أمداد القوة لكم .

قال ابن أبي الحديد : وقد ذكرها ـ هذه الخطبة ـ جماعة من أصحاب السير ، وزادوا فيها :

وقد أمرت على المصر عقبة بن عمرو الأنصاري ، ولم الكم ولا نفسي ، فإياكم والتخلف والتربص ، فإني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي ، وأمرته ألا يترك متخلفاً إلا ألحقه بكم عاجلاً ، ان شاء الله

قال نصر : فقام إليه معقل بن قيس الرياحي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما يتخلف عنك إلا ظنين ، ولا يتربص بك إلا منافق ، فمر مالك بن حبيب فليضرب أعناق المتخلفين .

فقال عليه السلام : قد أمرته بأمري ، وليس بمقصر إن شاء الله .[١]

الحركة إلى صفين

عندم عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الشام قرأ الدعاء التالي :

اللهمَّ إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال .

اللهمَّ أنت الصاحب في السفر ، وأنت الخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ٢٠١ .

لأن المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفاً.[١]

وعندما أراد الخروج من الكوفة أراد قوم أن يتكلموا، فدعا بدابته فجاءته، فلما أراد أن يركب وضع رجله في الركاب وقال: «بسم الله»، فلما جلس على ظهرها قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون﴾[٢].

وقال مالك بن حبيب ـ وهو على شرطة علي عليه السلام ـ وهو آخذ بعنان دابته: يا أمير المؤمنين، أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال؟

فقال له علي عليه السلام: إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه، وأنت هاهنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم.

فقال: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

فخرج علي عليه السلام حتى إذا جاز حد الكوفة صلّى ركعتين.

قال نصر: أن علياً صلّى بين القنطرة والجسر ركعتين.

وروى زيد بن علي، عن آبائه عن علي عليه السلام قال: خرج علي عليه السلام وهو يريد صفين حتى إذا قطع النهر أمر مناديه فنادى بالصلاة.

قال: فتقدّم فصلّى ركعتين، حتى إذا قضى الصلاة أقبل علينا فقال:

يا أيها الناس، ألا من كان مشيعاً أو مقيماً فليتم الصلاة فإنا قوم على سفر،

(١) نهج البلاغة ١: ٩٦، خ ٤٦.
(٢) الزخرف: ١٣.

ومن صحبنا فلا يصم المفروض، والصلاة المفروضة ركعتان.

قال: ثم خرج حتى أتى دير أبي موسى، وهو من الكوفة على فرسخين، فصلّى بها العصر، فلما انصرف من الصلاة قال: سبحان ذي الطول والنعم، سبحان ذي القدرة والإفضال، أسأل الله الرضا بقضائه، والعمل بطاعته، والإنابة إلى أمره، فإنه سميع الدعاء.

ثم خرج حتى نزل على شاطيء نرس[1]، بين موضع حمام أبي بردة وحمام عمر، فصلّى بالناس المغرب، فلما انصرف قال: الحمد لله الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، والحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق، ثم أقام حتى صلّى الغداة، ثم شخص حتى بلغ قبّة قبين وفيها نخل طوال إلى جانب البيعة من وراء النهر. فلما رآها قال: ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾[2]، ثم أقحم دابته النهر فعبر إلى تلك البيعة فنزلها فمكث بها قدر الغداة.[3]

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: لمّا خرج علي بن أبي طالب إلى صفين مرّ بخراب المدائن فتمثّل رجل من أصحابه فقال:

جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد
وإذا النعيم وكل ما يلهى به ... يوما يصير إلى بلى ونفاد

---

(١) نرس ـ بفتح النون في أوّله ـ: نهر حفره نرسي بن بهرام بنواحي الكوفة، مأخذه من الفرات.

(٢) ق: ١٠.

(٣) وقعة صفين: ١٣٤.

فقال علي عليه السلام: لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال الله عزّ وجل: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾[١]، انّ هؤلاء القوم كانوا وارثين فأصبحوا موروثين وان هؤلاء القوم استحلوا الحرم فحلت بهم النقم فلا تستحلوا الحرم فتحل بكم النقم.[٢]

أرض بابل

قال نصر: عمر، عن رجل ـ يعني أبا مخنف[٣]، عن عمه ابن مخنف قال: إني لأنظر إلى أبي، مخنف بن سليم وهو يساير علياً ببابل[٤]، وهو يقول: إن ببابل أرضاً قد خسف بها، فحرك دابتك لعلنا أن نصلّي العصر خارجاً منها.

قال: فحرك دابته وحرك الناس دوابهم في أثره، فلما جاز جسر الصراة نزل فصلى بالناس العصر.[٥]

---

(١) الدخان: ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٤٣.

(٣) أبو مخنف، هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة. روى عن الصعق بن زهير، وجابر الجعفي، ومجالد، وروى عنه المدائني، وعبد الرحمن بن مغراء، ومات قبل السبعين ومائة. منتهى المقال: ٢٤٨، لسان الميزان ٢: ٢٩٢.

(٤) بابل ـ بكسر الباء ـ: اسم ناحية بين الكوفة والحلة؛ وقيل: بابل العراق؛ وقيل: أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أوّل من عمّرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح عليه السلام. معجم البلدان ١: ٤٤٧.

(٥) وقعة صفين: ١٣٥.

وقال عبد خير: كنت مع علي أسير في أرض بابل، فحضرت صلاة العصر، فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح[١] من الآخر، حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب.

قال: فنزل علي عليه السلام ونزلت معه، فدعا عليه السلام الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر[٢]، فصلينا العصر، ثم غابت الشمس، ثم خرج حتى أتى دير كعب، ثم خرج منها فبات بساباط[٣]، فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزل[٤] والطعام، فقال: لا، ليس ذلك لنا عليكم.[٥]

نزول علي عليه السلام بكربلاء

وروى نصر عن هرثمة بن سليم، قال: غزونا مع علي عليه السلام صفين، فلما نزل بكربلاء صلّى بنا، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها، ثم قال: واهاً لك يا تربة! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

قال: فلما رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير ـ وكانت من شيعة علي عليه السلام ـ حدّثها هرثمة فيما حدث، فقال لها: ألا أعجبك من صديقك أبي حسن! لما نزلنا كربلاء، وقد أخذ حفنة من تربتها فشمها، وقال: «واهاً لك أيتها

---

(١) أفيح من الفيح: وهو الخصب والسعة. وفي بعض المصادر: أقبح.

(٢) قصة ردّ الشمس مشهورة وقد ذكرت في كتب الفريقين.

(٣) ساباط: مدينة قرب المدائن بناها بلاش بن فيروز بن يزجرد، وتسمى ساباط كسرى. مراصد الاطلاع ٢: ٦٨٠.

(٤) النزل، بضم وبضمتين: ما يهيأ للضيف.

(٥) تاريخ بغداد ١: ١٤٥.

التربة ! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب» : وما علمه بالغيب ؟

فقالت المرأة له : دعنا منك أيها الرجل ، فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلّا حقاً .

قال : فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام ، كنت في الخيل التي بعث إليهم ، فلما انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه ، عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي عليه السلام ، والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله ، فكرهت مسيري ، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام فسلّمت عليه ، وحدّثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل ، فقال الحسين : أ معنا أم علينا ؟

فقلت : يا بن رسول الله ، لا معك ولا عليك ، تركت ولدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد .

فقال الحسين عليه السلام : فول هرباً حتى لا ترى مقتلنا ، فوالذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا يعيننا إلّا دخل النار .

قال : فأقبلت في الأرض أشتد هرباً ، حتى خفي عليَّ مقتلهم .(١)

قال سعيد بن وهب : عندما تحرك علي عليه السلام إلى صفين بعثني مخنف بن سليم إليه عليه السلام . فأتيته بكربلاء ، فوجدته يشير بيده ويقول : هاهنا هاهنا .

فقال له رجل : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : ثقل لآل محمد ينزل هاهنا فويل لهم منكم ، وويل لكم منهم .

فقال له الرجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ١٦٩ .

قال عليه السلام : ويل لهم منكم : تقتلونهم ، وويل لكم منهم : يدخلكم الله بقتلهم إلى النار .

وقد روى هذا الكلام على وجه آخر : أنه عليه السلام قال : فويل لكم منهم ، وويل لكم عليهم .

قال الرجل : أما ويل لنا منهم فقد عرفت ، وويل لنا عليهم ما هو ؟

قال عليه السلام : ترونهم يقتلون ولا تستطيعون نصرهم .(١)

وعن الحسن بن كثير ، عن أبيه : أن علياً أتى كربلاء فوقف بها ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، هذه كربلاء .

قال : ذات كرب وبلاء .

ثم أومأ بيده إلى مكان فقال : هاهنا موضع رحالهم ، ومناخ ركابهم وأومأ بيده إلى موضع آخر فقال : هاهنا مهراق دمائهم .(٢)

علي عليه السلام في المدائن

روى محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي، قال: حدّثني جدي سنان قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين توجه إلى الشام وجرير بن سهم التميمي امامه يقول :

يا فرسي سيري وامي الشاما   وقطعي الأجفار والأعلاما

(١) وقعة صفين : ١٤١ .

(٢) وقعة صفين : ١٤٢ ، شرح نهجالبلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٦٨ .

وقــاتلي مــن خــالف الإمــاما انــي لأرجــو ان لقــينا العــاما
ان نــقتل العــاصي والهــماما وان نــزيل مــن رجــال هــاما

قال: ولما وصلت إلى المدائن قال جرير:

عفت الرياح على رسوم ديارهم فكــأنما كــانوا عــلى مــيعاد

فقال له علي بن أبي طالب: كيف قلت يا أخا بني تميم.

قال: فردد عليه البيت.

قال: أفلا قلت: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾[1]، أي أخي هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، ان هؤلاء كفروا النعم فحلت بهم النقم.

ثم قال: إياكم وكفر النعم ـ قالها ثلاثاً ـ فتحل بكم النقم.

فنزل وقال: هيئوا إليَّ ماء أصب عليَّ.

قال: فهيئوا له ماء، فدخل فإذا صور في الحائط، قال: كانت هذه كنيسة؟

قالوا: نعم، كان يشرك فيها الله كثيراً.

قال عليه السلام: وكان يذكر فيها الله كثيراً.

قال: فأبى أن يغتسل، فحولوا له إلى موضع آخر فاغتسل.[2]

وقال أبو عطاء الثقفي: أنه رأى علي بن أبي طالب عليه السلام حين دخل الايوان بالمدائن أمر بالتماثيل التي في القبلة فقطع رؤوسها ثم صلّى.[3]

---

(١) الدخان: ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) تاريخ بغداد ٩: ٢١٣.

(٣) تاريخ بغداد ٧: ٣.

وعن حبّة العرني قال: أمر علي بن أبي طالب الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن: من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين صلاة العصر. فوافوه في تلك الساعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال عليه السلام:

أما بعد: فإني قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم، وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم أهلها، والهالك أكثر سكانها لا معروفاً تأمرون به، ولا منكراً تنهون عنه.

قالوا: يا أمير المؤمنين، إنّا كنّا ننتظر أمرك ورأيك، مرنا بما أحببت.

فسار وخلف عليهم عدي بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج في ثمانمائة، وخلف ابنه يزيد فلحقه في أربعمائة رجل منهم، ثم لحق علياً عليه السلام.[١]

وعن عمرو بن بعجة قال: رأيت علياً عليه السلام بالمدائن أتي ببغلة دهقان، فلما وضع يده على قربوس السرج زلّت، فقال: ما هذا؟ قالوا: ديباج، فأبى أن يركبها.[٢]

علي عليه السلام في الأنبار[٣]

قال ابن الحديد: وجاء علي عليه السلام حتى مرّ بالأنبار، فاستقبله دهاقينها، فلما استقبلوه، نزلوا عن خيولهم، ثم جاءوا يشتدون معه، وبين يديه ومعهم براذين قد

(١) وقعة صفين: ١٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٦: ٢٤٤.

(٣) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد، كانت الفرس تسميها فيروز سابور، أوّل من عمّرها سابور ذو الأكتاف، سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير. مراصد الاطلاع ١: ١٢٠.

أوقفوها في طريقه ، فقال : ما هذه الدواب التي معكم ؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم ؟

قالوا : أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأُمراء ، وأما هذه البراذين فهدية لك ، وقد صنعنا للمسلمين طعاماً ، وهيأنا لدوابكم علفاً كثيراً .

فقال عليه السلام : أما هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلق تعظمون به الأُمراء فوالله ما ينفع ذلك الأُمراء ، وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم : فلا تعودوا له ، وأما دوابكم هذه ، فإن أحببتم أن آخذها منكم ، وأحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم ، وأما طعامكم الذي صنعتم لنا ، فإنا نكره أن نأكل من أموالكم إلّا بثمن .

قالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن نقومه ثم نقبل ثمنه .

قال : إذا لا تقومونه قيمته ، نحن نكتفي بما هو دونه .

قالوا : يا أمير المؤمنين ، فإن لنا من العرب موالي ومعارف ، أتمنعنا أن نهدي لهم أو تمنعهم أن يقبلوا منا ؟

فقال : كلّ العرب لكم موال ، وليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم ، وإن غصبكم أحد فأعلمونا .

قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنّا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا .

قال : ويحكم ! فنحن أغنى منكم . وتركهم وسار .[1]

الينابيع المخفيّة

عن أبي سعيد عقيصا قال : أقبلت من الأنبار مع علي عليه السلام نريد الكوفة ، فبينا

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ٢٠٣ .

نحن نسير على شاطيء الفرات إذ لجج في الصحراء فتبعه ناس من أصحابه وأخذ ناس على شاطيء الماء.

قال: فكنت ممّن أخذ مع علي حتى توسط الصحراء فقال الناس: يا أمير المؤمنين انّا نخاف العطش.

فقال: ان الله سيقيكم.

قال: وكان راهب قريب منا، فجاء علي إلى مكان فقال: احفروا هاهنا، فحفرنا.

قال: وكنت فيمن حفر حتى نزلنا فعرض لنا حجر، فقال علي عليه السلام: ارفعوا هذا الحجر، فأعانونا عليه حتى رفعناه فإذا عين باردة طيبة.

قال: فشربنا ثم سرنا ميلاً أو نحو ذلك فعطشنا، فقال بعض القوم: لو رجعنا فشربنا، فرجع ناس وكنت فيمن رجع، فالتمسناها فلم نقدر عليها، فاتينا الراهب فقلنا: أين العين التي هاهنا؟

قال: أية عين؟

قال: التي شربنا منها واستقينا والتمسناها فلم نقدر عليها.

فقال الراهب: لا يستخرجها إلا نبي أو وصي.[1]

علي عليه السلام في الرقّة

قال الرواي: ثمّ سار علي عليه السلام حتى أتى الرقّة ـ وجلّ أهلها عثمانية، فرّوا

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٢.

من الكوفة إلى معاوية ـ فأغلقوا أبوابها دونه ، وتحصنوا ، وكان أميرهم سماك بن مخرقة الأسدي في طاعة معاوية ، وقد كان فارق علياً عليه السلام في نحو من مائة رجل من بني أسد ، ثم كاتب معاوية ، وأقام بالرقّة حتى لحق به سبعمائة رجل .

قال نصر : فروى حبّة أن علياً عليه السلام لما نزل على الرقة ، نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات ، فنزل راهب هناك من صومعته ، فقال لعلي عليه السلام : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا ، كتبه أصحاب عيسى بن مريم ، أعرضه عليك ؟

قال : نعم ، فقرأ الراهب الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الذي قضى فيما قضى ، وسطر فيما كتب : أنه باعث في الأُميين رسولاً منهم ، يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويدلّهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، بل يعفو ويصفح ، أُمّته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل نشر وفي كل صعود وهبوط ، تذلّ ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح ، وينصره الله على من ناوأه ، فإذا توفاه الله ، اختلفت أُمّته من بعده ، ثم اجتمعت ، فلبثت ما شاء الله ، ثم اختلفت ، فيمرّ رجل من أُمّته بشاطيء هذا الفرات ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضي بالحقّ ولا يركس الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن ، يخاف الله في السر ، وينصح له في العلانية ، لا يخاف في الله لومة لائم ، فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره ، فإن القتل معه شهادة .

ثم قال له : أنا مصاحبك ، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك .

فبكى عليه السلام ، ثم قال : الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً ، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار .

فمضى الراهب معه ، فكان فيما ذكروا يتغدّى مع أمير المؤمنين ويتعشى ، حتى أُصيب يوم صفين ، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم ، قال عليه السلام : اطلبوه ، فلما وجدوه صلّى عليه ودفنه .

وقال : هذا منّا أهل البيت ، واستغفر له مراراً.(١)

السيطرة على الفرات

عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، قال : لما قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفين ، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً ، وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم ، وقد صف عليها أبو الأعور الخيل والرجالة ، وقدم الرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرق ، وعلى رؤوسهم البيض ، وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء ، ففزعنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك ، فدعا صعصعة بن صوحان فقال : ائت معاوية وقل له : إنّا سرنا إليك مسيرنا هذا وأنا كره لقتالكم قبل الاعذار إليكم ، وإنك قدمت خيلك ، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالحرب ، ونحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها ، قد حلتم بين الناس وبين الماء ، فخل بينهم وبينه حتى تنظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدمنا له وقدمتم له ، وإن كان أحب إليك ، أن ندع ما جئنا له ، وندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب ، فعلنا .

فلما مضى صعصعة برسالته إلى معاوية ، قال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟

فقال الوليد بن عقبة : امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان ، حصروه أربعين يوماً

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ٢٠٥ .

يمنعونه برد الماء ولين الطعام ، اقتلهم عطشاً ، قتلهم الله !

وقال عمرو بن العاص : خل بين القوم وبين الماء ، فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان ، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم . فأعاد الوليد مقالته .

وقال عبد الله بن سعيد بن أبي سرح ـ وكان أخاً عثمان من الرضاعة ـ : امنعهم الماء إلى الليل ، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا ، وكان رجوعهم هزيمتهم ، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة !

فقال صعصعه بن صوحان : إنما يمنعه الله يوم القيامة الفجرة الكفرة ، شربة الخمر ، ضربك وضرب هذا الفاسق ـ يعني الوليد بن عقبة ـ ، فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه ، فقال معاوية : كفّوا عن الرجل ، فإنّما هو رسول .

قال عبد الله بن عوف : إن صعصعة لما رجع إلينا حدثنا بما قال معاوية ، وما كان منه وما ردّه عليه ، قلنا : وما الذي ردّه عليك معاوية ؟

قال : لما أردت الانصراف من عنده ، قلت : ما تردّ عليَّ ؟

قال : سيأتيكم رأيي .

قال : فو الله ما راعنا إلاّ تسوية الرجال والصفوف والخيل ، فأرسل إلى أبي الأعور : امنعهم الماء .[1]

وروى نصر ، قال : لما غلب أهل الشام على الفرات ، فرحوا بالغلبة ، وقال معاوية : يا أهل الشام ، هذا والله أول الظفر ، لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه أبداً حتى يقتلوا بأجمعهم عليه ، وتباشر أهل الشام ، فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همداني ، ناسك يتأله ويكثر العبادة ، يعرف بـ«معرى بن أقبل» ، وكان صديقاً لعمرو بن العاص وأخاً له ، فقال : يا معاوية ، سبحان الله ! لأن

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ٣١٧ .

سبقتم القوم إلى الفرات فغلبتموهم عليه ، تمنعوهم الماء ! أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه .

أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينزلوا على فرضة أخرى ويجازوكم بما صنعتم ! أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف، ومن لا ذنب له . وهذا والله أول الجور ! لقد شجعت الجبان ، ونصرت المرتاب ، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك .

فأغلظ له معاوية ، وقال لعمرو : اكفني صديقك . فأتاه عمرو فأغلظ له ، فقال الهمداني في ذلك شعراً :

لعمر أبي معاوية بن حرب ... وعمرو ، ما لدائمها دواء
سوى طعن يحار العقل فيه ... وضرب حين تختلط الدماء
ولست بتابع دين ابن هند ... طوال الدهر ما أرسى حراء
لقد ذهب العتاب فلا عتاب ... وقد ذهب الولاء فلا ولاء
وقولي في حوادث كل خطب ... على عمرو وصاحبه العفاء
إلا لله درك يا بن هند ... لقد برح الخفاء فلا خفاء
أتحمون الفرات على رجال ... وفي أيديهم الأسل الظماء
وفي الاعناق أسياف حداد ... كأن القوم عندهم نساء
أترجو أن يجاوركم علي ... بلا ماء وللأحزاب ماء
دعاهم دعوة فأجاب قوم ... كجرب الابل خالطها الهناء

قال : ثم سار الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلي عليه السلام .[1]

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣: ٣٢٠ .

النصر والسيطرة على الفرات

قال ابن أبي الحديد: فلما سمع الأشعث قول الرجل، قام فأتى علياً عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم ماء الفرات، وأنت فينا، والسيوف في أيدينا! خل عنا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت، ومر الأشتر فليعل بخيله، ويقف حيث تأمره.

فقال علي عليه السلام: ذلك إليكم.

فرجع الأشعث فنادى في الناس: من كان يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا، فإني ناهض.

فأتاه اثنا عشر ألفاً من كندة وأفناء قحطان، واضعي سيوفهم على عواتقهم، فشدّ عليه سلاحه ونهض بهم، حتى كاد يخالط أهل الشام، وجعل يلقي رمحه، ويقول لأصحابه: بأبي وأمي أنتم! تقدموا إليهم قاب رمحي هذا، فلم يزل ذلك دأبه، حتى خالط القوم، وحسر عن رأسه، ونادى: أنا الاشعث بن قيس! خلوا عن الماء.

فنادى أبو الأعور: أما والله، حتى لا تأخذنا وإياكم السيوف.

فقال الاشعث: قد والله أظنها دنت منا ومنكم.

وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره علي، فبعث إليه الأشعث: أقحم الخيل، فأقحمها حتى وضعت سنابكها في الفرات، وإخذت أهل الشام السيوف، فولوا مدبرين.

وفي رواية أُخرى قال نصر: فنادى الأشعث عمرو بن العاص، فقال: ويحك يا بن العاص! خل بيننا وبين الماء، فو الله لئن لم تفعل لتأخذنا وإياكم السيوف.

فقال عمرو : والله لا نخلي عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم ، فيعلم ربنا : أينا أصبر اليوم .

فترجّل الأشعث والأشتر ، وذووا البصائر[١] من أصحاب علي عليه السلام ، وترجل معهما اثنا عشر ألفاً ، فحملوا على عمرو وأبي الأعور ومن معهما من أهل الشام ، فأزالوهم عن الماء ، حتى غمست خيل علي عليه السلام سنابكها في الماء .

فقال علي عليه السلام ذلك اليوم : هذا يوم نصرتم فيه بالحمية .[٢]

خطبة علي عليه السلام

وخطب علي عليه السلام يوم الماء فقال :

أما بعد ؛ فإن القوم قد بدؤوكم بالظلم ، وفاتحوكم بالبغي ، وأستقبلوكم بالعدوان ، وقد أستطعموكم القتال حيث منعوكم الماء ، فأقروا على مذلة وتأخير محلة ، أرووا السيوف من الدماء ترووا من الماء ، فالموت في حياتكم مقهورين ،

---

(١) قال المجلسي : قال عبد الله بن قيس : كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس فشكى المسلمون العطش فأرسل فوارس على كشفه فانحرفوا خائبين ، فضاق صدره ، فقال له ولده الحسين عليه السلام : أمضي إليه يا أبتاه ؟

فقال : امض يا ولدي ، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء ، وبنى خيمته وحط فوارسه ، وأتى إلى أبيه وأخبره ، فبكى علي عليه السلام ؛ فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا أوّل فتح ببركة الحسين عليه السلام ؟

فقال : ذكرت أنّه سيقتل عطشاناً بطف كربلا ، حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول : الظليمة الظليمة لأمّة قتلت ابن بنت نبيها . بحار الأنوار ٤٤ : ٢٦٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ : ٣٢٣ .

والحياة في موتكم قاهرين . ألا وإن معاوية قاد لملمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية .[١]

قال نصر : قال عمرو بن العاص لمعاوية لما ملك أهل العراق الماء : ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس ! إتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه ! ما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة .

فقال معاوية : دع عنك ما مضى ، فما ظنّك بعلي ؟

قال : ظني أنه لا يستحل منك ما استحللت منه ، وأن الذي جاء له غير الماء .

المقابلة بالمثل

قال نصر : فقال أصحاب علي عليه السلام له : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك .

فقال : لا ، خلوا بينهم وبينه ، لا أفعل ما فعله الجاهلون ، سنعرض عليهم كتاب الله ، وندعوهم إلى الهدى ، فإن أجابوا ، وإلا ففي حد السيف ما يغني إن شاء الله .

قال : فوالله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام وروايأهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ، ما يؤذي إنسان إنساناً .[٢]

---

(١) نهج السعادة ٢ : ١٥١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ٣ : ٣٣٠ .

المحادثات بين الطرفين

عن المحل بن خليفة قال: لما توادع علي عليه السلام ومعاوية بصفين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل علي بن أبي طالب إلى معاوية عدي بن حاتم، وشبث بن ربعي، ويزيد بن قيس، وزياد بن حفصة، فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدي بن حاتم وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ويحقن الله به دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فانته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصلحاً، هيهات يا عدي، كلا والله إني لابن حرب، ما يقعقع لي بالشنان، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وإنت لمن قتلته، وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله، هيهات يا عدي، قد حلبت بالساعد الأشد.

وقال له شبث بن ربعي وزياد بن حفصة ـ وتنازعا كلاماً واحداً ـ: أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فأقبلت تضرب الأمثال لنا، دع ما لا ينفع من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمنا وإياك نفعه.

وتكلم يزيد بن قيس الأرحبي فقال: إنا لم نأتك إلّا لنبلغك ما بعثنا به إليك، ولنؤدي عنك ما سمعنا منك، لن ندع أن ننصح لك، وأن نذكر ما ظننا أن لنا به عليك حجة، أو أنه راجع بك إلى الألفة والجماعة، إن صاحبنا لمن قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا أظنه يخفى عليك: أن أهل الدين والفضل لن يعدلوك بعلي عليه السلام، ولن يميلوا بينك وبينه، فاتق الله يا معاوية، ولا تخالف علياً، فإنّا والله

ما رأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهد في الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه .

فحمد الله معاوية وأثنى عليه وقال : أما بعد ، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فنعما هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها ، إن صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لا نرد ذلك عليه ، أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال له شبث بن ربعي : أيسرك بالله يا معاوية أن أمكنت من عمار ين ياسر فقتلته ؟

قال : وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سمية[1] ما قتلته بعثمان ، ولكن كنت أقتله بنائل مولى عثمان بن عفان !

فقال له شبث : وإله السماء ما عدلت معدلاً ، لا والله الذي لا إله إلّا هو لا تصل إلى قتل ابن ياسر حتى تندر الهام عن كواهل الرجال وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها .

فقال له معاوية : إنه لو كان ذلك كانت عليك أضيق .

---

(١) سمية : هي سمية بنت خباط ، بمعجمة مضمومة وموحدة ثقلية ، وهي أم عمار بن ياسر ، وكانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، ثم زوجها ياسراً فولدت له عماراً . وهي أول شهيدة استشهدت في الإسلام ، وجأها أبو جهل بحربة فماتت . المعارف ١١١ ـ ١١٢ ، الإصابة ٢ : ٥٨٢ .

ورجع القوم عن معاوية ، فلما رجعوا من عنده بعث إلى زياد بن حفصة التيمي فدخل عليه ، فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أخا ربيعة فإن علياً قطع أرحامنا ، وقتل إمامنا ، وآوى قتلة صاحبنا ، وإني أسألك النصرة عليه بأسرتك وعشيرتك ، ولك عليَّ عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أوليك أي المصرين أحببت .

قال أبو المجاهد[1] : سمعت زياد بن حفصة يحدث بهذا الحديث .

قال : فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت له : أما بعد ، فإني لعلى بينة من ربي ، وبما أنعم عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين .

قال : ثم قمت ، فقال معاوية لعمرو بن العاص ـ وكان إلى جانبه جالساً ـ : ليس يكلم رجل منا رجلاً منهم بكلمة فيجيب بخير ، ما لهم عضبهم الله ، ما قلوبهم إلّا قلب رجل واحد .[2]

رُسل معاوية

وقد أرسل معاوية كلاً من حبيب بن مسلمة وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد إلى علي عليه السلام ، فقال حبيب : كان عثمان خليفة ، وقد عمل بكتاب الله وانت يا علي اعنت على قتله وآويت قتلته ، وأخذت الخلافة دون مشورة أحد !

فقال علي عليه السلام : ومن أنت ـ لا أم لك ـ والولاية والعزل والدخول في هذا

(١) أبو المجاهد ، هو سعد الطائي الكوفي ، وثقة وكيع وابن حبان ، وقال ابن حجر : لا بأس به . انظر التقريب وحواشيه .

(٢) وقعة صفين : ١٩٩ .

الأمر؟ اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل لذاك.

فقام حبيب بن مسلمة وقال: والله لترينني حيث تكره.

فقال له علي عليه السلام: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوب وصعد ما بدا لك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت.

فقال شرحبيل بن السمط: إن كلمتك فلعمري ما كلامي لك إلّا نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبته؟

قال: نعم.

قال: فقله.

فحمد الله علي عليه السلام وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله فأنقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة وجمع به بعد الفرقة ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه....

إلى أن قال: ثم ولي أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فسار إليه ناس فقتلوه ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي: بايع فأبيت عليهم فقالوا لي: بايع فإن الأُمة لن ترضى إلا بك وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية إياي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الاسلام طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب لم يزل لله ولرسوله عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الاسلام كارهين مكرهين فيا عجباً لكم ولانقيادكم له وتدعون آل نبيكم الذي لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم أحداً من الناس إني أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وآله وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا

ولكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة .

فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد : أتشهد أن عثمان قتل مظلوماً ؟

فقال لهما : إني لا أقول ذلك .

قالا : فمن لا يشهد أن عثمان قتل مظلوماً فنحن براء منه ثم قاما فانصرفا .

فقال علي عليه السلام : ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾[١] .

ثم أقبل على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء في ضلالتهم بأولى بالجد منكم في حقكم وطاعة إمامكم . ثم مكث الناس متوادعين إلى انسلاخ المحرم .

فلما انسلخ شهر المحرم واستقبل الناس صفراً من سنة سبع وثلاثين من هجرة النبي بعث علي عليه السلام نفراً من أصحابه حتى إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت قام يزيد بن الحارث فنادى عند غروب الشمس : يا أهل الشام إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون لكم : إنّا والله لم نكف عنكم شكاً في أمركم ولا بقيا عليكم ، وإنما كففنا عنكم لخروج المحرم وقد انسلخ وإنا قد نبذنا إليكم على سواء فإن الله لا يحب الخائنين .[٢]

قال نصر : لما ملك علي عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة استمالة لقلوبهم مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية أحداً ولا يأتيه من عند معاوية أحد ، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال وقالوا : يا أمير المؤمنين

---

(١) النمل : ٨٠ ـ ٨١.

(٢) منهاج البراعة ٥ : ٣٥ ـ ٣٨.

خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة إئذن لنا في قتال القوم فإن الناس قد قالوا.

قال علي عليه السلام: ما قالوا؟

فقال منهم قائل: انهم يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت ومنهم من يظن أنك في شك في قتال أهل الشام.

فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قط إن من العجب حبي لها غلاماً ويفعاً وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت.

وأما شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، فوالله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فما وجدت يسعني إلّا القتال أو أن أعصى الله ورسوله ولكني أستأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدي فيهم طائفة فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس.[1]

رُسل علي عليه السلام

قال نصر: ثم إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي فقال: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله عزّ وجل وإلى الطاعة والجماعة، وإلى اتباع أمر الله تعالى.

فقال له شبث: ألا نطمعه في سلطان توليه إياه ومنزلة تكون به له أثرة عندك إن هو بايعك؟

---

(١) بحار الأنوار ٢٣: ٤٤٧.

قال علي عليه السلام : ائتوه الآن فالقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه ـ وهذا في شهر ربيع الآخر ـ فأتوه فدخلوا عليه ، فحمد أبو عمرة بن محصن الله وأثنى عليه وقال : يا معاوية ، إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عزّ وجل مجازيك بعملك ، ومحاسبك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك بالله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها.

فقطع معاوية عليه الكلام ، فقال : هلا أوصيت صاحبك ؟

فقال : سبحان الله ، إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحق البرية في هذا الأمر في الفضل والدين والسابقة والإسلام ، والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال معاوية : فتقول ماذا ؟

قال : أدعوك إلى تقوى ربّك وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنّه أسلم لك في دينك ، وخير لك في عاقبة أمرك .

قال : ويطل دم عثمان ؟ لا والرحمن لا أفعل ذلك أبداً .

قال : فذهب سعيد يتكلم ، فبدره شبث فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معاوية ، قد فهمت ما رددت على ابن محصن ، إنّه لا يخفى علينا ما تقرب وما تطلب ، إنك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا أن قلت لهم قتل إمامكم مظلوماً فهلموا نطلب بدمه ، فاستجاب لك سفهاء طغام رذال ، وقد علمنا أنّك قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل بهذه المنزلة التي تطلب ، وربّ مبتغ أمراً وطالبه يحول الله دونه . وربما أوتي المتمني أمنيته ، وربما لم يؤتها، ووالله ما لك في واحدة منها خير ، والله لئن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالاً ، ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلى

النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله .

قال : فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن أوّل ما عرفت به سفهك وخفة حلمك ، قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ، ثم عتبت بعد فيما لا علم لك به . ولقد كذبت ولويت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما وصفت وذكرت ، انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلّا السيف .

قال : وغضب فخرج القوم وشبث يقول : أفعلينا تهول بالسيف ، أما والله لنعجلنه إليك .[1]

وساطة قرّاء العراق والشام

قال نصر : وخرج قراء أهل العراق وقراء أهل الشام فعسكروا في ناحية صفين في ثلاثين ألفاً ، وعسكر علي عليه السلام على الماء وعسكر معاوية فوقه على الماء أيضا ومشت القراء بين علي عليه السلام ومعاوية منهم عبيدة السلماني وعلقمة بن قيس النخعي وعبد الله بن عتبة وعمار بن عبد القيس فدخلوا على معاوية فقالوا : يا معاوية ما الذي تطلب ؟

قال : أطلب بدم عثمان .

قالوا : ممّن تطلب بدم عثمان ؟

قال : أطلبه من علي .

قالوا : أو علي قتله ؟

---

(١) وقعة صفين : ١٨٧ .

قال : نعم، هو قتله وآوى قتلته . فانصرفوا من عنده فدخلوا على علي عليه السلام وقالوا : إن معاوية زعم أنك قتلت عثمان .

قال : اللهمَّ لكذب علي لم أقتله .

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر .

فرجعوا إليه عليه السلام وقالوا : يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت ومالأت على قتل عثمان .

فقال : اللهمَّ لكذب فيما .

قال : فرجعوا إلى معاوية فقالوا : إن علياً يزعم أنه لم يفعل .

فقال معاوية إن كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان فإنهم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده .

فرجعوا إلى علي عليه السلام فقالوا : إن معاوية يقول لك إن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكنا منهم .

فقال لهم : إن القوم تأولوا عليه القرآن ووقعت الفرقة وقتلوه في سلطانه وليس على ضربهم قود فخصم علي معاوية .

فقال لهم معاوية : إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتز الأمر دوننا على غير مشورة منا ولا ممن ها هنا معنا ؟

فقال علي عليه السلام : إن الناس تبع المهاجرين والأنصار وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولاتهم وأمراء دينهم فرضوا بي وبايعوني ولست أستحل أن أدع ضرب معاوية يحكم على هذه الأُمة ويركبهم ويشق عصاهم .

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال : ليس كما يقول فما بال من هو ها

هنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟

فانصرفوا إليه ﷺ فأخبروه بقوله فقال : ويحكم هذا للبدريين دون الصحابة وليس في الأرض بدري إلا وقد بايعني وهو معي أو قد أقام ورضي فلا يغرنكم معاوية من أنفسكم ودينكم .

قال نصر : فتراسلوا بذلك ثلاثة أشهر ربيع الآخر وجماديين وهم مع ذلك يفزعون الفزعة فيما بينها ويزحف بعضهم إلى بعض ويحجز القراء بينهم، ففزعوا في ثلاثة أشهر خمساً وثلاثين فزعة يزحف بعضهم إلى بعض ويحجز القراء بينهم.[1]

وساطة أبو أمامة الباهلي وأبو الدرداء

قال نصر : وخرج أبو أمامة الباهلي[2] وأبو الدرداء[3] فدخلا على معاوية

---

(١) منهاج البراعة ٥: ٣١٢.

(٢) هو : صدى بن عجلان الصحابي ، كان من المشاهير سكن مصر ثم حمص .
روى فضال بن جبير قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة : إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا أوتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف ، غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم . وتوفى أبو أمامة سنة احدى وثمانين ، وقيل : سنة ست وثمانين ، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبي ﷺ .

(٣) هو : عويمر بن عامر ؛ ويقال : عويمر بن قيس بن زيد ؛ وقيل : عويمر بن ثعلبة بن عامر الخزرجي الأنصاري ، أمّه محيّة بن واقد بن عمرو ، كان من أفاضل الصحابة وفقهائهم ، تولى قضاء دمشق في خلافة عثمان وتوفى قبل أن يقتل عثمان بسنتين سنة بدمشق ؛ وقيل : توفي بعد صفين سنة ٣٨ ، والأصح الأشهر والأكثر عند أهل العلم أنه توفى في خلافة عثمان . أسد الغابة ٤ : ١٥٩ .

فقالا : يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل ؟ فو الله لهو أقدم منك سلماً وأحق منك بهذا الأمر وأقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله فعلام تقاتله ؟

قال : أقاتله على دم عثمان فإنه آوى قتلته فقولوا له : فليقدنا من قتلته وأنا أوّل من بايعه من أهل الشام فانطلقوا إلى علي عليه السلام فأخبروه فقال : إنما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفاً وأكثر متسربلين في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقالوا : كلنا قتله فإن شاؤا فليروموا ذلك منا .

فرجع أبو أمامة وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً من القتال . حتى إذا كان في رجب وخشي معاوية أن يبايع القراء علياً عليه السلام جد في المكر وكتب في سهم : من عبد الله الناصح إني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم .[1]

رأي علماء المسلمين في هذا الموضوع

قال القرطبي : فتقرر عند علماء المسلمين ، وثبت بدليل الدين ، أن علياً عليه السلام كان إماماً ، وأن كل من خرج عليه باغ ، وأن قتاله ـ يعني الخارج ـ واجب حتى يفيء إلى الحق ، وينقاد إلى الصلح .

وقال عبد القاهر الجرجاني في حاشية كتاب الامامة : أجمع فقهاء الحجاز ، والعراق من فريقي الحديث والرأي منهم مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة ، والأوزاعي ، والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين أن علياً مصيب في قتاله

---

(١) بحار الأنوار ٢٣ : ٤٤٩ .

لأهل صفين، كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يكفرون ببغيهم.[١]

وقال الشيخ الطوسي: كل من حارب علي عليه السلام فانّ هدر دمه حلال، وهو كافر. فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: حربك يا علي حربي وسلمك سلمي، ومن المعروف انّ حرب النبي صلى الله عليه وآله كفر، فيجب أن يكون حرب علي مثل ذلك.

وقوله صلى الله عليه وآله: «اللّهمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» صريح بذلك لأن المعاداة من الله لا تكون إلّا للكفار دون المؤمنين.[٢]

الكفر بدل الهداية

عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق[٣]،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١: ٤٢٠.

(٢) الخلاف ٥: ٣٣٥.

(٣) عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب الخزاعي، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد الحديبية، صحب النبي صلى الله عليه وآله وحفظ عنه أحاديث وسكن الكوفة وانتقل إلى مصر. روي عن عمرو بن الحمق انّه سقى النبي صلى الله عليه وآله فقال: اللهمَّ متّعه بشبابه، فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء وكان ممن سار إلى عثمان بن عفان وهو أحد الاربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا وصار بعد ذلك من شيعة علي عليه السلام وشهد معه مشاهده كلها الجمل وصفين والنهروان وأعان حجر بن عدي وكان من أصحابه فخاف زياداً فهرب من العراق إلى الموصل واختفى في غار بالقرب منها فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل ليحمل عمراً إليه فأرسل العامل على الموصل ليأخذه من الغار الذي كان فيه فوجده ميتاً كان قد نهشته حية

يظهران البراءة واللعن من أهل الشام ، فأرسل إليهما علي عليه السلام : أن كفّا عمّا يبلغني عنكما فأتياه فقالا : يا أمير المؤمنين ، ألسنا محقّين ؟

قال : بلى .

قالا : أو ليسوا مبطلين ؟

قال : بلى .

قالا : فلم منعتنا من شتمهم ؟

قال : كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين ، تشتمون وتتبرءون . ولكن لو وصفتم مساوىء أعمالهم فقلتم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن عملهم كذا وكذا ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر . ولو قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم : اللهمّ احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به ، كان هذا أحب إليّ وخيراً لكم .

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظتك ، ونتأدّب بأدبك .

وقال عمرو بن الحمق : إني والله يا أمير المؤمنين ما أجبتك ولا بايعتك على

فمات . وقد روي انّ أوّل رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق إلى معاوية .

قال سفيان : أرسل معاوية ليؤتى به فلدغ وكانهم خافوا أن يتهمهم فأتوا برأسه .

وكان زوجة عمرو بن الحمق آمنة بنت الشريد ، فحبسها معاوية في سجن دمشق زماناً حتى وجه إليها رأس عمرو بن الحمق فألقي في حجرها فارتاعت لذلك ثم وضعته في حجرها ووضعت كفّها على جبينه ثم لثمت فاه ثم قالت : غيبتموه عني طويلاً ، ثم أهديتموه إليّ قتيلاً ، فأهلاً بها من هدية غير قالية ولا مقلية . وكان قتله سنة خمسين وقبره مشهور بظاهر الموصل يزار . أسد الغابة ٤ : ١٠٠ .

قرابة بيني وبينك ، ولا إرادة مال تؤتينيه ، ولا التماس سلطان يرفع ذكرى بـه ، ولكن أجبتك لخصال خمس : أنك ابن عم رسول الله ﷺ ، وأوّل من آمـن بـه ، وزوج سيدة نساء الأمّة فاطمة بنت محمد ﷺ ، وأبو الذرية التي بقيت فينا مـن رسول الله ﷺ ، وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد . فلو أني كلفت نقل الجبال الرواسي ، ونزح البحور الطوامي حتى يأتي على يومي في أمر أقوى بـه وليك وأوهن به عدوك ، ما رأيت أني قد أديت فيه كل الذي يحق علي من حقك .

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : اللهمّ نوّر قلبه بالتقى ، واهـده إلى صـراط مستقيم ، ليت أن في جندي مائة مثلك .

فقال حجر : إذا والله يا أمير المؤمنين صحّ جندك ، وقلّ فيهم من يغشك .[١]

معرفة الحقّ والباطل

عن أسماء بن حكيم الفزاري ، قال : كنّا بصفين مع علي عليه السلام ، تحت رايـة عمار بن ياسر ، ارتفاع الضحى ، وقد استظللنا بـرداء أحـمر ، إذ أقـبل رجـل يستقرىء الصف حتى انتهى إلينا ، فقال : أيكم عمار بن ياسر ؟

فقال عمار : أنا عمار .

قال : أبو اليقظان ؟

قال : نعم .

قال : إن لي إليك حاجة أفأنطق بها سراً أو علانية ؟

---

(١) وقعة صفين : ١٠٣ .

قال : اختر لنفسك ، أيهما شئت .

قال : لا ، بل علانية .

قال : فانطق .

قال : إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه ، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم ، وأنهم على الباطل ، فلم أزل على ذلك مستبصراً ، حتى ليلتي هذه ، فإني رأيت في منامي منادياً تقدم ، فأذن وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، ونادى بالصلاة ، ونادى مناديهم مثل ذلك ، ثم أقيمت الصلاة ، فصلينا صلاة واحدة ، وتلونا كتاباً واحداً ، ودعونا دعوة واحدة ، فأدركني الشك في ليلتي هذه فبت بليلة لا يعلمها إلّا الله تعالى ، حتى أصبحت ، فأتيت أمير المؤمنين ، فذكرت ذلك له فقال : هل لقيت عمار بن ياسر ؟

قلت : لا .

قال : فألقه ، فانظر ماذا يقول لك عمار ، فاتبعه ، فجئتك لذلك .

فقال عمار : تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي ! فإنها راية عمرو بن العاص ، قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، وهذه الرابعة فما هي بخيرهن ، ولا أبرهن ، بل هي شرهن وأفجرهن . أشهدت بدراً وأحداً ويوم حنين ، أو شهدها أب لك فيخبرك عنها ؟

قال : لا .

قال : فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر ، ويوم أحد ويوم حنين ، وإن مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب ، فهل ترى هذا العسكر ومن فيه ! والله لوددت أن جميع من فيه ممن

أقبل مع معاوية يريد قتالنا ، مفارقاً للذي نحن عليه ، كانوا خلقاً واحداً ، فقطعته وذبحته . والله لدماؤهم جميعاً أحل من دم عصفور ، أفترى دم عصفور حراماً ؟

قال : لا ، بل حلال .

قال : فإنهم حلال كذلك ، أتراني بيّنت لك ؟

قال : قد بيّنت لي .

قال : فاختر أي ذلك أحببت .

فانصرف الرجل ، فدعاه عمار ثم قال : أما إنهم سيضربونكم بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم ، فيقولوا : لو لم يكونوا على حق ما أظهروا علينا ، والله ما هم من الحق على ما يقذى عين ذباب ، والله لو ضربونا بأسيافهم ، حتى يبلغونا سعفات هجر(١) لعلمنا أنّا على حق ، وأنهم على باطل .

وعن الأصبغ بن نباتة ، قال : جاء رجل إلى علي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء القوم الذين نقاتلهم ، الدعوة واحدة والرسول واحد ، والصلاة واحدة ، والحج واحد ، فماذا نسميهم ؟

قال : سمهم بما سمّاهم الله في كتابه .

قال : ما كل ما في الكتاب أعلمه .

قال : أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** - إلى قوله : - **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن**

---

(١) سعفات هجر : السعفات : جمع سعفة - بالتحريك - وهي أغصان النخيل . وقيل : إذا يبست سميت سعفة وإذا كانت رطبة فهي شطبة . وهجر : موضع بأقصى اليمن . المصنف ، ابن أبي شيبة ٨ : ٧٢٢ .

اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾[١] !

فلما وقع الاختلاف ، كنا نحن أولى بالله ، وبالكتاب وبالنبي ، وبالحق فنحن الذين آمنوا ، وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم فقاتلهم بمشيئته وإرادته .[٢]

مؤامرة أُخرى لعمرو بن العاص

قال نصر : طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوي صفوف أهل الشام ، فقال له عمرو : على أن لي حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب ، واستوثقت لك البلاد !

فقال : أليس حكمك في مصر !

قال : وهل مصر تكون عوضاً عن الجنة ، وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي ﴿لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾[٣] !

فقال معاوية : إن لك حكمك أبا عبد الله إن قتل ابن أبي طالب ، رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك .

فقام عمرو فقال : معاشر أهل الشام ، سووا صفوفكم قص الشارب ، وأعيرونا جماجمكم ساعة ، فقد بلغ الحقّ مقطعه ، فلم يبق إلّا ظالم أو مظلوم .

---

(١) البقرة : ٢٥٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٥٦ .

(٣) الزخرف : ٧٥ .

الفصل الثامن

وقعة صفين



أوّل صفر بداية المعركة

خرج الجيشان؛ جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وجيش الناكثين في أوّل يوم من صفر من سنة سبع وثلاثين، وذلك يوم الأربعاء، فاقتتلوا، وعلى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا قتالاً شديداً جلّ النهار، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض.

اليوم الثاني من صفر

قال الراوي: ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدتها، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض.

اليوم الثالث من صفر

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشد القتال، وجعل عمار يقول: يا أهل الإسلام، أتريدون أن تنظروا إلى

من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين ، فلما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى النبي صلى الله عليه وآله ، فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب ، وقبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم ؟ ألا وإنه معاوية ، فالعنوه لعنه الله ، وقاتلوه فإنه ممن يطفيء نور الله ، ويظاهر أعداء الله .

وكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل ، فأمره أن يحمل في الخيل ، فحمل وصبروا له ، وشدّ عمار في الرجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه ، وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاً له لأُمّه من بني عامر يقال له معاوية بن عمرو العقيلي ـ وكانت أُمهما هند امرأة من بني زبيد ـ فلما التقيا تساءلا وتواقفا ، ثم انصرف كل واحد منها عن صاحبه ، ورجع الناس يومهم ذاك .

وروى نصر بن مزاحم ، عن شيخ من بكر بن وائل قال : كنّا مع علي عليه السلام بصفين ، فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح ، فقال ناس : هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله . فلم يزالوا كذلك حتى بلغ علياً عليه السلام ، فقال : هل تدرون ما أمر هذا اللواء ؟ إن عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقة فقال : من يأخذها بما فيها ؟

فقال عمرو : وما فيها يا رسول الله ؟

قال : فيها أن لا تقاتل به مسلماً ، ولا تقربه من كافر ، فأخذها ، فقد والله قرّبه من المشركين ، وقاتل به اليوم المسلمين : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا ، وأسروا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عدواتهم منا ، إلا أنهم لم يدعوا الصلاة .[1]

(١) منهاج البراعة ٥ : ٣٩ .

اليوم الرابع من صفر

فلما كان من الغد خرج محمد بن علي بن أبي طالب ، وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا كأشد القتال . ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية : أن اخرج إليَّ أبارزك .

قال له : نعم . ثم خرج إليه يمشي ، فبصر به علي عليه السلام فقال : من هذان المتبارزان ؟ فقيل له : ابن الحنفية وابن عمر . فحرك علي دابته ثم دعا محمداً فوقف له فقال : أمسك دابتي . فأمسكها له ثم مشى إليه فقال : أنا أبارزك فهلم إليَّ .

قال : ليس لي في مبارزتك حاجة .

قال : فرجع ابن عمر وأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه : منعتني من مبارزته ، فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله .

قال : يا بني ، لو بارزته أنا لقتلته ، ولو بارزته أنت لرجوت أن تقتله ، وما كنت آمن أن يقتلك .

ثم قال : يا أبه أتبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللئيم عدو الله ؟ والله لو أبوه يسألك المبارزة لرغبت بك عنه .[1]

اليوم الخامس من صفر

قال نصر : وأما اليوم الخامس ، فإنه خرج فيه عبد الله بن العباس ، فخرج

---

(١) منهاج البراعة ٥ : ٤٠ .

إليه الوليد بن عقبة ، فأكثر من سب بني عبد المطلب ، وقال : يا بن عباس : قطعتم أرحامكم ، وقتلتم إمامكم ، فكيف رأيتم صنع الله بكم لم تعطوا ما طلبتم ، ولم تدركوا ما أملتم ، والله ـ إن شاء ـ مهلككم وناصرنا عليكم . فأرسل إليه عبد الله بن العباس : أن ابرز إليَّ ، فأبى أن يفعل ، وقاتل ابن عباس ذلك اليوم قتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وكل غير غالب .

قال نصر : وخرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري ، فلحق بعلي عليه السلام في ناس من قراء أهل الشام ، ففت ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص وقال عمرو : يا معاوية ، إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمد صلى الله عليه وآله قرابة قريبة ، ورحم ماسة ، وقدم في الاسلام لا يعتد أحد بمثله وحده في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، وإنه قد سار إليك بأصحاب محمد المعدودين وفرسانهم وقرائهم وأشرافهم وقدمائهم في الاسلام ولهم في النفوس مهابة ، فبادر بأهل الشام مخاشن الأوعار ، ومضايق الغياض ، واحملهم على الجهد ، وائتهم من باب الطمع قبل أن ترفههم فيحدث عندهم طول المقام مللاً ، فتظهر فيهم كآبة الخذلان ، ومهما نسيت فلا تنس أنك على باطل ، وأن علياً على حق ، فبادر الأمر قبل اضطرابه عليك .

خطبة معاوية

فقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال : أيها الناس أعيرونا جماجمكم وأنفسكم ، لا تقتتلوا ولا تتجادلوا ، فإن اليوم يوم خطار ، ويوم حقيقة وحفاظ ، إنكم لعلى حق ، وبأيديكم حجة ، إنما تقاتلون من نكث البيعة ، وسفك الدم

الحرام، فليس له في السماء عاذر . قدموا أصحاب السلاح المستلئمة ، وأخرروا الحاسر ، واحملوا بأجمعكم ، فقد بلغ الحق مقطعه ، وإنما هو ظالم ومظلوم .

خطبة علي عليه السلام

عن أبي سنان عن أبيه قال: كأني أنظر إليه متوكئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده ، فهم يلونه ، كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، فإن الخيلاء من التجبر ، وإن النخوة من التكبر ، وإن الشيطان عدو حاضر ، يعدكم الباطل ، ألا إن المسلم أخو المسلم ، فلا تنابذوا ولا تخاذلوا .

ألا إن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة ، من أخذ بها لحق ، ومن فارقها محق ، ومن تركها مرق . ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن ، ولا بالمخلف إذا وعد ، ولا بالكذاب إذا نطق . نحن أهل بيت الرحمة ، وقولنا الصدق وفعلنا القصد ، ومنا خاتم النبيين ، وفينا قادة الاسلام ، وفينا حملة الكتاب .

ألا إنا ندعوكم إلى الله وإلى رسوله ، وإلى جهاد عدوه ، والشدة في أمره ، وابتغاء مرضاته ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، وتوفير الفئ على أهله .

ألا وإن من أعجب العجائب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، وعمرو بن العاص السهمي ، أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما ، ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط ، ولم أعصه في أمر ، أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الابطال ، وترعد فيها الفرائص ، بنجدة أكرمني الله سبحانه بها ، وله

الحمد ، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لفي حجري ، ولقد وليت غسله بيدي وحدي ، تقلبه الملائكة المقربون معي . وايم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلّا ظهر أهل باطلها على أهل حقها ، إلّا ما شاء الله .[١]

قال أبو سنان الأسلمي : فأشهد لقد سمعت عمار بن ياسر ، يقول للناس : أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأُمة لم تستقم عليه أولاً ، وأنها لن تستقيم عليه آخراً .

قال : ثم تفرق الناس ، وقد نفذت أبصارهم في قتال عدوهم ، فتأهبوا واستعدوا .[٢]

اليوم السادس من صفر

وروى نصر ، عن زيد بن وهب أن علياً عليه السلام ، قال في هذه الليلة : حتى متى لا نناهض القوم بأجمعنا ! ثم قام في الناس فقال : الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض ، ولا ينقض ما أبرم ، ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الامة ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الاقدار ، حتى لفت بيننا في هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومسمع ، ولو شاء لعجل النقمة ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره . ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار : **﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾**[٣] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٧٩ .
(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٧٩ .
(٣) سورة النجم : ٣١ .

ألا إنكم ملاقوا العدو غداً إن شاء الله فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله الصبر والنصر ، والقوهم بالجد والحزم ، وكونوا صادقين .

قال : فوثب الناس إلى رماحهم وسيوفهم ونبالهم يصلحونها ، وخرج ﷺ فعبّى الناس ليلته تلك كلها حتى أصبح ، وعقد الألوية ، وأمر الأُمراء ، وكتب الكتائب ، وبعث إلى أهل الشام منادياً نادى فيهم : اغدوا على مصافكم .

فضجّ أهل الشام في معسكرهم ، واجتمعوا إلى معاوية ، ونصب لمعاوية منبر ، فقعد عليه في قبّة ضربها ، ألقى عليها الثياب والأرائك ، وأحاط به أهل يمن ، وقال : لا يقربن هذا المنبر أحد لا تعرفونه إلّا قتلتموه كائناً من كان .

ثم تناهض القوم يوم الاربعاء سادس صفر واقتتلوا إلى آخر نهارهم ، وانصرفوا عند المساء ، وكل غير غالب .

اليوم السابع من صفر

قال نصر : فأمّا اليوم السابع فكان القتال فيه شديداً ، والخطب عظيماً ، وكان عبد الله بن بديل الخزاعي على ميمنة العراق ، فزحف نحو حبيب بن مسلمة ، وهو على ميسرة أهل الشام ، فلم يزل يحوزه ويكشف خيله حتى اضطر بهم إلى قبّة معاوية وقت الظهر .

وقام عبد الله بن بديل في أصحابه فخطبهم فقال : ألا إن معاوية ادعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله ، وجادل بالباطل ليدحض به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، وزين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة ، ولبس عليهم الأُمور ، وزادهم رجساً إلى رجسهم ، وأنتم والله على نور

وبرهان مبين، قاتلوا الطغاة الجفاة ، قاتلوهم ولا تخشوهم ، وكيف تـخشونهم ، وفى أيديكم كتاب من ربكم ظاهر مـبين : **﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشـف صدور قوم مؤمنين﴾** ، ولقد قاتلتهم مع النبي ﷺ والله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ، ولا أبر ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم.

خطبة سعيد بن قيس

قال مالك بن قدامة الأرحـبي : قـام سـعيد بـن قـيس يـخطب أصـحابه بقناصرين[1] فقال : الحمد لله الذي هدانا لدينه ، وأورثنا كتابه ، وامتن علينا بنبيه ، فجعله رحمة للعالمين ، وسيداً للمرسلين ، وقائداً للمؤمنين ، وخـاتماً للـنبيين ، وحجّة الله العظيم على الماضين والغابرين ، ثم كان فيما قضى الله وقـدره ـ وله الحمد على ما أحببنا وكرهنا ـ أن ضمنا وعدونا بقناصرين ، فلا يجمل بنا اليـوم الحياص وليس هذا بأوان انصراف ، ولات حين مناص ، وقـد خـصنا الله مـنه برحمة لا نستطيع أداء شكرها ، ولا نقدر قدرها ، إن أصحاب محمد المـصطفين الأخيار معنا ، وفي حيزنا ، فو الله الذي هو بالعباد بصير ، أن لو كان قائدنا رجلاً مجدعاً ، إلا أن معنا من البدريين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا ، وتطيب أنفسنا فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا ، بدري صدق ، صـلّى صـغيراً ، وجاهد مع نبيكم كثيراً ، ومعاوية طليق من وثاق الأسار وابن طليق ، ألا أنه أغوى جفاة فأوردهم النار ، وأوردهم العار ، والله محل بهم الذل والصغار .

(١) قناصرين : موضع بالشام .

ألا إنكم ستلقون عدوكم غداً ، فعليكم بتقوى الله ، من الجد والحزم ، والصدق والصبر ، فإن الله مع الصابرين .

ألا إنكم تفوزون بقتلهم ، ويشقون بقتلكم ، والله لا يقتل رجل منكم رجلاً منهم إلّا أدخل الله القاتل جنات عدن ، وأدخل المقتول ناراً تلظى ، لا يفتر عنهم ، وهم فيه مبلسون ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه ، وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم وللمؤمنين .[١]

خطبة ذو الكلاع

قال نصر : وطلب معاوية إلى ذي الكلاع أن يخطب الناس ويحرّضهم على قتال علي عليه السلام ومن معه من أهل العراق ، فعقد فرسه ـ وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً ـ، وخطب الناس ، فقال :

الحمد لله حمداً كثيراً نامياً واضحاً منيراً، بكرة وأصيلاً ، أحمده وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالفرقان إماماً ، وبالهدى ودين الحق ، حين ظهرت المعاصي ، ودرست الطاعة ، وامتلأت الأرض جوراً وضلالة واضطرمت الدنيا نيراناً وفتنة ، وورك عدو الله إبليس ، على أن يكون قد عبد في أكنافها ، واستولى على جميع أهلها ، فكان محمد صلى الله عليه وآله هو الذي أطفأ الله به نيرانها ، ونزع به أوتادها ، وأوهن به قوى إبليس وآيسه مما كان قد طمع فيه من ظفره بهم، وأظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ، ثم كان من قضاء الله أن ضم بيننا

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٨٦ ـ ١٨٩ .

وبين أهل ديننا بصفين ، وإنا لنعلم أن فيهم قوماً قد كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سابقة ذات شأن وخطر عظيم ولكني ضربت الأمر ظهراً وبطنا فلم أر يسعني أن يهدر دم عثمان صهر نبينا صلى الله عليه وآله الذي جهز جيش العسرة وألحق في مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بيتاً وبنى سقاية ، بايع له نبى الله بيده اليمنى على اليسرى ، واختصه بكريمتيه أم كلثوم ورقية ، فإن كان قد أذنب ذنباً فقد أذنب من هو خير منه ، قال الله سبحانه لنبيه : ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ ، وقتل موسى نفساً ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب نوح ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم، ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يعر أحدكم من الذنوب ، وإنا لنعلم أنه قد كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا على قتل عثمان فلقد خذله ، وإنه لأخوه في دينه وابن عمه وسلفه وابن عمته . ثم قد أقبلوا من عراقهم حتى نزلوا شامكم ، وبلادكم وبيضتكم ، وإنما عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أيتها الأُمّة ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لكأنا وأهل العراق اعتورنا مصحفاً نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعاً ننادى : ويحكم الله ! ومع أنا والله لا نفارق العرصة حتى نموت .

خطبة يزيد بن أسد

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قباء من خزّ ، وعمامة سوداء ، آخذاً بقائم سيفه ، واضعاً نصل السيف في الأرض ، متوكئاً عليه .

قال صعصعة : فذكر لي أبرهة أنه كان يومئذ من أجمل العرب وأكرمها

وأبلغها، فقال: الحمد لله الواحد الفرد، ذي الطول والجلال العزيز الجبار، الحكيم الغفار، الكبير المتعال، ذي العطاء والفعال، والسخاء والنوال، والبهاء والجمال، والمن والافضال، ما لك اليوم الذي لا بيع فيه ولا خلال، أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وفي كل حال من شدة أو رخاء.

أحمده على نعمه التؤام وآلائه العظام، حمداً يستنير بالليل والنهار. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة النجاة في الحياة، وعند الوفاة وفيها الخلاص يوم القصاص، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى، وإمام الهدى ﷺ. ثم كان من قضاء الله أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض، والله يعلم أني كنت كارها لذلك، ولكنهم لم يبلعونا ريقنا ولم يتركونا نرتاد لأنفسنا، وننظر لمعادنا، حتى نزلوا بين أظهرنا، وفي حريمنا وبيضتنا وقد علمنا أن في القوم أحلاماً وطغاماً، ولسنا نأمن من طغامهم على ذرارينا ونسائنا، ولقد كنا نحب ألا نقاتل أهل ديننا، فأخرجونا حتى صارت الأُمور إلى أن قاتلناهم غداً حمية فإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين![1]

خطبة يزيد بن قيس

قال أبو مخنف: حدثني أبو روق الهمداني أن يزيد بن قيس الأرحبي حرض الناس فقال: إن المسلم السليم من سلم دينه ورأيه وإن هؤلاء القوم والله إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيعناه وإحياء حق رأونا أمتناه وإن يقاتلوننا إلّا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً فلو ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهوراً

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥ : ١٩٣.

ولا سروراً لزموكم بمثل سعيد والوليد وعبدالله بن عامر السفيه الضال يجيز أحدهم في مجلسه بمثل ديته ودية أبيه وجده يقول هذا لي ولا إثم عليَّ كأنما أعطى تراثه عن أبيه وأُمه وإنما هو مال الله عزّ وجل أفاءه علينا بأسيافنا وأرماحنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ولا يأخذكم في جهادهم لوم لائم فإنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم، وأيم الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلّا شراً.[١]

خطبة أبو الهيثم

وأقبل أبو الهيثم بن التيهان[٢] وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بدرياً نقيباً عقبياً، يسوى صفوف أهل العراق ويقول: يا معشر أهل العراق إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل، والجنة في الآجل إلّا ساعة من النهار، فأرسوا أقدامكم، وسووا صفوفكم، وأعيروا ربكم جماجمكم، استعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدو الله وعدوكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم! واصبروا فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.[٣]

قال الشعبي: أن أول فارسين التقيا في هذا اليوم ـ وهو اليوم السابع من صفر، وكان من الأيام العظيمة في صفين، ذا أهوال شديدة ـ حجر الخير وحجر

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٢.

(٢) أبو الهيثم، مالك بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، شهد العقبة وكان أحد النقباء وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومات سنة عشرين أو احدى وعشرين؛ وقيل: انّه أدرك صفين وشهدها مع علي عليه السلام وقتل بها وهو الأكثر. أسد الغابة ٥: ٣١٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥: ١٩٠.

الشر ، أما حجر الخير فهو حجر بن عدي ، صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأما حجر الشر فابن عمه ، كلاهما من كندة ، وكان من أصحاب معاوية ، فاطعنا برمحيهما ، وخرج رجل من بني أسد ، يقال له خزيمة ، من عسكر معاوية ، فضرب حجر بن عدي ضربة برمحه ، فحمل أصحاب علي عليه السلام فقتلوا خزيمة الأسدي ، ونجا حجر الشر هارباً ، فالتحق بصف معاوية . ثم برز حجر الشر ثانية ، فبرز إليه الحكم بن أزهر من أهل العراق ، فقتله حجر الشر .[١]

الدعوة إلى القرآن

قال نصر : أن علياً قال : من يذهب بهذا المصحف إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى ما فيه ؟ فأقبل فتى اسمه سعيد فقال : أنا صاحبه . ثم أعادها فسكت الناس وأقبل الفتى فقال : أنا صاحبه .

فقال علي : دونك . فقبضه بيده ثم أتى معاوية فقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه .[٢]

شهادة عبدالله بن بديل

بعد شهادة سعيد ـ الفتى الذي حمل القرآن لدعوة أهل الشام ـ قال علي عليه السلام

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٩٥ .

(٢) وقعة صفين : ٢٤٤ .

لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي[١] : احمل عليهم الآن ، فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة ، وعليه يومئذ سيفان ودرعان ، فجعل يضرب بسيفه قدماً ، ويقول :

لم يبق غير الصبر والتوكّل والترس والرمح وسيف مقصل
ثم التمشي في الرعيل الأول مشي الجمال في حياض المنهل
والله يقضي ما يشاء ويفعل

فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية ، والذين بايعوه إلى الموت ، فأمرهم أن يصمدوا لعبدالله بن بديل ، وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه ، واختلط الناس ، واضطرم الفيلقان ، ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشام ، وأقبل عبد الله بن بديل يضرب الناس بسيفه قدماً ، حتى أزال معاوية عن موقفه وجعل ينادي : يا ثارات عثمان ! وإنما يعني أخاً له قد قتل ، وظن معاوية وأصحابه أنه يعني عثمان بن عفان ، وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً وأشفق على نفسه ، وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية ، وثالثة ، يستنجده ويستصرخه ، ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق ، فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلّا نحو مائة إنسان من القراء ، فاستند بعضهم إلى بعض ،

(١) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، أسلم مع أبيه قبل الفتح ، وكان سيد خزاعة ، وقيل : بل هو من مسلمة الفتح ، والأول أصح ، وشهد الفتح وحنيناً والطائف وتبوك ، وكان له نخل كثير ، وقتل هو وأخوه عبد الرحمن بصفين مع علي عليه السلام وكان على الرجالة ، وهو من أفاضل أصحاب علي عليه السلام وأعيانهم ، وهو الذى صالح أهل أصبهان مع عبد الله بن عامر في خلافة عثمان سنة تسع وعشرين . أُسد الغابة ٣ : ١٢٤ .

يحمون أنفسهم ، ولجج ابن بديل في الناس وصمم على قتل معاوية ، وجعل يطلب موقفه ، ويصمد نحوه ، حتى انتهى إليه ، ومع معاوية عبد الله بن عامر واقفاً، فنادى معاوية في الناس : ويلكم ! الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح. فرضخه الناس بالصخر والحجارة حتى أثخنوه فسقط ، فأقبلوا عليه بسيوفهم ، فقتلوه .

وجاء معاوية وعبد الله بن عامر حتى وقفا عليه ، فأما عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه ، وترحم عليه ، وكان له أخاً صديقاً من قبل ، فقال معاوية : اكشف عن وجهه ، فقال : لا والله لا يمثل به وفيَّ روح !

فقال معاوية : اكشف عن وجهه فإنا لا نمثّل به ، قد وهبناه لك .

فكشف ابن عامر عن وجهه ، فقال معاوية : هذا كبش القوم وربّ الكعبة، اللهمَّ أظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي ! والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ويحمى إذا ما الموت كان لقاؤه قدى الشبر يحمى الانف أن يتأخرا
كليث هزبر كان يحمى ذماره رمته المنايا قصدها فتقطرا[١]

ثمّ قال : إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها ، لفعلت .[٢]

قال الراوي : واستعلى أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق

(١) تقطر : خرَّ صريعاً .
(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٩٦ .

يومئذ، وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة، وأجفلوا إجفالاً شديداً، فأمر علي عليه السلام سهل بن حنيف، فاستقدم من كان معه، ليرفد الميمنة ويعضدها، فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة، فحملت عليهم، فألحقتهم بالميمنة، وكانت ميمنة أهل العراق متصلة بموقف علي عليه السلام في القلب في أهل اليمن، فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى علي عليه السلام، فانصرف يمشي نحو الميسرة، فانكشف مضر عن الميسرة أيضاً، فلم يبق مع علي عليه السلام من أهل العراق إلّا ربيعة وحدها في الميسرة.[1]

معاوية يقرر الفرار

وبعد شهادة عبدالله وحمل الأشتر بعدهما في أهل العراق كافة فلم يبق لأهل الشام صف إلا أنتقض، وأهمد أهل العراق ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية وعلي عليه السلام يضرب الناس بسيفه قدماً قدماً، ويقول:

أضربهم ولا أرى معاوية　　　الا خزر العين العظيم الحاوية

هوت به في النار أم هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب توقف وتلوم قليلاً، ثم أنشد قول عمرو بن الاطنابة:

أبت لى عفتى وأبى بلائي　　　وأخذ الحمد بالثمن الربيح

وإقدامي على المكروه نفسي　　　وضربي هامة البطل المشيح

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥: ١٩٩.

وقولي كلما جشأت وجاشت　مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات　وأحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف　ونفس ما تقر على القبيح

ثم قال : يا عمرو بن العاص ، اليوم صبر وغداً فخر ، قال : صدقت ، إنك وما أنت فيه ، كقول القائل :

ما علتي وأنا جلد نابل　والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل　الموت حق والحياة باطل

فثنى معاوية رجله من الركاب ، ونزل واستصرخ بعك والأشعريين ، فوقفوا دونه ، وجالدوا عنه ، حتى كره كل من الفريقين صاحبه ، وتحاجز الناس .[1]

شجاعة مالك الأشتر

قال نصر : لما انهزمت ميمنة العراق يومئذ أقبل علي ﷺ نحو الميسرة يركض ، يستثيب[2] الناس ويستوقفهم ، ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع ، فمر بالأشتر ، فقال : يا مالك .

قال : لبيك يا أمير المؤمنين !

قال : ائت هؤلاء القوم ، فقل لهم : أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه ، إلى الحياة التي لا تبقى لكم !

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٠٢ .

(٢) يستثيب الناس : يسترجعهم .

فمضى الأشتر، فاستقبل الناس منهزمين، فقال لهم الكلمات، وناداهم: إلى أيها الناس، أنا مالك بن الحارث، يكررها، فلم يلو أحد منهم عليه، وظن أن الأشتر أعرف في الناس من مالك بن الحارث، فجعل ينادي: ألا أيها الناس، فأنا الأشتر، فانقلب نحوه طائفة، وذهبت عنه طائفة، فقال: عضضتم بهن أبيكم! ما أقبح والله ما فعلتم اليوم!

أيها الناس، غضوا الأبصار، وعضوا على النواجذ، واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا عليهم شدة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم، حنقاً على عدوهم. قد وطنوا على الموت أنفسهم كي لا يسبقوا بثأر.

إن هؤلاء القوم والله لن يقاتلوكم إلّا عن دينكم، ليطفئوا السنة، ويحيوا البدعة، ويدخلوكم في أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم، فإن الفرار فيه سلب العز والغلبة على الفيء، وذل المحيا والممات، وعار الدنيا والآخرة، وسخط الله وأليم عقابه.

ثم قال: أيها الناس، أخلصوا إلى مذحجاً، فاجتمعت إليه مذحج فقال لهم: عضضتم بصم الجندل! ولله ما أرضيتم اليوم ربكم، ولا نصحتم له في عدوه، وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران ومذحج الطعان، الذين لم يكونوا سبقوا بثأرهم، ولم تطل دماؤهم، ولم يعرفوا في موطن من المواطن بخسف! وأنتم سادة مصركم، وأعز حي في قومكم، وما تفعلوا في هذا اليوم فهو مأثور بعد اليوم، فاتقوا مأثور الحديث في غد، واصدقوا عدوكم اللقاء، فإن الله مع الصابرين.

والذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء ـ وأشار بيده إلى أهل الشام ـ رجل على مثل جناح البعوضة من دين الله، لله أنتم! ما أحسنتم اليوم القراع، احبسوا

سواد وجهي يرجع فيه دمي ، عليكم هذا السواد الأعظم ، فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمة .

فقالوا : خذ بنا حيث أحببت ، فصمد بهم نحو عظمهم واستقبله أشباههم من همدان ، وهم نحو ثمانمائة مقاتل قد انهزموا آخر الناس ، وكانوا قد صبروا في ميمنة علي عليه السلام ، حتى قتل منهم مائة وثمانون رجلاً ، وأصيب منهم أحد عشر رئيساً ، كلما قتل منهم رئيس أخذ الراية آخر ، وهم بنو شريح الهمدانيون وغيرهم من رؤساء العشيرة ، فأول من أصيب منهم كريب بن شريح ، وشرحبيل بن شريح ، ومرثد بن شريح ، وهبيرة بن شريح ، وهريم بن شريح ، وشهر بن شريح ، وشمر بن شريح ، قتل هؤلاء الاخوة الستة في وقت واحد .

ثم أخذ الراية سفيان بن زيد ، ثم كرب بن زيد ، ثم عبد بن زيد ، فقتل هؤلاء الاخوة الثلاثة أيضاً ، ثم أخذ الراية عمير بن بشر ، ثم أخوه الحارث بن بشر ، فقتلا جميعاً .

ثم أخذ الراية أبو القلوص وهب بن كريب ، فقال له رجل من قومه : انصرف يرحمك الله بهذه الراية ، ترحها الله فقد قتل ! الناس حولها ، فلا تقتل نفسك ، ولا من بقى معك .

فانصرفوا وهم يقولون : ليت لنا عديداً من العرب يحالفوننا على الموت ، ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نظفر أو نقتل ، فمروا بالأشتر وهم يقولون هذا القول ، فقال لهم الأشتر : أنا أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبداً ، حتى نظفر أو نهلك ، فوقفوا معه على هذه النية والعزيمة ، فهذا معنى قول كعب بن جعيل :

وهمدان زرق تبتغي من تحالف .

وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وثاب إليه أناس تراجعوا من أهل الصبر والوفاء والحياء ، فأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها ، ولا لجمع إلا حازه ورده فإنه لكذلك إذ مر بزياد بن النضر مستلحماً ، فقال الأشتر : هذا والله الصبر الجميل ، هذا والله الفعل الكريم إليّ .

وقد كان هو وأصحابه في ميمنة العراق ، فتقدم فرفع رايته لهم ، فصبروا وقاتل حتى صرع ، ثم لم يلبث الأشتر إلّا يسيرا كلا شيء حتى مر بهم يزيد بن قيس الأرحبي مستلحماً أيضاً محمولاً ، فقال الأشتر : من هذا ؟

قالوا : يزيد بن قيس ، لما صرع زياد بن النضر دفع رايته لأهل الميمنة ، فقاتل تحتها حتى صرع .

فقال الأشتر : هذا والله الصبر الجميل ، هذا والله الفعل الكريم ، ألا يستحيي الرجل أن ينصرف لم يقتل ولم يقتل ، ولم يشف به على القتل !

قال نصر : كان بيد الأشتر يومئذ صفيحة له يمانية ، إذا طأطأها خلت فيها ماء ينصب ، وإذا رفعها يكاد يغشى البصر شعاعها ، ومر يضرب الناس بها قدماً ، ويقول : الغمرات[1] ثم ينجلينا .

قال : فبصر به الحارث بن جمهان الجعفي ، والأشتر مقنع في الحديد فلم يعرفه ، فدنا منه ، وقال له : جزاك الله منذ اليوم عن أمير المؤمنين وعن جماعة المسلمين خيراً . فعرفه الأشتر فقال : يا بن جمهان ، أمثلك يتخلف اليوم عن مثل موطنى هذا ! فتأمله ابن جمهان فعرفه ـ وكان الأشتر من أعظم الرجال وأطولهم ،

---

(١) هو مثل ، رواه العسكري في الامثال ٢ : ٩٧ ، وقال : الغمرات : الشدائد ، يقول : اصبر في الشدائد فإنها تنجلي وتذهب ، ويبقى حسن ترك في الصبر عليها .

إلا أن في لحمه خفة قليلة ـ فقال له : جعلت فداك ! لا والله ما علمت مكانك حتى الساعة ولا والله لا أفارقك حتى أموت.[١]

أبو كعب الخثعمي

قال نصر : أن عبد الله بن حنش الخثعمي ، رأس خثعم الشام ، أرسل إلى أبي كعب الخثعمي رأس خثعم العراق : إن شئت تواقفنا فلم نقتتل ، فإن ظهر صاحبكم كنا معكم ، وإن ظهر صاحبنا كنتم معنا ، ولا يقتل بعضنا بعضاً ، فأبى أبو كعب ذلك .

فلما التقت خثعم وخثعم ، وزحف الناس بعضهم إلى بعض ، قال عبد الله بن حنش لقومه : يا معشر خثعم ، إنا قد عرضنا على قومنا من أهل العراق الموادعة ، صلة لأرحامها ، وحفظاً لحقها ، فأبوا إلا قتالنا وقد بدءونا بالقطيعة ، فكفوا أيديكم عنهم حفظاً لحقهم أبداً ما كفوا عنكم ، فإن قاتلوكم فقاتلوهم .

فخرج رجل من أصحابه فقال : إنهم قد ردوا عليك رأيك ، وأقبلوا إليك يقاتلونك ، ثم برز ، فنادى رجل : يا أهل العراق.

فغضب عبد الله بن حنش ، قال : اللهمَّ قيض له وهب بن مسعود ـ يعني رجلاً من خثعم الكوفة ، كان شجاعاً يعرفونه في الجاهلية ، لم يبارزه رجل قط إلّا قتله ـ فخرج إليه وهب بن مسعود فقتله ، ثم اضطربوا ساعة ، واقتتلوا أشد قتال ، فجعل أبو كعب يقول لأصحابه : يا معشر خثعم : خدموا ، أي اضربوا موضع الخدمة، وهي الخلخال ، يعني اضربوهم في سوقهم ، فناداه عبد الله بن حنش : يا

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٩٩ ـ ٢٠٢ .

أبا كعب ، الكل قومك فأنصف ، قال : أي والله وأعظم .

واشتد قتالهم ، فحمل شمر بن عبد الله الخثعمي ، من خثعم الشام على أبي كعب ، فطعنه فقتله ، ثم انصرف يبكي ، ويقول : يرحمك الله أبا كعب ! لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحماً منهم ، وأحب إلى منهم نفساً ، ولكني والله لا أدري ما أقول ، ولا أرى الشيطان إلّا قد فتننا ، ولا أرى قريشاً إلّا وقد لعبت بنا !

قال : ووثب كعب بن أبي كعب إلى راية أبيه ، فأخذها ففقئت عينه وصرع ، ثم أخذها شريح بن مالك الخثعمي ، فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم نحو ثمانين رجلاً ، وأصيب من خثعم الشام مثلهم ، ثم ردها شريح بن مالك بعد ذلك إلى كعب بن أبى كعب .

شجاعة أبو شدّاد

قال أبو مخنف : أن راية بجيلة بصفين كانت في أحمس بن الغوث بن أنمار مع أبي شداد ، وهو قيس بن مكشوح بن هلال ، وقال له بجيلة : خذ رايتنا .

فقال : غيرى خير لكم مني .

قالوا : ما نريد غيرك .

قال : والله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب .

قالوا : اصنع ما شئت ، فأخذها ثم زحف حتى انتهى بهم إلى صاحب الترس المذهب ، وكان في جماعة عظيمة من أصحاب معاوية وذكروا أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فاقتتل الناس هنالك قتالاً شديداً فشد بسيفه نحو صاحب الترس

فتعرض له رومي مولى لمعاوية فيضرب قدم أبي شداد فيقطعها ويضربه أبو شداد فيقتله وأشرعت إليه الأسنة فقتل وأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسي وهو يقول:

لا يبعد الله أبا شداد   حيث أجاب دعوة المنادي

وشدّ بالسيف على الأعادي   نعم الفتى كان لدا الطراد

وفي طعان الرجل والجلاد

فقاتل حتى قتل، فأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن إياس فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس وقتل حازم بن أبي حازم الأحمسي أخو قيس بن أبي حازم يومئذ، وقتل نعيم بن صهيب بن العلية البجلي يومئذ فأتى ابن عمه وسميه نعيم بن الحارث بن العلية معاوية وكان معه فقال: إن هذا القتيل ابن عمي فهبه لي أدفنه.

فقال: لا تدفنه فليسوا لذلك أهلا، والله ما قدرنا على دفن ابن عفان.[1]

قال نصر: فقال رجل من أصحاب علي عليه السلام: والله لأحملن على معاوية حتى أقتله! فأخذ فرساً فركبه ثم ضربه حتى إذا قام على سنابكه دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية، ودخل معاوية خباء فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه، فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر وطلع الرجل في إثره، فخرج معاوية وهو يقول:

أقول لها وقد طارت شعاعاً   من الأبطال إنك لن تراعى

فإنك لو سألت خلاء يوم   على الأجل الذي لك لم تطاعى

فأحاط به الناس فقال: ويحكم، إن السيوف لم يؤذن لها في هذا، ولولا

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٧.

ذلك لم يصل إليكم ، عليكم بالحجارة .

فرضخوه بالحجارة حتى همد الرجل ، ثم عاد معاوية إلى مجلسه وهو يقول : هذا كما قال الآخر :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وحمل يومئذ أبو أيوب على صف أهل الشام ثم رجع فوافق رجلاً من أهل الشام صادراً قد حمل على صف أهل العراق ثم رجع ، فاختلفا ضربتين ، فنفحه أبو أيوب فأبان عنقه ، فثبت رأسه على جسده كما هو ، وكذب الناس أن يكون ضربه وأرابهم ، حتى إذا دخل في أهل الشام وقع ميتاً وندر رأسه ، فقال علي عليه السلام : والله لأنا من ثبات رأس الرجل أشد تعجباً مني لضربته ، وإن كان إليها ينتهي وصف الضارب .

وغدا أبو أيوب إلى القتال فقال له علي عليه السلام : أنت والله كما قال القائل :

وعلمنا الضرب آباؤنا فسوف نعلم أيضا بنينا[1]

أحداث يوم الثامن من صفر

قال نصر : وأصبحوا في اليوم الثامن ، والفيلقان متقابلان ، فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة ، فخرج إليه رجل من أهل العراق ، فاقتتلا بين الصفين قتالاً شديداً . ثم إن العراقي اعتنقه فوقعا جميعاً ، وغار الفرسان . ثم إن العراقي قهره ، فجلس على صدره ، وكشف المغفر عنه ، يريد ذبحه ، فإذا هو أخوه لأبيه وأمه ، فصاح به أصحاب علي عليه السلام : ويحك أجهز عليه !

---

(١) منهاج البراعة ٥ : ٥١ .

قال : إنه أخي !

قالوا : فأتركه .

قال : لا والله حتى يأذن أمير المؤمنين ، فأخبر علي عليه السلام بذلك ، فأرسل إليه أن دعه ، فتركه فقام فعاد إلى صف معاوية.(١)

حُريث غلام معاوية

قال نصر : كان فارس معاوية الذي يعده لكل مبارز ولكل عظيم ، حريث مولاه ، وكان يلبس سلاح معاوية متشبهاً به فإذا قاتل قال الناس : ذاك معاوية . وإن معاوية دعاه ، فقال له : يا حريث ، اتق علياً وضع رمحك حيث شئت .

فأتاه عمرو بن العاص ، فقال : يا حريث ، إنك والله لو كنت قرشياً لأحب لك معاوية أن تقتل علياً ، ولكن كره أن يكون لك حظها ، فإن رأيت فرصه فاقتحم .

قال : وخرج علي عليه السلام في هذا اليوم أمام الخيل ، فحمل عليه حريث .

قال جابر بن عبد الله : وبرز حريث مولى معاوية هذا اليوم ، وكان شديداً أيداً ذا بأس لا يرام ، فصاح : يا علي ، هل لك في المبارزة ؟ فأقدم أبا حسن إن شئت ، فأقبل علي عليه السلام ، وهو يقول :

أنا علي وابن عبد المطلب　　نحن لعمر الله أولى بالكتب

منا النبي المصطفى غير كذب　　أهل اللواء والمقام والحجب

نحن نصرناه على كل العرب

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢١٤ .

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربة واحدة ، فقطعه نصفين .

فجزع معاوية على حريث جزعاً شديداً ، وعاتب عمراً في إغرائه إياه بعلي عليه السلام ، وقال في ذلك شعراً :

حريث ألم تعلم وجهلك ضائر ... بأن علياً للفوارس قاهر
وأن علياً لم يبارزه فارس ... من الناس إلا أقصدته الأظافر
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... فجدك إذ لم تقبل النصح عاثر
ودلاك عمرو والحوادث جمة ... غرورا وما جرت عليك المقادر
وظن حريث أن عمراً نصيحه ... وقد يهلك الانسان من لا يحاذر

قال نصر : فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكي ، فنادى : يا أبا حسن ، هلم إلى المبارزة ، فأومأ عليه السلام إلى سعيد بن قيس الهمداني فبارزه ، فضربه بالسيف فقتله .[1]

شجاعة العبّاس بن ربيعة[2]

قال أبو مخنف : قال أبو الأغر التميمي : بينا أنا واقف بصفين ، مر بي العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، مكفراً بالسلاح ، وعيناه تبصان ، من تحت

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢١٥ .

(٢) العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من شجعان قريش وأبطالها ذا قدرة وجاه أقطعه عثمان داراً بالبصرة ، وأعطاه مائه ألف درهم وشهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وأبلى بها بلاء حسناً . الدرجات الرفيعة : ١٨٩ .

المغفر ، كأنهما عينا أرقم ، وبيده صفيحة يمانية يقلبها ، وهو على فرس له صعب ، فبينا هو يمغثه[١]، ويلين من عريكته ، هتف به هاتف من أهل الشام ، يعرف بعرار بن أدهم : يا عباس : هلم إلى البراز !

قال العباس : فالنزول إذا فإنه أيأس من القفول ، فنزل الشامي ، وهو يقول :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا ... أو تنزلون فإنا معشر نزل

وثنى العباس رجله ، وهو يقول : ويصد عنك مخيلة الرجل العريض موضحة عن العظم بحسام سيفك أو لسانك ، والكلم الأصيل كأرغب الكلم ثم عصب فضلات درعه في حجزته[٢] ودفع فرسه إلى غلام له أسود ، يقال له أسلم ، كأني والله أنظر إلى فلافل شعره ، ثم دلف كل واحد منهما إلى صاحبه ، فذكرت قول أبي ذؤيب : فتنازلا وتواقفت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مخدع[٣] وكفت الناس أعنة خيولهم ينظرون ما يكون من الرجلين ، فتكافحا بسيفيهما ملياً من نهارهما ، لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته ، إلى أن لحظ العباس وهنا في درع الشامي ، فأهوى إليه بيده ، فهتكه إلى ثندوته[٤] ، ثم عاد لمجاولته ، وقد أصحر له[٥] مفتق الدرع ، فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره ، فخر الشامي لوجهه ، وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض من تحتهم ، وسما العباس في الناس ، فإذا قائل يقول : من ورائي : ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم

(١) المغث : الضرب الخفيف .

(٢) الحجزة : معقد الازار .

(٣) ديوان الهذليين ١ : ١٨ ، ومخدع : مجرب ، أي قد خدع مرة بعد مرة بعد أخرى حتى فهم وحذر .

(٤) الثندوة للرجل ، بمثل الثدي للمرأة .

(٥) أصحر له : برز له في العراء ، وأصله الخروج إلى الصحراء .

وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء﴾[١]، فالتفت فإذا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي : يا أبا الأغر ، من المنازل لعدونا ؟

قلت : هذا ابن أخيكم ، هذا العباس بن ربيعة .

فقال : وإنه لهو ! يا عباس ألم أنهك ، وابن عباس أن تخلا بمراكزكما ، وأن تباشرا حرباً !

قال : إن ذلك كان .

قال : فما عدا مما بدا ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، أفأدعى إلى البراز فلا أجيب !

قال : نعم طاعة إمامك أولى من إجابة عدوك ، ثم تغيظ واستطار حتى قلت: الساعة الساعة . ثم سكن وتطامن ، ورفع يديه مبتهلاً ، فقال : اللهمَّ اشكر للعباس مقامه ، واغفر ذنبه ، إني قد غفرت له ، فاغفر له .

قال : ولهف معاوية على عرار ، وقال : متى ينتطح فحل لمثله أيطل دمه ؟ لاها الله إذا ! ألا رجل يشري نفسه لله ، يطلب بدم عرار ! فانتدب له رجلان من لخم فقال لهما : اذهبا ، فأيكما قتل العباس برازاً فله كذا ، فأتياه فدعواه للبراز ، فقال : إن لى سيداً أريد أن أؤامره ، فأتى علياً عليه السلام ، فأخبره الخبر .

فقال علي عليه السلام : والله لود معاوية ، أنه ما بقى من بني هاشم نافخ ضرمة إلا طعن في بطنه ، إطفاء لنور الله : **﴿ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون﴾** ،

(١) سورة التوبة : ١٤ ـ ١٥ .

أما والله ليملكنهم منا رجال ورجال يسومونهم الخسف ، حتى يحتفروا الآبـار ، ويتكففوا الناس ، ويتوكلوا على المساحي ، ثم قال : يا عباس ناقلني سـلاحك بسلاحي ، فناقله ووثب على فرس العباس ، وقصد اللخميين ، فما شكا أنه هو ، فقالا : أذن لك صاحبك ، فحرج أن يقول : نعم ، فقال : ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**﴾[1]، فبرز إليه أحدهما ، فكأنما اختطفه ، ثم برز له الآخر فألحقه بالأول ، ثم أقبل هو يـقول : ﴿**الشـهر الحـرام بـالشهر الحـرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾[2].

ثم قال : يا عباس ، خذ سلاحك وهات سلاحي ، فإن عاد لك أحد فـعد إليّ.[3]

علي عليه السلام ومعاوية وجهاً لوجه

قال نصر : ثم قام علي عليه السلام بين الصفين ثم نادى : يا معاوية ! ـ يكررها ـ فقال معاوية : اسألوه ، ما شأنه ؟

قال : أحب أن يظهر لي فأكلمه كلمة واحدة .

فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص ، فلما قارباه لم يلتفت إلى عمرو ، وقال لمعاوية : ويحك ، علام يقتتل الناس بيني وبينك ، ويضرب بعضهم بعضاً ؟ ! ابرز إليّ فأينا قتل صاحبه فالأمر له .

---

(١) الحج : ٣٩.

(٢) البقرة : ١٩٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢١٩ .

فالتفت معاوية إلى عمرو فقال : ما ترى يا أبا عبد الله فيما ها هنا ، أبارزه ؟

فقال عمرو : لقد أنصفك الرجل ، واعلم أنه إن نكلت عنه لم تزل سبة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي .

فقال معاوية : يا عمرو بن العاص ، ليس مثلي يخدع عن نفسه . والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قط إلّا سقى الأرض من دمه . ثم انصرف راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه .

فلما رأى علي عليه السلام ذلك ضحك وعاد إلى موقفه .

وفي حديث عمر قال : قال معاوية : ويحك يا عمرو ، ما أحمقك ، أتراني أبرز إليه ودوني عك والأشعرون وجذام ؟ !

قال : وحقدها معاوية على عمرو باطناً وقال له ظاهراً: ما أظنك قلت ما قلته يا عمرو إلا مازحاً .

فلما جلس معاوية مجلسه مع أصحابه أقبل عمرو يمشي حتى جلس فقال معاوية :

يا عمرو إنك قد قشرت لي العصا — برضاك في وسط العجاج برازى

يا عمرو إنك قد أشرت بظنة — إن المبارز كالجدي النازى

ما للملوك وللبراز وإنما — حتف المبارز خطفة للبازى

ولقد أعدت فقلت مزحة مازح — والمزح يحمله مقال الهازي

فإذا الذي منتك نفسك خالياً — قتلي ، جزاك بما نويت الجازي

فلقد كشفت قناعها مذمومة — ولقد لبست بها ثياب الخازي

فقال له عمرو : إيها أيها الرجل ، أتجبن عن خصمك وتتهم نصيحك ؟ !

وقال مجيباً له :

مــعاوي إن نكـلت عـن البـراز لك الويلات فانظر في المـخازي
مـعاوي مـا اجـترمت إليك ذنـباً وما أنا في التي حـدثت بـخازي
ومــا ذنــبي بــأن نـادى عـلي وكــبش القــوم يــدعى للــبراز
فــلو بــارزته بــارزت ليـثاً حديد الناب يـخطف كـل بـازي
ويــزعم أنــني أضــمرت غشاً جزاني بـالذي أضـمرت جـازي
أضبع في العجاجة يـا ابـن هـند وعند الباه كـالتيس الحـجازي[1]

رسالة علي عليه السلام إلى حوشب الحميري

عن عبد الواحد الدمشقي قال : نادى حوشب الحميري علياً عليه السلام يوم صفين فقال : انصرف عنا يا ابن أبي طالب ، فإنا ننشدك الله في دمائنا .

فقال علي عليه السلام : هيهات يا ابن أُم ظليم ! والله لو علمت أن المداهنة تسعني في دين الله لفعلت ، ولكان أهون عليَّ في المؤونة ، ولكن الله لم يرض من أهل القران بالادهان والسكوت ، والله يقضي.[2]

فرحة علقمة بن قيس

قال نصر : وقاتلت النخع مع علي عليه السلام ذلك اليوم قتالاً شديداً ، وقطعت رجل

---

(١) وقعة صفين : ٢٧٤ .

(٢) فرائد السمطين ١ : ٣٨٠ ح ٣١١ .

علقمة بن قيس النخعي ، وقتل أخوه أُبي بن قيس ، فكان علقمة يقول بعد : ما أحب أن رجلي أصح ما كانت لما أرجو بها من حسن الثواب .

وكان يقول : لقد كنت أحب أن أبصر أخي في نومي ، فرأيته ، فقلت له : يا أخي ، ما الذي قدمتم عليه ؟

فقال لي : التقينا نحن وأهل الشام بين يدي الله سبحانه ، فاحتججنا عنده ، فحججناهم . فما سررت بشيء منذ عقلت سروري بتلك الرؤيا .(١)

وعن الحضين بن المنذر الرقاشي ، قال : إن ناساً أتوا علياً عليه السلام قبل الوقعة في هذا اليوم فقالوا له : إنا لا نرى خالد بن المعمر السدوسي إلا قد كاتب معاوية ، وقد خشينا أن يلتحق به ويبايعه ، فبعث إليه علي عليه السلام وإلى رجال من أشراف ربيعة ، فجمعهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

يا معشر ربيعة ، أنتم أنصاري ومجيبوا دعوتي ، ومن أوثق أحياء العرب في نفسي ، وقد بلغني أن معاوية قد كاتب صاحبكم هذا ، وهو خالد بن المعمر ، وقد أتيت به وجمعتكم لأشهدكم عليه ، وتسمعوا مني ومنه .

ثم أقبل عليه فقال : يا خالد بن المعمر ، إن كان ما بلغني عنك حقاً ، فإني أشهد من حضرني من المسلمين ، أنك آمن ، حتى تلحق بالعراق ، أو بالحجاز ، أو بأرض لا سلطان لمعاوية فيها ، وإن كنت مكذوباً عليك ، فأبر صدورنا بأيمان نطمئن إليها ، فحلف له خالد بالله ما فعل ، وقال رجال منا كثير : والله يا أمير المؤمنين لو نعلم أنه فعل لقتلناه .

وقال شقيق بن ثور السدوسي : ما وفق الله خالد بن المعمر حين ينصر

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٢٥ .

معاوية وأهل الشام على علي وأهل العراق وربيعة .

فقال له زياد بن خصفة : يا أمير المؤمنين ، استوثق من ابن المعمر بالأيمان ، لا يغدر بك ، فاستوثق منه . ثم انصرفوا .

فلما تصاف الناس في هذا اليوم ، وحمل بعضهم على بعض ، تضعضعت ميمنة أهل العراق ، فجاءنا علي عليه السلام ومعه بنوه ، حتى انتهى إلينا ، فنادى بصوت عال جهير : لمن هذه الرايات ؟

فقلنا : رايات ربيعة .

فقال : بل هي رايات الله عصم الله أهلها ، وصبرهم وثبت أقدامهم ، ثم قال لي وأنا حامل راية ربيعة يومئذ : يا فتى ، ألا تدني رايتك هذه ذراعاً ؟

فقلت : بلى ، والله وعشرة أذرع ، ثم ملت بها هكذا فأدنيتها ، فقال لي : حسبك مكانك .[1]

علي عليه السلام في الميدان

عن زيد بن وهب الجهني قال: مر علي معه بنوه نحو الميسرة واني لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبه وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه فيتقدم فيحول بين أهل الشام وبينه فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه أو من ورائه فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو عثمان أو بعض بني أمية فقال: وربّ الكعبة قتلني الله أن لم أقتلك أو تقتلني، فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٢٥ .

فاختلفا ضربتين فقتله مولى بني أمية وينتهزه علي فيقع بيده في جيب درعه فيجبذه ثم حمله على عاتقه فكأني أنظر إلى رجيلتيه تختلفان على عنق علي ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه وشدّا ابنا علي عليه الحسين ومحمد فضرباه بأسيافهما فكأني أنظر إلى علي عليه السلام قائماً وإلى شبليه يضربان الرجل حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما والحسن قائماً قال له: يا بني ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟

قال: كفياني يا أمير المؤمنين، ثم إن أهل الشام دنوا منه ووالله ما يزيده قربهم منه سرعة في مشيه.

فقال له الحسن: ما ضرك لو سعيت حتى تنتهى إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من أصحابك.

فقال: يا بنى إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطىء به عنه السعي ولا يعجل به إليه المشي إن أباك والله ما يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه.[1]

عن أبي إسحاق قال: خرج علي عليه السلام يوماً من أيام صفين، وفى يده عنزة، فمر على سعيد بن قيس الهمداني، فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوك ؟

فقال علي عليه السلام: إنه ليس من أحد إلّا وعليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى في قليب، أو يخر عليه حائط، أو تصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.[2]

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥: ١٩٩.

الحرب في اليوم التاسع من صفر

قال نصر : ثم ذهب هذا اليوم بما فيه ، فأصبحوا في اليوم التاسع من صفر ، وقد خطب معاوية أهل الشام وحرضهم ، فقال : إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وحضركم ما حضركم ، فإذا نهدتم إليهم إن شاء الله ، فقدموا الدارع ، وأخروا الحاسر ، وصفوا الخيل وأجنبوها ، وكونوا كقص الشارب ، وأعيرونا جماجمكم ساعة ، فإنما هو ظالم أو مظلوم وقد بلغ الحق مقطعه .

قال نصر : وقام معاوية فخطب الناس بصفين في هذا اليوم ، فقال : انظروا يا أهل الشام ، إنكم غداً تلقون أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا قوماً طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم ، فأقبلوا من بلادهم ، حتى نزلوا في بيضتكم ، وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قوماً تذبون عن نسائكم وأبنائكم فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ، أسأل الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين .

مقتل ذو الكلاع

فقام ذو الكلاع فقال : يا معاوية :

إنا نحن الصبر الكرام لا ننثني عند الخصام
بنو الملوك العظام ذوي النهى والأحلام
لا يقربون الآثام

فقال معاوية : صدقت .

وكانت التعبئة في هذا اليوم كالتعبئة في الذي قبله ، وحمل عبيد الله بن عمر في قراء أهل الشام ، ومعه ذو الكلاع في حمير على ربيعة ، وهي في ميسرة علي عليه السلام ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فأتى زياد بن خصفة إلى عبد القيس ، فقال لهم : لا بكر بن وائل بعد اليوم ! إن ذا الكلاع وعبيد الله أبادا ربيعة فانهضوا لهم ، وإلا هلكوا، فركبت عبد القيس ، وجاءت كأنها غمامة سوداء فشدت أزر الميسرة ، فعظم القتال ، فقتل ذو الكلاع الحميرى ، قتله رجل من بكر بن وائل ، اسمه خندف ، وتضعضعت أركان حمير ، وثبتت بعد قتل ذي الكلاع تحارب مع عبيد الله ابن عمر .[1]

مَن هو عبيدالله بن عمر ؟

عبيدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان من شجعان قريش وفرسانهم، وقد روي أن عمر ضرب ابنه عبيدالله بالدرة وقال: أتكتنى بأبي عيسى وهل كان له من أب !!

وشهد عبيدالله صفين مع معاوية وقتل فيها .

وكان سبب شهوده صفين ان أبا لؤلؤة لما قتل أباه عمر قيل لعبيدالله: قد رأينا أبا لؤلؤة والهرمزان نجيا والهرمزان يقلب هذا الخنجر بيده وهو الذي قتل به عمر ومعهما جفينة وهو رجل من العباد جاء به سعد بن أبى وقاص يعلم الكتاب بالمدينة وابن فيروز وكلهم مشرك إلّا الهرمزان فعدا عليهم عبيدالله بالسيف فقتل الهرمزان وابنته وجفينة فنهاه الناس فلم ينته وقال: والله لأقتلن من يصغر

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٣١ .

هؤلاء في جنبه .

فأرسل إليه صهيب عمرو بن العاص فأخذ السيف من يده وصهيب كان قد وصى إليه عمر بالصلاة عليه ويصلي بالناس الى أن يقوم خليفة، فلما أخذ عمرو السيف وثب عليه سعد بن أبي وقاص فتناصيا وقال: قتلت جاري وأخفرتني فحبسه صهيب حتى سلمه الى عثمان لما استخلف .

فقال عثمان: أشيروا عليَّ في هذا الرجل الذي فتق في الاسلام ما فتق، فأشار عليه المهاجرون أن يقتله، وقال جماعة منهم عمرو بن العاص: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم! أبعد الله الهرمزان وجفينة فتركه وأعطى دية من قتل .

وقيل: انما تركه عثمان لأنه قال للمسلمين: مَن ولي الهرمزان ؟

قالوا: أنت .

قال: قد عفوت عن عبيدالله .

وقيل: ان عثمان سلم عبيدالله الى القماذبان بن الهرمزان ليقتله بأبيه، قال القماذيان: فأطاف بي الناس وكلموني في العفو عنه فقلت: هل لأحد أن يمنعني منه ؟

قالوا: لا .

قلت: أليس ان شئت قتلته ؟

قالوا: بلى .

قلت: قد عفوت عنه .

ولم يزل عبيدالله كذلك حياً حتى قتل عثمان وولى علي الخلافة وكان رأيه

أن يقتل عبيد الله فأراد قتله فهرب منه الى معاوية وشهد معه صفين وكان على الخيل فقتل في بعض أيام صفين قتلته ربيعة.

وكان على ربيعة زياد بن خصيفة الربعي فأتت امرأة عبيد الله وهي بحرية ابنة هانيء الشيباني تطلب جثته فقال زياد: خذيها، فأخذتها ودفنته.(١)

الامام الحسن عليه السلام وعبيدالله

وأرسل عبيد الله إلى الحسن بن علي عليه السلام: إن لي إليك حاجة فألقني، فلقيه الحسن عليه السلام، فقال له عبيد الله: إن أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخراً، وقد شنئه الناس، فهل لك في خلعه وأن تتولى أنت هذا الامر!

فقال: كلا والله، لا يكون ذلك، ثم قال: يا بن الخطاب، والله لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك.

أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك، حتى أخرجك مخلقاً بالخلوق، ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله، ويبطحك لوجهك قتيلاً.

قال نصر: فو الله ما كان إلا بياض ذلك اليوم حتى قتل عبيد الله، وهو في كتيبة رقطاء، وكانت تدعى الخضرية، كانوا أربعة آلاف، عليهم ثياب خضر، فمرَّ الحسن عليه السلام، فإذا رجل متوسّد برجل قتيل، قد ركز رمحه في عينه، وربط فرسه برجله، فقال الحسن عليه السلام لمن معه: انظروا من هذا؟ فإذا رجل من همدان، وإذا القتيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، قد قتله الهمداني في أول الليل،

---

(١) أسد الغابة ٣: ٣٤٢.

وبات عليه حتى أصبح .

وقد اختلف الرواة في قاتل عبيد الله ، فقالت همدان : نحن قتلناه ، قتله هانيء بن الخطاب الهمداني ، وركز رمحه في عينه .

وقالت حضرموت : نحن قتلناه ، قتله مالك بن عمرو الحضرمي .

وقالت بكر بن وائل : نحن قتلناه ، قتله محرز بن الصحصح من بني تيم اللات بن ثعلبة ، وأخذ سيفه الوشاح .[(١)]

عن سعد بن الحسن مولى الحسن بن علي قال: خرجت مع الحسن بن علي ليلة بصفين في خمسين رجلاً من همدان يريد أن يأتي علياً وكان يومنا يوماً قد عظم فيه الشر بين الفريقين فمررنا برجل أعور من همدان يدعى مذكوراً قد شدّ مقود فرسه برجل رجل مقتول فوقف الحسن بن علي على الرجل فسلم ثم قال: من أنت ؟ فقال: رجل من همدان .

فقال له الحسن: ما تصنع ها هنا ؟

فقال: أضللت أصحابي في هذا المكان في أول الليل فأنا أنتظر رجعتهم .

قال: ما هذا القتيل ؟

قال: لا أدري غير أنه كان شديداً علينا يكشفنا كشفاً شديداً وبين ذلك يقول: أنا الطيب بن الطيب، وإذا ضرب قال: أنا بن الفاروق، فقتله الله بيدي، فنزل الحسن إليه فإذا عبيد الله بن عمر وإذا سلاحه بين يدي الرجل فأتى به علياً فنفله علي سلبه وقومه أربعة آلاف .[(٢)]

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٣٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥ : ١٩ .

قال محمد بن عبد الله : سمعت رجلاً من أهل الشام يحدث في مجلس عمرو بن دينار فسألت عنه بعد فقيل هو يزيد بن يزيد بن جابر يقول: إن معاوية دعا عبيد الله بن عمر فقال: إن علياً كما ترى في بكر بن وائل قد حامت عليه فهل لك أن تسير في الشهباء؟ قال: نعم.

فرجع عبيد الله إلى خبائه فلبس سلاحه ثم إنه فكر وخاف أن يقتل مع معاوية على حاله فقال له مولى له : فداك أبي إن معاوية إنما يقدمك للموت إن كان لك الظفر فهو يلي وإن قتلت استراح منك ومن ذكرك فأطعني واعتل، قال: ويحك قد عرفت ما.

قلت: فقالت له امرأته بحرية بنت هانيء: ما لي أراك مشمراً؟

قال: أمرني أميري أن أسير في الشهباء.

قالت: هو والله مثل التابوت لم يحمله أحد قط إلّا قتل، أنت تقتل وهو الذي يريد معاوية.

قال: اسكتي والله لأكثرن القتل في قومك اليوم.

فقالت: لا يقتل، هذا خدعك معاوية وغرّك من نفسك وثقل عليه مكانك قد أبرم هذا الأمر هو وعمرو بن العاص قبل اليوم فيك لو كنت مع علي أو جلست في بيتك كان خيراً لك، قد فعل ذلك أخوك وهو خير منك.

قال: اسكتي وهو يتبسم ضاحكاً لترين الاسارى من قومك حول خبائك هذا.

قالت: والله لكأني راكبة دابتي إلى قومي أطلب جسدك أواريه، إنك مخدوع إنما تمارس قوماً غلب الرقاب فيهم الحرون ينظرونه نظر القوم إلى الهلاك

لو أمرهم بترك الطعام والشراب ما ذاقوه.

قال: أقصري من العذل فليس لك عندنا طاعة، فرجع عبيد الله إلى معاوية فضم إليه الشهباء وهم اثنا عشر ألفا وضم إليه ثمانية آلاف من أهل الشام فيهم ذو الكلاع في حمير فقصدوا يؤمون علياً.

فلما رأتهم ربيعة جثوا على الركب وشرعوا الرماح حتى إذا غشوهم ثاروا إليهم واقتتلوا أشد القتال ليس فيهم إلا الأسل والسيوف، وقتل عبيد الله وقتل ذو الكلاع والذي قتل عبيد الله زياد بن خصفة التيمي.

وقال معاوية لامرأة عبيد الله: لو أتيت قومك فكلمتهم في جسد عبيد الله بن عمر، فركبت إليهم ومعها من يجيرها فأتتهم فانتسبت فقالوا: قد عرفناك مرحباً بك فما حاجتك؟

قالت: هذا الجسد الذي قتلتموه فأذنوا لي في حمله، فوثب شباب من بكر ابن وائل فوضعوه على بغل وشدّوه وأقبلت امرأته عسكر معاوية فتلقاها معاوية بسرير فحمله عليه وحفر له وصلّى عليه ودفنه ثم جعل يبكي ويقول: قتل بن الفاروق في طاعة خليفتكم حياً وميتاً فترحموا عليه، وإن كان الله قد رحمه ووفقه للخير.

قال: تقول بحرية وهي تبكي عليه وبلغها ما يقول معاوية فقالت: أما أنت فقد عجلت له يتم ولده وذهاب نفسه ثم الخوف عليه لما بعد أعظم الأمر، فبلغ معاوية كلامها فقال لعمرو بن العاص: ألا ترى ما تقول هذه المرأة فأخبره.

فقال عمرو: والله لعجب لك ما تريد أن يقول الناس شيئاً.[1]

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ١٧.

شدّة القتال

قال عبد الله بن زرير الغافقي ـ وقد كان شهد صفين مع علي عليه السلام ـ: لقد رأيتنا يوماً والتقينا نحن وأهل الشام فاقتتلنا حتى ظننت أنه لا يبقى أحد فأسمع صائحاً يصيح: يا معشر المسلمين الله الله من للنساء والولدان من الروم من للترك من للديلم الله الله والبقيا فأسمع حركة من خلفي فالتفت فإذا علي عليه السلام يعدو بالراية يهرول بها حتى أقامها ولحقه ابنه محمد فأسمعه يقول: يا بني الزم رايتك فإني متقدم في القوم فأنظر إليه يضرب بالسيف حتى يفرج له ثم يرجع فيهم.[1]

حدثنا مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمداني ، قال : حدثني أبي عن عبد خير الهمداني ، قال : كنت أنا وعبد خير في سفر ، قلت : يا أبا عمارة ، حدثني عن بعض ما كنتم فيه بصفين ، فقال لي : يا بن أخي ، وما سؤالك ؟

فقلت : أحببت أن أسمع منك شيئاً .

فقال : يا بن أخي ، إنا كنا لنصلّي الفجر ، فنصف ويصف أهل الشام ، ونشرع الرماح إليهم ويشرعون بها نحونا ، أما لو دخلت تحتها لأظلتك ، والله يا بن أخي ، إن كنا لنقف ويقفون في الحرب لا نفتر ولا يفترون ، حتى نصلّي العشاء الآخرة ، ما يعرف الرجل منّا طول ذلك اليوم من عن يمينه ولا من عن يساره ، من شدة الظلمة والنقع إلا بقرع الحديد بعضه على بعض ، فيبرز منه شعاع كشعاع الشمس ، فيعرف الرجل من عن يمينه ومن عن يساره ، حتى إذا صلينا العشاء الآخرة جررنا قتلانا إلينا فتوسدناهم حتى نصبح ، وجروا قتلاهم فتوسدوهم حتى يصبحوا . قال : قلت له يا أبا عمارة ، هذا والله الصبر .[2]

(١) الطبقات الكبرى ٥ : ٩٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٥٥ .

القتال في العاشر من صفر

فلما أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا وربيعة محدقة بعلي عليه السلام إحداق بياض العين بسوادها ، وقام خالد بن المعمر فنادى : من يبايع نفسه على الموت ويشري نفسه لله ؟ فبايعه سبعة آلاف على ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يرد سرادق معاوية . فاقتتلوا قتالاً شديداً وقد كسروا جفون سيوفهم .

قال عتاب بن لقيط البكري : أن علياً حيث انتهى إلى رايات ربيعة قال ابن لقيط : إن أصيب علي فيكم افتضحتم ، وقد لجأ إلى راياتكم .

وقال لهم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ، ليس لكم عذر في العرب إن أصيب علي فيكم ومنكم رجل حي ، إن منعتموه فحمد الحياة ألبستموه . فقاتلوا قتالاً شديداً لم يكن مثله حين جاءهم علي عليه السلام ، ففي ذلك تعاقدوا وتواصوا ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يرد سرادق معاوية . فلما نظر إليهم معاوية قد أقبلوا قال :

إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت كتائب منهم كالجبال تجالد

ثم قال معاوية لعمرو : ماذا ترى ؟

قال : أرى ألا تحنث أخوالي اليوم .

فخلى معاوية عنهم وعن سرادقه وخرج فاراً عنه لائذاً إلى بعض مضارب العسكر ، فدخل فيه .[1]

خيانة خالد بن المعمّر

وبعث معاوية إلى خالد بن المعمر ـ وهو من زعماء ربيعة ـ : إنك قد ظفرت

---

(١) وقعة صفين : ٣٠٧.

ولك إمرة خراسان إن لم تتم .

فطمع خالد في ذلك ولم يتم ، فأمره معاوية ـ حين بايعه الناس ـ على خراسان ، فمات قبل أن يصل إليها .

وفي ذلك قال النجاشي :

لو شهدت هند لعمري مقامنا ... بصفين فدتنا بكعب بن عامر
فيا ليت أن الأرض تنشر عنهم ... فيخبرهم أنباءنا كل خابر
بصفين إذ قمنا كأنا سحابة ... سحاب ولى صوبه متبادر
فأقسم لو لاقيت عمرو بن وائل ... بصفين الفاني بعهدة غادر
فولوا سراعاً موجفين كأنهم ... نعام تلاقي خلفهن زواجر
وفر ابن حرب عفّر الله وجهه ... وأراده خزياً إن ربي قادر
معاوي لولا أن فقدناك فيهم ... لغودرت مطروحاً بها مع معاشر
معاشر قوم ضلل الله سعيهم ... وأخزاهم ربي كخزي السواحر[1]

حملة أهل الشام

ثم إن علياً صلّى الغداة ثم زحف إليهم ، فلما أبصروه قد خرج استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم إن خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب على ألف رجل أو أكثر ، فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم فلم يروهم ، فنادى علي يومئذ : ألا رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته ؟ فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث على

(١) وقعة صفين : ٣٠٧.

فرس أدهم كأنه غراب ، مقنعاً في الحديد ، لا يرى منه إلا عيناه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مرني بأمر ، فوالله ما تأمرني بشيء إلا صنعته .

فقال علي عليه السلام :

سمحت بأمر لا يطاق حفيظة ... وصدقاً ، وإخوان الحفاظ قليل

جزاك إله الناس خيراً فقد وفت ... يداك بفضل ما هناك جزيل

أبا الحارث ، شد الله ركنك ، احمل لي أهل الشام حتى تأتي أصحابك فتقول لهم : أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : هللوا وكبروا من ناحيتكم ، ونهلل نحن ونكبر من هاهنا ، واحملوا من جانبكم ونحمل من جانبنا على أهل الشام .

فضرب الجعفي فرسه حتى إذا قام على السنابك ، حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب علي فطاعنهم ساعة وقاتلهم فانفرجوا له حتى أتى أصحابه ، فلما رأوا استبشروا به وفرحوا وقالوا : ما فعل أمير المؤمنين ؟

قال : صالح يقرئكم السلام ويقول لكم : هللوا وكبروا واحملوا حملة رجل واحد من ذلك الجانب .

وحملوا على أهل الشام من ثم ، وحمل علي من هاهنا في أصحابه ، فانفرج أهل الشام عنهم فخرجوا وما أصيب منهم رجل واحد .

ولقد قتل من فرسان أهل الشام يومئذ زهاء سبعمائة رجل .

قال : وقال علي عليه السلام : من أعظم الناس غناء ؟

فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين .

قال : كلا ، ولكنه الجعفي .[1]

---

(١) وقعة صفين : ٣٠٧ .

كتاب عقبة بن مسعود

قال نصر : وكتب عقبة بن مسعود عامل علي عليه السلام على الكوفة إلى سليمان بن صرد الخزاعي ، وهو مع علي بصفين :

أما بعد ، فإنهم ﴿إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا﴾[1]، فعليك بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين . والسلام .[2]

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قام علي عليه السلام فخطب الناس بصفين ، فقال :

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق ، من البر والفاجر ، وعلى حججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم ومن عصاه ، إن يرحم فبفضله ومنه ، وإن عذب فبما كسبت أيديهم ، وإن الله ليس بظلام للعبيد .

أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأتوكل عليه وكفى بالله وكيلاً .

ثم إني أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك ، وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته ، وجعله رحمة منه على خلقه ، فكان علمه فيه رؤوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسباً ، وأجملهم منظراً ، وأسخاهم نفساً ، وأبرهم لوالد ، وأوصلهم لرحم ،

---

(١) الكهف : ٢٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٤٧ .

وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حلماً ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط ، بل كان يظلم فيغفر ، ويقدر فيصفح حتى مضى ﷺ مطيعاً لله صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ﷺ فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الارض : البر والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته ، وقد عهد إليَّ رسول الله عهداً فلست أحيد عنه ، وقد حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق ، يدعوهم إلى النار ، وابن عم نبيكم معكم ، وبين أظهركم ، يدعوكم إلى الجنة وإلى طاعة ربكم ، والعمل بسنّة نبيكم ، ولا سواء من صلّى قبل كل ذكر ، لم يسبقني بصلاة مع رسول الله أحد ، وأنا من أهل بدر ، ومعاوية طليق وابن طليق ، والله إنا على الحق وإنهم على الباطل ، فلا يجتمعن على باطلهم وتتفرقوا عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم ، ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ ، فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدى غيركم .

فقام أصحابه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذا شئت ، فوالله ما نريد بك بدلاً ، بل نموت معك ، ونحيا معك .

فقال لهم : والذي نفسي بيده ، لنظر إلى النبي ﷺ ، أضرب بين يديه بسيفي هذا ، فقال : لا سيف إلّا ذالفقار ، ولا فتى إلا علي ، وقال لي : يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وموتك وحياتك يا علي معي ، والله ما كذب ولا كذبت ، ولا ضل ولا ضللت ولا ضل بي ولا نسيت ما عهد إليَّ ، وإني على بينة من ربي وعلى الطريق الواضح ، ألفظه لفظاً . ثم نهض إلى القوم ، فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الأحمر ، وما كانت صلاة القوم في ذلك اليوم إلا تكبيراً .(١)

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٤٧ .

كريب بن صباح

قال صعصعة بن صوحان : برز في بعض أيام صفين رجل من حمير ، من آل ذي يزن ، اسمه كريب بن الصباح ، ليس في الشام يومئذ رجل أشهر بالبأس والنجدة منه ، فنادى : من يبارز ؟ فخرج إليه المرتفع ابن الوضاح الزبيدى ، فقتله ، ثم نادى : من يبارز ؟ فخرج إليه الحارث بن الجلاح ، فقتله ، ثم نادى : من يبارز ؟ فخرج إليه عابد بن مسروق الهمداني فقتله ، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ، وقام عليها بغياً واعتداء ، ونادى : من يبارز ؟

فخرج إليه علي عليه السلام ، وناداه : ويحك ! يا كريب ، إني أحذرك الله وبأسه ونقمته ، وأدعوك إلى سنّة الله وسنّة رسوله ، ويحك ! لا يدخلنك معاوية النار ، فكان جوابه له أن قال : ما أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة ! ولا حاجة لنا فيها ، أقدم إذا شئت ، من يشتري سيفي وهذا أثره ؟

فقال علي عليه السلام : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خرّ منها قتيلاً يشحط في دمه ، ثم نادى : من يبرز ؟ فبرز إليه الحارث ابن وداعة الحميري ، فقتله ، ثم نادى : من يبرز ؟ فبرز إليه المطاع بن مطلب العنسي فقتله ، ثم نادى : من يبرز ؟ فلم يبرز إليه أحد ، فنادى : يا معشر المسلمين **﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾** . ويحك ، يا معاوية ! هلم إليّ فبارزني ، ولا يقتلن الناس فيما بيننا !

فقال عمرو بن العاص : اغتنمه منتهزاً ، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب وإني أطمع أن يظفرك الله به .

فقال معاوية : والله لن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي ، أذهب إليك عني ، فليس مثلي يخدع.[1]

عبدالله بن عمرو بن العاص

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : كيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم ومواثيقهم ، وكانوا هكذا ؟ ـ فخالف بين أصابعه – فقلت : تأمرني بأمرك يا رسول الله .

قال : تأخذ مما تعرف ، وتدع ما تنكر ، وتعمل بخاصة نفسك ، وتدع الناس وهوام أمرهم .

قال : فلما كان يوم صفين ، قال له أبوه عمرو بن العاص : يا عبد الله ، اخرج فقاتل .

فقال : يا أبتاه ، أتأمرني أن أخرج فأقاتل ، وقد سمعت ما سمعت يوم عهد إليّ رسول الله ﷺ ما عهد !

فقال : أنشدك الله يا عبدالله ، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله ﷺ أن أخذ بيدك فوضعها في يدي .

فقال : أطع أباك !

فقال : اللهمّ بلى .

قال : فإني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل ، فخرج عبد الله بن عمرو فقاتل

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٤٩ .

يومئذ متقلداً سيفين .[١]

عن اسماعيل بن رجاء، عن أبيه قال: كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو فمر بنا حسين بن علي فسلم فرد القوم السلام فسكت عبد الله حتى فرغوا رفع صوته وقال: عليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض الى أهل السماء ؟

قالوا: بلى .

قال: هو هذا الماشي ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين ولأن يرضى عني أحب اليَّ من ان يكون لي حمر النعم .

فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه ؟

قال: بلى .

قال: فتواعدا ان يغدوا إليه .

قال: فغدوت معهما فاستأذن أبو سعيد فأذن له فدخل ثم استأذن لعبدالله فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد: يا ابن رسول الله انك لما مررت بنا أمس فأخبره بالذي كان من قول عبد الله بن عمرو .

فقال الحسين عليه السلام: أعلمت يا عبد الله اني أحب أهل الأرض الى أهل السماء.

قال: أي وربّ الكعبة .

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥ : ٢٥٤ .

قال: فما حملك على ان قاتلتني وأبي يوم صفين فوالله لأبي كان خيراً مني.

قال: أجل ولكن عمرو شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله انّ عبد الله يقوم الليل ويصوم النهار فقال لي رسول الله ﷺ: يا عبد الله صل ونم وصم أفطر وأطع عمراً.

قال: فلما كان يوم صفين أقسم عليَّ فخرجت.[1]

عن بن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو: ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين، لوددت أني مت قبله بعشر سنين، أما والله على ذلك ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم.[2]

خطبة عمرو بن العاص

قال خالد بن عبد الواحد الجزري: حدثني من سمع عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفين، وهو يحرض أصحابه بصفين، فقام منحنياً على قوس فقال: الحمد لله العظيم في شأنه، القوى في سلطانه، العلي في مكانه، الواضح في برهانه. أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وفي كل لزبة[3] من بلاء أو شدة أو رخاء. وأشهد ألا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم إنا نحتسب عند الله ربّ العالمين ما أصبح في أُمة محمد ﷺ من اشتعال

---

(١) أسد الغابة ٣: ٢٣٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٤: ٢٦٦.

(٣) اللزبة: الشدة.

نيرانها ، وظلام جنباتها ، واضطراب حبلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين . أولا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم ، وصيامنا وصيامهم ، وحجنا وحجهم ، وقبلتنا وقبلتهم ، وديننا ودينهم واحد ، ولكن الأهواء متشتتة . اللهمَّ أصلح هذه الأمة بما أصلحت به أولها ، واحفظ فيها بنيها . مع أن القوم قد وطئوا بلادكم ، وبغوا عليكم فجدوا في قتال عدوكم ، واستعينوا بالله ربكم ، وحافظوا على حرماتكم . ثم إنه جلس .

خطبة عبدالله بن عبّاس

ثم قام عبد الله بن العباس خطيباً فقال : الحمد لله ربّ العالمين ، الذي دحا تحتنا سبعاً ، وسمك فوقنا سبعاً ، ثم خلق فيما بينهن خلقاً ، وأنزل لنا منهن رزقاً ، ثم جعل كل شيء يبلى ويفنى غير وجهه ، الحي القيوم الذي يحيا ويبقى .

ثم إن الله بعث أنبياء ورسلاً فجعلهم حججاً على عباده ، عذراً أو نذراً ، لا يطاع إلا بعلمه وإذنه ، يمن بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها ، ويعصى بعلم منه فيعفو ويغفر بحلمه ، لا يقدر قدره ، ولا يبلغ شيء مكانه ، أحصى كل شيء عدداً ، وأحاط بكل شيء علماً .

ثم إني أشهد ألا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله ، إمام الهدى والنبي المصطفى . وقد ساقنا قدر الله إلى ما قد ترون ، حتي كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمة وانتشر من أمرها ، أن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على علي بن أبي طالب عليه السلام ، ابن عم رسول الله وصهره ، وأوّل ذكر صلّى معه ، بدري قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله كل مشاهده التي

فيها الفضل ، ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام .

واعلموا والله الذي ملك الملك وحده فبان به وكان أهله ، لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ ، وعلي يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية وأبو سفيان يقولان : كذب الله ورسوله .

فما معاوية في هذه بأبر ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في قتالكم . فعليكم بتقوى الله والجد والحزم والصبر ، وإنكم لعلى الحق وإن القوم لعلى الباطل. فلا يكونن أولى بالجد في باطلهم منكم في حقكم .

أما والله إنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم . اللهمَّ ربنا أعنا ولا تخذلنا ، وانصرنا على عدونا ولا تخل عنا ، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم .[١]

خطبة عمّار بن ياسر

عن جندب بن عبد الله قال : قام عمار بن ياسر بصفين فقال : امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون ـ فيما يزعمون ـ بدم الظالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله ، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان. فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين : لم قتلتموه ؟ فقلنا : لإحداثه . فقالوا : إنه ما أحدث شيئاً . وذلك لأنه مكنهم

---

(١) وقعة صفين : ٣١٧ .

من الدنيا فيهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال .

والله ما أظنهم يطلبون دمه إنهم ليعلمون أنه لظالم ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمروها ، وعلموا لو أن صاحب الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيه منها . ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قتل إمامنا مظلوماً . ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً . وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ، ولولا هي ما بايعهم من الناس رجلان .

اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم . ثم مضى ومضى معه أصحابه .

فلما دنا من عمرو بن العاص قال : يا عمرو ، بعت دينك بمصر ! تبّاً لك ، وطالما بغيت الإسلام عوجاً ![(١)]

ثمّ أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس فقال: اللهمَّ إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته اللهمَّ إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفى في صدري ثم أنحنى عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو أعلم أن عملا من الاعمال هو أرضى لك منه لفعلته .[(٢)]

قال نصر : ونادى عمار عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له : بعت دينك بالدنيا من عدو الله ، وعدو الاسلام معاوية ، وطلبت هوى أبيك الفاسق .

---

(١) وقعة صفين : ٣١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢٦ .

فقال: لا، ولكني أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم!

قال: كلا، أشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله، وأنك إن لم تقتل اليوم فستموت غداً، فانظر إذا أعطى الله العباد على نيّاتهم، ما نيّتك![1]

مَن هو عمّار بن ياسر؟

عن حبة بن جوين العرني قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة بالمدائن فدخلنا عليه فقلنا: يا أبا عبد الله، حدثنا فانا نخاف الفتن.

فقال: عليكم بالفئة التي فيها بن سمية فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية عن الطريق وإن آخر رزقه ضياح لبن.[2]

قال عثمان بن عفان: كنت مع النبي ﷺ فمر بعمار بن ياسر وأمه وأبوه يعذبون فقال: أصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.[3]

وعن جابر، عن الحكم: ان الآية **﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾** نزلت في عمار بن ياسر.

وقال عبدالله بن عبيد بن عمير: نزل في عمار بن ياسر **﴿إذ كان يعذب في الله قوله وهم لا يفتنون﴾**.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥: ٢٥٤.
(٢) تاريخ بغداد ٨: ٢٦٩.
(٣) تاريخ بغداد ١١: ٣٤٢.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾ قال: نزلت في عمار ابن ياسر.[١]

وعن هني مولى عمر بن الخطاب قال: كنت أول شيء مع معاوية على علي، فكان أصحاب معاوية يقولون: لا والله لا نقتل عماراً أبداً إن قتلناه فنحن كما يقولون، فلما كان يوم صفين ذهبت أنظر في القتلى فإذا عمار بن ياسر مقتول.

قال هني: فجئت إلى عمرو بن العاص وهو على سريره فقلت: أبا عبدالله.

قال: ما تشاء؟

قلت: انظر اكلمك، فقام إلي فقلت: عمار بن ياسر ما سمعت فيه.

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تقتله الفئة الباغية، فقلت: هو ذا والله مقتول.

فقال: هذا باطل.

فقلت: بصر به عيني مقتول.

قال: فانطلق فأرنيه فذهبت به فأوقفته عليه فساعة رآه انتقع لونه ثم أعرض في شق، وقال: إنما قتله الذي خرج به.[٢]

وقال عبدالله بن جعفر: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان.[٣]

وعن هذيل قال: أتى النبي صلى الله عليه وآله فقيل له: إن عماراً وقع عليه حائط فمات.

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٠.
(٢) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٣.
(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٠.

قال: ما مات عمار.[١]

وعن حارثة بن مضرب قال: قريء علينا كتاب عمر بن الخطاب: أما بعد، فإني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وقد جعلت بن مسعود على بيت مالكم وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما.[٢]

وقال: كان عمار بن ياسر من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً، وكان يقول: عائذ بالله من فتنة، عائذ بالله من فتنة.

وقال عمار: ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم.

وقال: لا تغسلوا عني دماً ولا تحثوا علي تراباً فإني مخاصم.

وعن بلال بن يحيى العبسي قال: لما حضر خذيفة الموت وإنما عاش بعد قتل عثمان أربعين ليلة، فقيل: هل يا أبا عبدالله إن هذا الرجل قد قتل ـ يعني عثمان ـ فما ترى

قال: أما إذ أبيتم فأجلسوني فأسندوه إلى صدر رجل، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبو اليقظان على الفطرة، أبو اليقظان على الفطرة، لن يدعها حتى يموت أو ينسيه الهرم.[٣]

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لعمار: تقتلك الفئة الباغية.[٤]

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٥ ـ ٢٦٣.

(٤) تاريخ بغداد ٧: ٤٢٥.

حوار عمّار وهاشم المرقال

عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : شهدت مع علي عليه السلام صفين ، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في جهة ، ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يتبعونه ، كأنه علم لهم .

وسمعت عماراً يقول يومئذ لهاشم بن عتبة[١] : يا هاشم ، تقدم الجنة تحت الأبارقة ، اليوم ألقي الأحبة محمداً وحزبه .

والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق ، وأنهم على الباطل .[٢]

أمير المؤمنين عليه السلام وعمّار

لما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أخا رسول الله أتأذن لي في القتال ؟

قال : مهلاً رحمك الله ، فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاده ثالثاً ، فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليه عمار فقال : يا أمير المؤمنين إنه اليوم الذي وصف لي رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن بغلته

(١) هاشم بن عتبة بن مالك بن أهيب بن عبد مناف يعرف بالمرقال ـ لأنه كان يرقل في الحرب أي يسرع وهو ضرب من العدو ـ أسلم يوم الفتح من الشجعان الفضلاء الأخيار فاتح جلولاء ، شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وحامل رايته فيها وقتل فيها سنة ٣٧ هجرية ، الإصابة ٣: ٥٦١ .

(٢) الجوهرة في نسب الامام علي وآله : ١٠٠ .

وعانق عماراً وودعه ثم قال : يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيك خيراً، فنعم الأخ كنت، ونعم الصاحب كنت، ثم بكى عليه السلام وبكى عمار ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلّا ببصيرة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم حنين : يا عمار ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فاتبع علياً وحزبه، فإنه مع الحق والحق معه وستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين.

فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الاسلام أفضل الجزاء، فلقد أديت وبلغت ونصحت. ثم ركب وركب أمير المؤمنين عليه السلام ثم برز إلى القتال.(١)

وقال ربيعة بن ناجد : سمعت عمار بن ياسر وهو بصفين يقول: الجنة تحت البارقة والظمآن يرد الماء، والماء مورود، اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه، لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله وهذه الرابعة كإحداهن.(٢)

عبدالله بن سلمة يقول: رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً آدم في يده الحربة وإنها لترعد فنظر إلى عمرو بن العاص ومعه الراية فقال: إن هذه راية قد قاتلت بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات وهذه الرابعة، والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أن مصلحتنا على الحق وأنهم على الضلالة.(٣)

وعن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عمار بن ياسر أنه قال وهو يسير إلى صفين على شط الفرات: اللهمَّ إنه لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت.

---

(١) بحار الأنوار ٣٣: ١٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٦.

اللهمَّ لو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت، فإني لا أقاتل إلا أريد وجهك، وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك.[١]

وعن لؤلؤة مولاة أُم الحكم بنت عمار بن ياسر قالت: لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار والراية يحملها هاشم بن عتبة وقد قتل أصحاب علي عليه السلام ذلك اليوم حتى كانت العصر ثم تقرب عمار من وراء هاشم يقدمه وقد جنحت الشمس للغروب ومع عمار ضيح من لبن، فكان وجوب الشمس أن يفطر فقال حين وجبت الشمس وشرب الضيح: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن.

قال: ثم اقترب فقاتل حتى قتل وهو يومئذ بن أربع وتسعين سنة.[٢]

مَن هو قاتل عمّار؟

عاش أبو الغادية[٣] قاتل عمّار بن ياسر إلى زمن الحجاج، فقد روى ابن أبي الدنيا، عن محمد بن أبي معشر، عن أبيه قال: بينا الحجاج جالساً إذ أقبل رجل مقارب الخطو، فلما رآه الحجاج قال: مرحباً بأبي غادية وأجلسه على

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٨.

(٣) أبو الغادية الجهني، اختلف في اسمه؛ فقيل: بشار بن ازيهر؛ وقيل: اسمه مسلم، بايع النبي صلى الله عليه وآله، وسكن الشام وانتقل إلى واسط وكان من شيعة عثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: قاتل عمار بالباب! وكان يصف قتله لعمار إذا سئل عنه كأنه لا يبالي به! وفي قصته عجب عند أهل العلم، روى عن النبي صلى الله عليه وآله النهي عن القتل ثم يقتل مثل عمار نسأل الله السلامة!!! أسد الغابة ٥: ٢٦٧.

سريره وقال: أنت قتلت ابن سمية.

قال: نعم.

قال: كيف صنعت؟

قال: صنعت كذا حتى قتلته!

فقال الحجاج لأهل الشام: من سرّه أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا!!!

ثم ساره أبو غادية يسأله شيئاً فأبى عليه، فقال أبو غادية: نوطيء لهم الدنيا ثم نسألهم فلا يعطوننا، ويزعم أني عظيم الباع يوم القيامة، أجل والله ان من ضربته مثل احد وفخذه مثل ورقان، ومجلسه مثل ما بين المدينة والربذة لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أن عماراً قتله أهل الأرض لدخلوا النار!!![١]

قال عمرو بن العاص: سمعت من رسول الله ﷺ انّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية.[٢]

وعن ربيعة بن كلثوم، عن أبيه قال: كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر فقلت: الاذن هذا أبو غادية الجهني.

فقال عبد الأعلى: أدخلوه فدخل عليه مقطعات له، فإذا رجل طوال ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال: بايعت رسول الله ﷺ يوم العقبة.

فقال: يا أيها الناس ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣١٠.

(٢) أسد الغابة ٥: ٢٦٧.

فقلنا: نعم .

فقال: اللهمَّ اشهد .

ثم قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .(١)

وزعم بعض الناس أن عقبة بن عامر هو الذي قتل عماراً وهو الذي كان ضربه حين أمره عثمان بن عفان .

ويقال: بل الذي قتله عمر بن الحارث الخولاني .(٢)

وقد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول: ان النبي صلى الله عليه وآله يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربك ضياح من لبن، فقال ذو الكلاع لعمرو: ويحك ما هذا ؟

قال عمرو: انه سيرجع الينا ويفارق أبا تراب، وذلك قبل أن يصاب عمار، فلما أُصيب عمار في هذا اليوم أُصيب ذو الكلاع، فقال عمرو لمعاوية: والله ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً، والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه الى علي، ولأفسد علينا أمرنا .

قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، قال: كان لا يزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو: أنا قتلت عماراً، فيقول له عمرو: فما سمعته يقول؟ فيخلط، حتى أقبل ابن حوى، فقال: أنا قتلته .

فقال عمرو: فما كان آخر منطقه ؟

قال: سمعته يقول: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه .

فقال: صدقت، أنت صاحبه، أما والله ما ظفرت يداك، ولقد أسخطت

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٢٦٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٩ .

ربك.[١]

قال الراوي: ثم حمل عمّار على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً فخرج إليه رجلان من أهل الشام فطعنا فقتل ﷺ.

فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين في القتلى فوجد عماراً ملقى فجعل رأسه على فخذه ثم بكى عليه السلام وأنشأ يقول:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني فقد أفنيت كل خليل

أراك مضراً بالذين أحبهم كأنك تنحو نحوهم بدليل.

وروى ابن أعثم: أن عماراً لما برز يوم صفين قال: أيها الناس هل من رائح إلى الله تطلب الجنة تحت ظلال الأسنة، اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه. فطعنه ابن جون في صدره فرجع وقال: اسقوني شربة من ماء فأتاه راشد مولاه بلبن، فلما رآه كبّر وقال: هذا ما أخبرني به حبيبي رسول الله ﷺ بأن آخر زادي من الدنيا ضياح من لبن، فلما شرب خرج من مكان الجرح وسقط وتوفي ﷺ فأتاه علي عليه السلام وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن أمرءاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو في الاسلام من شيء ثم صلّى عليه.[٢]

وقال الشعبي: ان علياً صلّى على عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة فجعل عماراً مما يليه وهاشماً امامه، فلما أدخله القبر جعل عماراً امامه[٣] وهاشماً مما يليه.

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم احد اشرف النبي ﷺ

---

(١) كتاب الأربعين، محمد طاهر القمي الشيرازي: ٦٠٠.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ١٩.

(٣) سنن البيهقي ٤: ١١.

على الشهداء الذين قتلوا يومئذ فقال: زمّلوهم بدمائهم فانّي عليهم شهيد وكـان يدفن الرجل والرجلان والثلاثة فـي القـبر الواحـد ويسـأل أيّـهم أقـرأ للـقرآن فيقدّمونه.(١)

وقال ابن حجر في الاصابة في ترجمة زبيد بن عبد الخـولاني: له إدراك وشهد فتح مصر ثم شهد صفين مع معاوية وكانت معه الراية فلما قتل عمار تحول إلى عسكر علي ذكره بن يونس ومن تبعه.(٢)

خدعة أُخرى

قال عبد الرحمن السلمي : لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لأنظر هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ، وكنا إذا تركنا القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم ، فإذا معاوية ، وعمرو ، وأبو الأعور ، وعبد الله بن عمرو يـتسايرون ، فـأدخلت فرسي بينهم لئلّا يفوتني ما يقولون .

قال عبد الله لأبيه : يا أبه ، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال .

قال : وما قال ؟

قال : ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فغشى عليه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : ويحك يا ابن سمية ، الناس ينقلون لبنة لبنة ، وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة فـي

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الإصابة ٢ : ٥٢٠ رقم ٢٩٧١ .

الأجر ، وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية .

قال عمرو لمعاوية : أما تسمع ما يقول عبد الله ؟

قال : وما يقول ؟ فأخبره .

فقال معاوية : أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاء به ، فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون : إنما قتل عمار من جاء به .

قال عبد الرحمن : فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم.(١)

وقعة الخميس

قال نصر : ثم كانت بين الفريقين الواقعة المعروفة بـ«وقعة الخميس» .

قال القعقاع بن الأبرد الطهوي : والله إني لواقف قريباً من علي عليه السلام بصفين يوم وقعة الخميس وقد التقت مذحج ـ وكانوا في ميمنة علي عليه السلام ـ وعك وجذام ولخم والأشعرون ، وكانوا مستبصرين في قتال علي . ولقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم ، وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس ، وخبط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى ، ما الجبال تهد ولا الصواعق تصعق بأعظم هولاً في الصدور من ذلك الصوت .

نظرت إلى علي وهو قائم فدنوت منه ، فسمعته يقول : لا حول ولا قوة إلّا بالله ، والمستعان الله .

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٦ : ٢٤٠) : فقول معاوية : إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا ، تأويل بعيد جداً ، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله ، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء .

ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾، وحمل على الناس بنفسه، وسيفه مجرد بيده، فلا والله ما حجز بيننا إلا الله ربّ العالمين، في قريب من ثلث الليل، وقتلت يومئذ أعلام العرب. وكان في رأس علي عليه السلام ثلاث ضربات، وفي وجهه ضربتان.

وقيل: إن علياً عليه السلام لم يجرح قط.[(١)]

خزيمة[(٢)]

روى عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة بن ثابت صفين ولم يقاتل وقال: لا أقاتل حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية، فلما قتل عمار قال خزيمة: ظهرت لي الضلالة، ثم تقدّم فقاتل حتى قتل.

ولما قتل عمار قال: ادفنوني في ثيابي فاني مخاصم.

وقد اختلف في قاتله فقيل: قتله أبو الغادية المزني؛ وقيل: الجهني طعنه

---

(١) وقعة صفين: ٣٦٢.

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأوسي، وأُمه كبيشة بنت أوس بن عدي، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في حديث طويل ـ: يا خزيمة بم تشهد ولم تكن معنا؟ قال: يا رسول الله، أنا أُصدقك بخبر السماء ولا أُصدقك بما تقول، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: شهادته شهادة رجلين.

وقال الزهري: ان خزيمة بن ثابت رأى فيما يرى النائم كأنّه يسجد على جبهة النبي صلى الله عليه وآله فأخبر النبي صلى الله عليه وآله فاضطجع له وقال: صدق رؤياك فسجد على جبهته.

وقال محمد بن عمر: كانت راية بني خطمة مع خزيمة بن ثابت في غزوة الفتح وشهد خزيمة بن ثابت صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام وقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين وله عقب وكان يكنّى أبا عمارة. الطبقات الكبرى ٤: ٣٧٨.

فسقط، فلما وقع أكب عليه آخر فاحتز رأسه فأقبلا يختصمان كل منهما يقول: أنا قتلته! فقال عمرو بن العاص: والله ان يختصمان إلّا في النار، والله لوددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة!!

أويس القرني(١)

عن الأصبغ بن نباتة قال: شهدت علياً عليه السلام يوم صفين وهو يقول: من يبايعني على الموت ـ أو قال: على القتال ـ فبايعه تسع وتسعون قال فقال اين

(١) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني الزاهد المشهور، أدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعيها.

روى أسير بن جابر قال: كان محدث يتحدّث بالكوفة فإذا فرغ من حديثه تفرقوا ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم بكلامه فأحببته ففقدته فقلت لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا كذا وكذا؟ فقال رجل من القوم: نعم، أنا أعرفه، ذاك أويس القرني. قلت: أو تعرف منزله؟ قال: نعم، فانطلقت معه حتى جئت حجرته فخرج إليَّ فقلت: يا أخي، ما حبسك عنّا؟ فقال: العري، قال: وكان أصحابه يسخرون منه ويؤذونه. قال: قلت: خذ هذا البرد فالبسه، قال: لا تفعل فانهم يؤذونني. قال: فلم أزل به حتى لبسه فخرج عليهم فقالوا: من ترى خدع عن برده هذا، فجاء فوضعه وقال: قد ترى فأتيت المجلس فقلت: ما تريدون من هذا الرجل قد آذيتموه، الرجل يعرى مرة ويكسى مرة وأخذتهم بلساني فقضى أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر بن الخطاب وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنين؟ فجاء ذلك الرجل، قال: فقال عمر: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: ان رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم وقد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلّا موضع درهم، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم، فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يأتي أهله، فقال أويس: ما هذه بعادتك؟ قال: سمعت عمر يقول: كذا وكذا فاستغفر لي. قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك أنك لا تسخر بي ولا تذكر قول عمر لأحد فاستغفر له.

التمام اين الذي وعدت به قال فجاء رجل عليه اطمار صوف محلوق الرأس فبايعه على الموت والقتل.

قال: فقيل: هذا أُويس القرني، فما زال يحارب بين يديه حتى قتل رضي الله عنه.[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تفوح روائح الجنة من قبل قرن الشمس، واشوقاه اليك يا أُويس القرني، ألا من لقيه فليقرأه عني السلام.

فقيل: يا رسول الله، ومن أُويس القرني؟

فقال صلى الله عليه وآله: ان غاب لم يتفقدوه، وان ظهر لم يكترثوا له، يدخل في شفاعته إلى الجنة مثل ربيعة ومضر، آمن بي وما رآني ويقتل بين يدي خليفتي أمير

وعن اسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى أمداد اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟

قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: كان بك برص فبرأت منه إلّا موضع درهم، قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلّا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فان استطعت أن يستغفر لك فافعل، فاستغفر لي فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟

قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟

قال: أكون في غبراء الناس أحب إليَّ.

قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال: تركته رثّ البيت، قليل المتاع. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ...

قال أسير: وكسوته بردة، فكان كلما رآه انسان قال: من أين لأُويس هذه البردة؟

قال هشام الكلبي: قتل أويس القرني يوم صفين. أسد الغابة ١: ١٥١.

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري ٣: ٤٠٣.

المؤمنين في صفين .[١]

ونقل الشيخ المفيد: انّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما قرب من ذي قار جاءه أُويس القرني فقال له: امدد يدك أبايعك .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : وعلام تبايعني ؟

قال : على السمع والطاعة ، والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك .

فقال له : ما اسمك ؟

قال: أويس .

قال : أنت أويس القرني ؟

قال : نعم .

قال : الله أكبر ، أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أني أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني ، يكون من حزب الله ورسوله ، يموت على الشهادة ، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .[٢]

توبة شاب على يد هاشم المرقال

قال نصر: أن هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل . فأقبل إليه ناس ، فشد في عصابة من أصحابه على أهل

(١) فضائل شاذان بن جبرئيل القمي : ١٠٧ .

(٢) ارشاد المفيد ١ : ٣١٦ .

الشام مراراً ، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له وقوتل فيه قتالاً شديداً ، فقال لأصحابه : لا يهولنكم ما ترون من صبرهم ، فوالله ما ترون منهم إلّا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحقّ.

يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا على تؤدة رويداً ، ثم تآسوا وتصابروا واذكروا الله ، ولا يسلم رجل أخاه ، ولا تكثروا الالتفات ، واصمدوا صمدهم ، وجالدوهم محتسبين ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

فقال أبو سلمة : فمضى في عصابة من القراء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه ، حتى رأى بعض ما يسرون به ، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول :

أنا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم بدين غسان
أنبأنا أقوامنا بما كان أن علياً قتل ابن عفان

ثم شدّ فلا ينثني يضرب بسيفه ، ثم جعل يلعن علياً ويشتمه ويسهب في ذمه ، فقال له هاشم بن عتبة : إن هذا الكلام بعده الخصام ، وإن هذا القتال بعده الحساب . فاتق الله فإنك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به .

قال : فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي ، وأنكم لا تصلّون ، وأقاتلكم أن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله .

فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ؟ إنما قتله أصحاب محمد وقرّاء الناس ، حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب ، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين ، وأولى بالنظر في أمور المسلمين . وما أظن أن أمر هذه الأُمة ولا أمر هذا الدين

عناك طرفة عين قط .

قال الفتى : أجل أجل ، والله لا أكذب فإن الكذب يضر ولا ينفع ، ويشين ولا يزين .

فقال له هاشم : إن هذا الأمر لا علم لك به ، فخله وأهل العلم به .

قال : أظنك والله قد نصحتني .

قال له هاشم : وأما قولك إن صاحبنا لا يصلّي فهو أوّل من صلّى مع رسول الله ، وأفقهه في دين الله ، وأولاه برسول الله . وأما من ترى معه فكلهم قارىء الكتاب ، لا ينامون الليل تهجداً . فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون .

قال الفتى : يا عبد الله ، إني لأظنّك امرءاً صالحاً ، وأظنني مخطئاً آثماً ، أخبرني هل تجد لي من توبة ؟

قال : نعم ، تب إلى الله يتب عليك ، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ويحب التوابين ويحب المتطهرين .

قال : فذهب الفتى بين الناس راجعاً ، فقال له رجل من أهل الشام : خدعك العراقي ! قال : لا ، ولكن نصحني العراقي ![1]

شهادة هاشم المرقال

وقاتل هاشم هو وأصحابه قتالاً شديداً حتى أتت كتيبة لتنوخ فشدوا على الناس ، فقاتلهم وهو يقول :

---

(١) وقعة صفين : ٣٥٣ .

أعور يبغي أهله محلا لا بد أن يفل أو يفلا

قد عالج الحياة حتى ملا

حتى قتل تسعة نفر أو عشرة ، وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط ، وبعث إليه علي : أن قدم لواءك .

فقال للرسول : انظر إلى بطني . فإذا هو قد انشق .

فأخذ الراية رجل من بكر بن وائل ، ورفع هاشم رأسه فإذا هو بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قتيلاً إلى جانبه ، فحبا حتى دنا منه ، فعض على ثديه حتى نيبت فيه أنيابه .

ثم مات هاشم وهو على صدر عبيد الله بن عمر ، وضرب البكري فوقع ، فرفع رأسه فأبصر عبيد الله بن عمر قريباً منه ، فحبا إليه حتى عض على ثديه الآخر حتى نيبت أنيابه فيه ، ومات أيضاً ، فوجدا جميعاً على صدر عبيد الله بن عمر ، هاشم والبكري قد ماتا جميعاً .

ولما قتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً ، وأصيب معه عصابة من أسلم من القراء ، فمر عليهم علي وهم قتلى حول أصحابه الذين قتلوا معه فقال :

جزى الله خيراً عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم[1]

والله ما أحب أن لي ما على الأرض مما أقلت ، ولا ما تحت السماء مما أظلت ، وأني واليت عدواً لك ، أو عاديت ولياً لك ! فقال صلى الله عليه وآله : اللهمَّ ارزقه الشهادة في سبيلك ، والمرافقة لنبيك .

(١) وقعة صفين : ٣٥٥ .

عبدالله بن هاشم

قال الشعبي : أخذ عبد الله بن هاشم بن عتبة راية أبيه ، ثم قال : أيها الناس ، إن هاشما كان عبدا من عباد الله الذي قدر أرزاقهم ، وكتب آثارهم ، وأحصى أعمالهم ، وقضى آجالهم ، فدعاه الله ربه فاستجاب لأمره ، وسلم لأمره ، وجاهد في طاعة ابن عم رسوله .

أول من آمن به ، وأفقههم في دين الله ، الشديد على اعداء الله ، المستحلين حرم الله ، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد ، واستحوذ عليهم الشيطان ، فأنساهم ذكر الله ، وزين لهم الأثم والعدوان ، فحق عليكم جهاد من خالف الله ، وعطل حدوده ، ونابذ أولياءه . جودوا بمهجكم في طاعة الله في هذه الدنيا ، تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى ، والأبد الذي لا يفنى . فوالله لو لم يكن ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ، فكيف وأنتم ترجون ما ترجون !

وعن عمرو بن شمر ، قال : لما انقضى أمر صفين ، وسلم الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية ، ووفدت عليه الوفود ، أشخص عبد الله بن هاشم إليه أسيراً ، فلما مثل بين يديه ، وعنده عمرو بن العاص ، قال : يا امير المؤمنين ، هذا المختال ابن المرقال ، فدونك الضب المضب[1] ، المغر المفتون فاقتله ، فان العصا من العصية وإنما تلد الحية حيية ، وجزاء السيئة سيئة مثلها .

فقال عبد الله : إن تقتلني فما أنا بأول رجل خذله قومه ، وأسلمه يومه .

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أمكني منه أشخب أوداجه على أثباجه .

---

(١) المضب : الملازم .

فقال عبد الله : فهلا كانت هذه الشجاعة منك يا بن العاص في أيام صفين ، ونحن ندعوك إلى النزال ، وقد ابتلب أقدام الرجال من نقيع الجريال[١] ، وقد تضايقت بك المسالك ، وأشرفت منها على المهالك ! وايم الله لولا مكانك منه لرميتك بأحد من وقع الإشافى[٢] فإنك لا تزال تكثر في هوسك ، وتخبط في دهسك ، وتنشب في مرسك تخبط العشواء في الليلة الحندس الظلماء. فأمر معاوية به إلى الحبس .[٣]

وصف قادة جيش الشام

عن زيد بن وهب الجهني : أن علياً عليه السلام مرّ على جماعة من أهل الشام فيها الوليد بن عقبة وهم يشتمونه فخبر بذلك فوقف فيمن يليهم من أصحابه فقال: انهدوا إليهم عليكم السكينة والوقار، وقار الاسلام وسيما الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قائدهم ومؤذنهم معاوية وابن النابغة وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الخمر المجلود حدّاً في الاسلام، وهم أولى من يقومون فينقصونني ويجذبونني وقبل اليوم ما قاتلوني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الاسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام.

الحمد لله قديماً عاداني الفاسقون فعبدهم الله ألم يفتحوا إن هذا لهو الخطب الجليل أن فساقاً كانوا غير مرضيين وعلى الاسلام وأهله متخوفين خدعوا شطر

---

(١) الجريال : صبغ أحمر ، ويريد به الدم .
(٢) الإشافى : جمع إشفى ، وهو مخصف الاسكاف .
(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٨ : ٢٩ .

هذه الأُمة وأشربوا قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالافك والبهتان قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عزّ وجل.

اللهمَّ فافضض خدمتهم، وشتت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.[١]

شهادة عبدالله بن كعب

قال نصر: أن عبد الله بن كعب قتل يوم صفين، فمر به الأسود بن قيس وهو بآخر رمق فقال: عزَّ عليَّ والله مصرعك، أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك ولو أعرف الذي أشعرك لأحببت أن لا يزايلني حتى أقتله أو يلحقني بك، ثم نزل إليه فقال: والله إن كان جارك ليأمن بوائقك وإن كنت من الذاكرين الله كثيراً أوصني رحمك الله.

قال: أوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين، وأن تقاتل معه المحلين حتى يظهر الحق أو تلحق بالله وأبلغه عني السلام وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فإنه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب.

ثم لم يلبث أن مات. فأقبل الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره فقال: يرحمه الله جاهد معنا عدونا في الحياة ونصح لنا في الوفاة.[٢]

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣١.
(٢) بحار الأنوار ٢٣: ٥١٩.

آداب الحرب في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين :

معاشر المسلمين ، استشعروا الخشية ، وتجلببوا السكينة ، وعضوا على النواجذ ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام ، وأكملوا اللامة ، وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها ، والحظوا الخزر ، واطعنوا الشزر ، ونافحوا بالظبا ، وصلوا السيوف بالخطا . واعلموا أنكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله ، فعاودوا الكر ، واستحيوا من الفر ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار يوم الحساب ، وطيبوا عن أنفسكم نفساً ، وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً ، وعليكم بهذا السواد الأعظم ، والرواق المطنب ، فاضربوا ثبجه ، فإن الشيطان كامن في كسره ، وقد قدم للوثبة يداً ، وأخر للنكوص رجلاً . فصمداً صمداً ! حتى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .[١]

وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير في كثير من الروايات .

وفي رواية نصر بن مزاحم: أنه خطب به في أوّل أيام اللقاء والحرب بصفين ، وذلك في صفر من سنة سبع وثلاثين.[٢]

ليلة الهرير

قال أبو مخنف: أن هاشم بن عتبة الزهري دعا الناس عند المساء: ألا من

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٦٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥ : ١٧٥ .

كان يريد الله والدار الآخرة فإلي، فأقبل إليه ناس كثير فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً فليس من وجه يحمل عليه إلّا صبر له وقاتل فيه قتالاً شديداً، فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون فيهم إلّا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وعتد مراكزها وإنهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق.

يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا وامشوا بنا إلى عدونا على تؤدة رويداً ثم اثبتوا وتناصروا واذكروا الله ولا يسأل رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات واصمدوا صمدهم وجاهدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين.

ثم انه مضى في عصابة معه من القراء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه عند المساء.[1]

فاقتتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح وهي ليلة الهرير حتى تقصفت الرماح ونفد النبل وصار الناس إلى السيوف، وأخذ علي عليه السلام يسير فيما بين الميمنة والميسرة، ويأمر كل كتيبة من القراء أن تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره والأشتر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة وعلي في القلب والناس يقتتلون من كل جانب، وذلك يوم الجمعة.

وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى وأخذ يقول لأصحابه: ازحفوا فيد هذا الرمح،

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٠.

وهو يزحف بهم نحو أهل الشام فإذا فعلوا قال: ازحفوا فاد هذا القوس فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل أكثر الناس الاقدام، فلما رأى ذلك الأشتر قال: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعي وخرج يسير في الكتائب ويقول: من يشتري نفسه من الله عزّ وجل ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله.

قال عمارة بن ربيعة الجرمي: مرّ بي والله الأشتر فأقبلت معه واجتمع إليه ناس كثير فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان به الميمنة فقام بأصحابه فقال: شدّوا شدة فدى لكم عمي وخالي، ترضون بها الربّ وتعزون بها الدين إذا شددت فشدّوا، ثم نزل فضرب وجه دابته ثم قال لصاحب رايته: قدم بها، ثم شدّ على القوم وشدّ معه أصحابه فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثم إنهم قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً، فقتل صاحب رايته وأخذ علي عليه السلام لما رأى من الظفر من قبله يمدّه بالرجال.

وقال عمرو بن العاص يوم صفين لوردان: تدري ما مثلي ومثلك ؛ مثل الأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر، لئن تأخرت لأضربن عنقك، ائتوني بقيد فوضعه في رجليه فقال: أما والله يا أبا عبد الله لأوردنك حياض الموت ضع يدك على عاتقي ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحياناً ويقول لأوردنك حياض الموت.(١)

حيلة عمرو بن العاص

فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتدّ وخاف في ذلك

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠ ـ ٣٣.

الهلاك قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلّا اجتماعاً ولا يزيدهم إلّا فرقة؟

قال: نعم.

قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى، ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى، نقبل ما فيها رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين.[١]

رفع المصاحف

قال أبو مخنف: وقال علي عليه السلام عندما رفع أصحاب معاوية المصاحف: عباد الله، امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال.

ويحكم إنهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة.

فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عزّ وجل فنأبى أن نقبله!

فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب فإنهم قد عصوا الله عزّ وجل فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤.

فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة معهما من القرّاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله عزّ وجل إذ دعيت إليه وإلّا ندفعك برمتك إلى القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفان إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عزّ وجل فقبلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك.

فقال عليه السلام: فاحفظوا عني نهيي إيّاكم واحفظوا مقالتكم لي، أما أنا فأن تطيعوني تقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم.

قالوا له: أما لا فابعث إلى الأشتر فليأتك.

فأرسل علي إلى الأشتر يزيد بن هانيء السبيعي أن ائتني فأتاه فبلغه، فقال: قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي إني قد رجوت أن يفتح لي فلا تعجلني.

فرجع يزيد بن هانيء إلى علي فأخبره فما هو إلّا أن انتهى الينا فارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر، فقال له القوم: والله ما نراك إلّا أمرته أن يقاتل!

قال: من أين ينبغي أن تروا ذلك، رأيتموني ساررته، أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعوني.

قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلّا والله اعتزلناك.

قال له: ويحك يا يزيد، قل له أقبل إليَّ فانَّ الفتنة قد وقعت، فأبلغه ذلك، فقال له: ألرفع المصاحف؟

قال: نعم.

قال: أما والله لقد ظننت حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنها مشورة

ابن العاهرة، ألا ترى ما صنع الله لنا أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم .

قال يزيد بن هانيء: فقلت له: أتحب أنك ظفرت هاهنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه أو يسلم ؟

قال: لا والله، سبحان الله .

قال: فانهم قد قالوا لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان .

فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الذل والوهن، حين علوتم القوم ظهراً وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وقد والله تركوا ما أمر الله عزّ وجل به فيها وسنة من أنزلت عليه ﷺ فلا تجيبوهم أمهلوني عدو الفرس فاني قد طمعت في النصر .

قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك .

قال: فحدثوني عنكم وقد قتل أماثلكم وبقى أراذلكم متى كنتم محقين أحين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون، فأنتم الآن إذاً أمسكتم عن القتال مبطلون أم الآن أنتم محقّون، فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم فكانوا خيراً منكم في النار إذاً .

قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله عزّ وجل وندع قتالهم لله سبحانه إنا لسنا مطيعيك ولا صاحبك فاجتنبنا .

فقال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود، كنّا نظنّ صلواتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله عزّ وجل، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ألا قبحاً .

يا أشباه النيب الجلالة، وما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمين، فسبّوه، فسبّهم، فضربوا وجه دابته بسياطهم، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابهم، وصاح بهم علي ﷺ : فكفوا، وقال للناس: قد قبلنا أن تجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً.(١)

فتنة الأشعث

فجاء الأشعث بن قيس إلى علي ﷺ فقال له: ما أرى الناس إلّا قد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فان شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد فنظرت ما يسأل.

قال: أئته إن شئت فسله، فأتاه فقال: يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟

قال: لنرجع نحن وأنتم إلى علي ومعاوية، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه.

فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية.

فقال الناس: فانا قد رضينا وقبلنا.

فقال أهل الشام: فإنّا قد اخترنا عمرو بن العاص.

فقال الأشعث: وأولئك القوم الذين صاروا خوارج بعد فإنا قد رضينا بأبي

---

(١) المصدر السابق.

موسى الأشعري .

قال علي عليه السلام : فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، إني لا أرى أن أولى أبا موسى .

فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي ومسعر بن فدكي: لا نرضى إلّا بـه فانّه ما كان يحذرنا وقعنا فيه .

قال علي عليه السلام : فانّه ليس لي بثقة قد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك .

قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس، لا نريد إلّا رجلاً هـو مـنك ومـن معاوية سواء ليس إلى واحد منكم بأدنى منه إلى الآخر .

فقال علي عليه السلام : فاني أجعل الأشتر .

فقال الأشعث: وهل سعر الأرض غير الأشتر ؟ وهل نحن إلّا فـي حكـم الأشتر .

قال علي عليه السلام : وما حكمه ؟

قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون مـا أردت ومـا أراد .

قال: فقد أبيتم إلّا أبا موسى ؟

قالوا: نعم .

قال: فاصنعوا ما أردتم .(١)

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣١٨ .

مَن هو أبو موسى الأشعري ؟

هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، قدم مع مجموعة من أشعريين اليمن إلى المدينة أيام فتح خيبر .

وكان أبو موسى على البصرة لما قتل عمر فأقره عثمان عليها ثم عزله واستعمل بعده ابن عامر، فسار من البصرة الى الكوفة، فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وطلبوا من عثمان ان يستعمله عليهم فاستعمله، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان فعزله علي عليه السلام عنها .

قال عكرمة: لما كان يوم الحكمين حكم معاوية عمرو بن العاص قال الأحنف بن قيس لعلي: يا أمير المؤمنين، حكم ابن عباس فانه نحوه .

قال: أفعل .

فقالت اليمانية: يكون أحد الحكمين منّا واختاروا أبا موسى .

فقال ابن عباس لعلي عليه السلام: علام تحكم أبا موسى ! فوالله لقد عرفت رأيه فينا فوالله ما نصرنا وهو يرجونا فتدخله الآن في معاقد الأمر مع ان أبا موسى ليس بصاحب ذلك فاجعل الأحنف فانّه قرن لعمرو .

فقال: أفعل .

فقالت اليمانية أيضاً: منهم الأشعث بن قيس وغيره لا يكون فيها الايمان ويكون أبا موسى فجعله علي عليه السلام، وقال له ولعمر: أحكمكما على أن تحكما بكتاب الله وكتاب الله كلّه معي، فان لم تحكما بكتاب الله فلا حكومة لكما .

ومات أبو موسى بالكوفة ؛ وقيل: مات بمكة سنة اثنتين وأربعين ؛ وقيل:

سنة أربع وأربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة.[١]

قال الطبري في حوادث سنة عشرين: أنّه لما تم عزل أبا موسى عن البصرة، أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً فتعلقوا بعنانه وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب من الرجلة فيما رغبتنا فيه، فقنع القوم حتى تركوا دابته ومضى، فأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقوله، فأبدلنا به.

فقال: من تحبون؟

فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا وأحيا أمر الجاهلية فينا.[٢]

وقال أبو بردة ابن أبو موسى: دخلت على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحته فقال: هلم يا ابن أخي تحول فانظر.

قال: فتحولت فنظرت، فإذا هي قد سبرت يعني قرحته.

فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين.

قال: إذ دخل يزيد بن معاوية فقال له معاوية: إن وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا، فإن أباه كان أخاً لي ـ أو خليلاً أو نحو هذا من القول ـ غير أني قد رأيت في القتال ما لم ير.[٣]

التحكيم

مع خدعة عمرو بن العاص انتهت الحرب التي كان النصر فيها قاب قوسين

---

(١) أسد الغابة ٣: ٢٤٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٣٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى ٤: ١١٢.

أو أدنى لأمير المؤمنين عليه السلام.

كان أبو موسى في منطقة «عُرض»[1]، فأتاه مولى له فقال إن الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله رب العالمين.

قال: قد جعلوك حكماً.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر وجاء الأشتر حتى أتى عليا فقال الزنى بعمرو بن العاص فوالله الذي لا إله الا هو لئن ملات عينى منه لأقتلنه.

وجاء الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض وبمن حارب الله ورسوله أنف الاسلام وإني قد عجمت هذا الرجل وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر، وإنه لا يصح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم فان أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً فانّه لن يعقد عقدة إلّا حللتها ولن يحل عقدة أعقدها إلّا عقدت لك أُخرى أحكم منها. فأبى الناس إلّا أبا موسى والرضى بالكتاب.

فقال الأحنف: فإن أبيتم إلّا أبا موسى فأدفئوا ظهره بالرجال، فكتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين.

فقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم فأما أميرنا فلا.

وقال له الأحنف: لا تمح اسم إمارة المؤمنين فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً، فأبى ذلك علي ملياً

(١) اسم مدينة في الشام قرب حلب. مراصد الاطلاع ٢: ٩٣٠.

من النهار .

ثم إن الأشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم برحه الله، فمحي وقال علي: الله أكبر سنّة بسنّة، ومثل بمثل، والله إني لكاتب بين يدي رسول الله ﷺ يوم الحديبية إذ قالوا: لست رسول الله ولا نشهد لك به ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فكتبه .

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله ومثل هذا أن نشبّه بالكفار ونحن مؤمنون !

فقال علي: يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً وللمسلمين عدوّاً، وهل تشبه إلّا أمّك التي وضعت بك ؟

فقام فقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم .

فقال له علي عليه السلام : واني لأرجو أن يطهّر الله عزّ وجل مجلسي منك ومن أشباهك، وكتب الكتاب .[1]

قال جندب بن عبد الله: أن علياً عليه السلام قال للناس يوم صفين: لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة وأسقطت منة وأوهنت وأورثت وهناً وذلّة ولما كنتم الأعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفتئوكم عنهم ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ويتربصون ريب المنون خديعة ومكيدة فأعطيتموهم ما سألوا وأبيتم إلّا أن تدهنوا وتجوزوا، وأيم الله ما أظنّكم بعدها توافقون رشداً ولا تصيبون باب حزم .[2]

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٤٠ .

قرار التحكيم

وكتب عمرو بن العاص يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين.

وجاء في هذا القرار:

هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين.

فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.

وقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، إنما هو أميركم، وأما أميرنا فلا.

فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه....

قال نصر: وقد روى أبو إسحاق الشيباني، قال: قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء، عليها خاتمان: خاتم من أسفلها، وخاتم من أعلاها، على خاتم علي عليه السلام محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى خاتم معاوية محمد رسول الله.

وقيل لعلي عليه السلام، حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام: أتقر أنهم مؤمنون مسلمون!

فقال علي عليه السلام: ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء، ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه، ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه، فكتبوا:

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين، وقاضي معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين، إننا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه، ولا يجمع بيننا إلا

إيّاه. وإن كتاب الله سبحانه وتعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نحيي ما أحيا القرآن ، ونميت ما أمات القرآن ، فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه ، وإن لم يجداه أخذا بالسنة العادلة غير المفرقة ، والحكمان : عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص .

وقد أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين أنهما آمنان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما ، والأُمة لهما أنصار ، وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه ، مما وافق الكتاب والسنة ، وإن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين ، إلى أن يقع الحكم ، وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الأُمة بالحق ، لا بالهوى ، وأجل الموادعة سنّة كاملة . فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه ، وإن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلاً ، لا يألو الحق والعدل ، وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ، ويحمدون طريقته .

اللهمَّ إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيها إلحاداً وظلماً ![1]

عُروة بن أديّة

قال أبو مخنف: فخرج الأشعث بذلك الكتاب يقرأه على الناس ويعرضه عليهم فيقرؤنه حتى مر به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية وهو أخو

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ٢٣٢ .

أبي بلال فقرأه عليهم فقال عروة بن أدية: تحكمون في أمر الله عزّ وجل الرجال لا حكم إلّا لله، ثم شدّ بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به أصحابه: أن املك يدك فرجع فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن.

فمشى الأحنف بن قيس السعدي ومعقل بن قيس الرياحي ومسعر بن فدكي وناس كثير من بني تميم فتنصلوا إليه واعتذروا فقبل وصفح.(١)

منزلة مالك

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعد كتابة الصحيفة بالموادعة والتحكيم، وقد اختلف عليه أهل العراق في ذلك:

والله، ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذ أبيتم إلّا أن ترضوا فقد رضيت، وإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الاقرار، إلا أن يعصى الله بنقض العهد، ويتعدى كتابه بحل العقد، فقاتلوا حينئذ من ترك أمر الله.

وأما الذي ذكرتم عن الأشتر من تركه أمر بخط يده في الكتاب وخلافه ما أنا عليه، فليس من أولئك، ولا أخافه على ذلك، ولنت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوكم ما يرى، إذا لخفت علي مؤونتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم، وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني، فكنت - أنا وأنتم - كما قال أخو هوازن:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٩.

وهل أنا إلا من غـزية إن غـوت غويت وإن ترشد غزية أرشـد[١]

وكان الأشتر قد قال لما كتبت الصحيفة ودعي لها ليشهد مع الشهود عليه ، فقال : لا صحبتني يميني ولا نفعني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة ، أولست على بينة من أمري ويقين مـن ضـلالة عـدوي ، أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور !

فقال له رجل من الناس : والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً ، هلم فاشهد على نفسك ، واقرر بما كتب في هذه الصحيفة ، فإنه لا رغبة لك عن الناس ، فقال : بلى والله ، إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا ، وفي الآخرة للآخرة ، ولقد سـفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي بخير منهم ، ولا أحرم دماً .

قال نصر بن مزاحم : الرجل هو الأشعث بن قيس ، قال : فكأنما قصع على أنفه الحميم ثم قال : ولكني قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين ، ودخلت فيما دخل فيه ، وخرجت مما خرج منه ، فإنه لا يدخل إلا في الهدى والصواب .

الأسرى

قال أبو مخنف : أن رجلاً من «أود» كان يقال له عمرو بن أوس قاتل مـع علي يوم صفين فأسره معاوية في أسارى كثير فقال له عمرو بن العاص : اقتلهم، فقال له عمرو بن أوس : إنك خالي فلا تقتلني ، وقامت إليه بنو أود فقالوا : هب لنا أخانا ، فقال : دعوه لعمري لئن كان صادقاً فلنستغنين عن شفاعتكم، ولئن كـان

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد ١ : ٢٦٩ .

كاذباً لتأتين شفاعتكم من ورائه.

فقال له: من أين أنا خالك فوالله ما كان بيننا وبين أود مصاهرة؟

قال: فان أخبرتك فعرفته فهو أماني عندك؟

قال: نعم.

قال: ألست تعلم أن أُم حبيبة ابنة أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وآله؟

قال: بلى.

قال: فإني ابنها وأنت أخوها، فأنت خالي.

فقال معاوية: لله أبوك ما كان في هؤلاء واحد يفطن لها غيره، ثم قال للأوديين: أيستغني عن شفاعتكم خل سبيله.

قال الشعبي: أن أسارى كان أسرهم علي يوم صفين كثير فخلى سبيلهم فأتوا معاوية وإن عمراً ليقول له وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة: اقتلهم، فما شعروا إلّا بأسرائهم قد خلى سبيلهم.

فقال معاوية: يا عمرو، لو أطعناك في هؤلاء الأسرى وقعنا في قبيح من الأمر، ألا ترى قد خلى سبيل أسارانا وأمر بتخلية سبيل من في يديه من الأُسارى.[1]

قتلى صفين

وروي عن عبد الرحمن بن نافع القاريء، عن أبيه، قال: سئل علي عليه السلام عن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٠.

قتلى صفين ، فقال : إنما الحساب عليَّ وعلى معاوية .

وعن عبد الرحمن بن حبيب ، عن علي عليه السلام ، أنه قال : يؤتى بي وبمعاوية يوم القيامة ، فنجيء ونختصم عند ذي العرش ، فأينا فلج فلج أصحاب .[١]

ذكر الخواجوئي انّ عدد المقتولين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في صفين قد بلغ حوالي خمسة وعشرين ألف شهيد ، منهم عمار بن ياسر وخمسة وعشرين من البدريين ، وكان عدد جيشه عليه السلام يبلغ تسعين ألف مقاتل ، أما قتلى جيش معاوية فقد بلغ حوالي خمسة وأربعين ألف قتيل ، وكان عدد جيش الشام حوالي مائة وعشرون ألف مقاتل .[٢]

أبو أيوب الأنصاري يتحدث من صفين

وذكر الخطيب في تاريخه ما يدلّ على أن علقمة والأسود كررا معاتبة أبي أيوب على نصرته لعلي عليه السلام فزادهما أيضاً حال عذره بما كان سمعه من النبي صلى الله عليه وآله فقال الخطيب :

إن العلقمة والأسود أتيا أبا أيوب الانصاري عند منصرفه من صفين فقالا له : يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله في بيتك وبمجيء ناقته تفضلاً من الله تعالى وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس جميعاً ، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب أهل لا إله إلّا الله ؟

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٠ .
(٢) مفتاح الفلاح : ٢٩٨ .

فقال : يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله ، إن رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي : بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل وطلحة والزبير ، وأما القاسطون فهذا منصرفنا عنهم ـ يعني معاوية وعمرو بن العاص ـ وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السقيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات ، والله ما أدري أين هم ولكن لا بدّ من قتالهم إن شاء الله .

ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمار : تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك . يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس كلهم وادياً فاسلك مع علي فإنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى .

يا عمار من تقلّد سيفاً وأعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من در ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدو علي قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحين من نار .

قلنا : يا هذا حسبك يرحمك الله حسبك يرحمك الله .[١]

العودة من صفين

كان قرار التحكيم في صفر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر إلى أن يلتقى الحكمان .

ثم إن الناس دفنوا قتلاهم وأمر علي عليه السلام الأعور فناد في الناس بالرحيل .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال : لما انصرفنا

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ١٨٦ .

من صفين أخذنا غير طريقنا الذي أقبلنا فيه أخذنا على طريق البر على شاطىء الفرات حتى انتهينا إلى هيت ثم أخذنا على صندوداء فخرج الأنصاريون بنو سعد بن حرام فاستقبلوا علياً فعرضوا عليه النزول، فبات فيهم ثم غدا وأقبلنا معه حتى إذا جزنا النخيلة ورأينا بيوت الكوفة إذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض فأقبل إليه علي ونحن معه حتى سلّم عليه وسلمنا معه فرد ردّاً حسناً ظننا أن قد عرفه.

قال له علي ﷺ: أرى وجهك منكفئاً فمن مه أمن مرض؟

قال: نعم.

قال: فلعلك كرهته؟

قال: ما أحب أنه بغيري.

قال: أليس احتساباً بالخير فيما أصابك منه؟

قال: بلى.

قال: فأبشر برحمة ربك وغفران ذنبك، من أنت يا عبد الله؟

قال: أنا صالح بن سليم.

قال: ممن؟

قال: أما الأصل فمن سلامان طي، وأما الجوار والدعوة ففي بني سليم بن منصور.

فقال: سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أدعيائك واسم من اعتزيت إليه، هل شهدت معنا غزاتنا هذه؟

قال: لا والله ما شهدتها ولقد أردتها، ولكن ما ترى من أثر لحب الحمى خذلني عنها.

فقال عليه السلام **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾**[1]، خبرني ما تقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟

قال: فيهم المسرور فيما كان بينك وبينهم وأولئك أغشاء الناس، وفيهم المكبوت الآسف بما كان من ذلك وأولئك نصحاء الناس لك فذهب لينصرف فقال: قد صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيئاتك فان المرض لا أجر فيه ولكنه لا يدع على العبد ذنباً إلّا حطّه وإنما أجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل، وإن الله جلّ ثناؤه ليدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالماً جمّاً من عباده الجنة.[2]

عبدالله بن وديعة ورأي الناس

ثم مضى أمير المؤمنين عليه السلام على غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري[3] فدنا منه وسلم عليه وسايره فقال له: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا؟

---

(١) التوبة: ٩١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٣.

(٣) عبد الله بن وديعة بن حرام الأنصاري، له صحبة، وأخرجه أبو حاتم الرازي في الصحابة. أسد الغابة ٣: ٢٧١.

قال: منهم المعجب به ومنهم الكاره له كما قال عزّ وجل: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾.

فقال له: فما قول ذوي الرأي فيه؟

قال: أما قولهم فيه فيقولون إن علياً كان له جمع عظيم ففرقه، وكان له حصن حصين فهدمه، فحتى متى يبني ما هدم وحتى متى يجمع ما فرق فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان ذلك الحزم.

فقال علي عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا! أنا فرقت أم هم فرقوا![1]

قبور في أطراف الكوفة

نقل عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال: ثم مضينا حتى إذا جزنا بني عوف إذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية، فقال علي عليه السلام: ما هذه القبور؟

فقال قدامة بن العجلان الأزدي: يا أمير المؤمنين، إن خباب بن الأرت[2]

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤٤.

(٢) قال محمد بن سعد: سمعت من يذكر أنه رجل من العرب من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أصابه سباء فاشترته أم أنمار فأعتقته ونزل الكوفة وابتنى بها داراً في جار سوج خنيس وتوفي بها منصرف علي عليه السلام من صفين سنة سبع وثلاثين فصلّى عليه علي ودفنه بظهر الكوفة وكان يوم مات ابن ثلاث وسبعين سنة. الطبقات الكبرى ٦ : ١٤.

وقال أبو صالح: كان خباب قيناً يطبع السيوف وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يألفه ويأتيه فأخبرت مولاته بذلك فكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اللهمَّ انصر خباباً، فاشتكت مولاته أم انمار رأسها فكانت تعوي مثل

توفي بعد مخرجك فأوصى بأن يدفن في الظهر وكان الناس إنما يدفنون في دورهم وأفنيتهم فدفن بالظهر رضي الله عنه ودفن الناس إلى جنبه.

فقال علي عليه السلام : رحم الله خباباً فقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلى في جسمه أحوالاً وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثم جاء حتى وقف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع بكم عما قليل لاحقون. اللهمَّ اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم.

وقال: الحمد لله الذي جعل منها خلقكم وفيها معادكم منها يبعثكم وعليها يحشركم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله عزّ وجل.

البكاء على الشهداء

ثم انّ أمير المؤمنين عليه السلام أقبل حتى حاذى «سكة الثوريين» فسمع البكاء فقال: ما هذه الأصوات؟

فقيل له: هذا البكاء على قتلى صفين.

فقال: أما إني أشهد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة، ثم مر

الكلاب، فقيل لها: اكتوي، فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوى بها رأسها، وشهد خباب بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله. أسد الغابة ٢ : ٩٨.

بالفائشيين فسمع الأصوات فقال مثل ذلك، ثم مضى حتى مر بالشباميين فسمع رجّة شديدة فوقف فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي فقال علي: أيغلبكم نساؤكم ألا تنهونهن عن هذا الرنين؟

فقال: يا أمير المؤمنين لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك ولكن قتل من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل فليس دار إلّا وفيها بكاء، فأما نحن معشر الرجال فانا لا نبكي ولكن نفرح لهم، ألا نفرح لهم بالشهادة.

قال علي عليه السلام: رحم الله قتلاكم وموتاكم، وأقبل يمشي معه وعلي راكب، فقال له علي: ارجع، ووقف ثم قال له: ارجع، فإن مشى مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن.[1]

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٢٤، تاريخ الطبري ٤: ٤٣.

الفصل التاسع

فتنة الخوارج



اختلاف عند العودة

عن عمارة بن ربيعة قال: خرجوا مع علي عليه السلام إلى صفين وهم متوادّون أحبّاء فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كلّه ويتشاتمون ويضطربون بالسياط يقول الخوارج: يا أعداء الله أدهنتم في أمر الله عزّ وجل وحكمتم، وقال الآخرون: فارقتم إمامنا وفرقتم جماعتنا، فلما دخل على الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء[١] فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ونادى مناديهم: إن أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والأمر شورى بعد الفتح؟ لله عزّ وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٢]

غارة جنود معاوية

وهي غارة الضحاك بن قيس الذي لقيه حجربن عدي وهزمه؛ فعن جندب الازدي عن أبيه قال:

---

(١) حروراء ـ بفتحتين وسكون الواو ـ: قرية بظاهر الكوفة؛ وقيل: موضع على ميلين منها. مراصد الاطلاع ١: ٣٩٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٥.

أول غارة كانت بالعراق غارة الضحاك بن قيس على أهل العراق ، وكانت بعدما حكم الحكمان وقبل قتل أهل النهروان وذلك أن معاوية لما بلغه أن علياً عليه السلام بعد تحكيم الحكمين تحمل[١] إليه مقبلاً فهاله أمره فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى كور الشام فصاح فيها : أن علياً قد سار اليكم وكتب إليهم نسخة واحدة فقرئت على الناس :

أما بعد ؛ فانا كنا قد كتبنا بيننا وبين علي كتاباً وشرطنا فيه شروطاً ، وحكمنا رجلين يحكمان علينا وعليه بحكم الكتاب لا يعدوانه ، وجعلنا عهد الله وميثاقه على من نكث العهد ولم يمض الحكم ، وان حكمي الذي كنت حكمته أثبتني ، وان حكمه خلعه ، وقد أقبل اليكم ظالماً ومن نكث فانما ينكث على نفسه[٢] تجهزوا للحرب بأحسن الجهاز ، وأعدوا لها آلة القتال وأقبلوا خفافاً وثقالاً وكسالى ونشاطاً يسرنا الله واياكم لصالح الاعمال .

فاجتمع إليه الناس من كل كورة وأرادوا المسير إلى صفين فاستشارهم وقال : ان علياً قد خرج اليكم من الكوفة وعهد العاهد به أنه فارق النخيلة .

فقال له حبيب بن مسلمة : فاني أرى أن نخرج حتى ننزل منزلنا الذي كنّا فيه فانّه منزل مبارك قد متعنا الله به وأعطانا من عدونا فيه النصف .

وقال له عمرو بن العاص : انّي أرى لك أن تسير بالجنود حتى توغلها في سلطانهم من أرض الجزيرة فان ذلك أقوى لجندك وأذل لأهل حربك .

---

(١) تحمل القوم : ارتحلوا أو وضعوا أحمالهم على الابل يريدون الرحيل . ومنه قول امرىء القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

(٢) مأخوذ من قول الله تعالى في سورة الفتح (آية ١٠) : ﴿ان الذين يبايعونك ...﴾ .

فقال معاوية : والله اني لأعرف أن الرأي الذي تقول ، ولكن الناس لا يطيقون ذلك .

قال عمرو : انها أرض رفيعة .

فقال معاوية: والله ان جهد الناس أن يبلغوا منزلهم الذي كانوا به يعني صفين فمكثوا يجيلون الرأي يومين أو ثلاثة حتى قدمت عليهم عيونهم أن علياً أختلف عليه أصحابه ففارقته منهم فرقة أنكرت أمر الحكومة وأنه قد رجع عنكم إليهم ، فكثر سرور الناس بانصرافه عنهم ، وما ألقى الله من الخلاف بينهم .

فلم يزل معاوية معسكراً في مكانه منتظراً لما يكون من علي وأصحابه، وهل يقبل علي بالناس أم لا ؟

فما برح معاوية حتى جاءه الخبر أن علياً قد قتل تلك الخوارج وأراد بعد قتلهم أن يقبل إليه بالناس وأنهم استنظروه ودافعوه ، فسر بذلك هو ومن قبله من الناس .(١)

جاسوس عمارة بن عقبة

الفزاري قال : جاءنا كتاب عمارة بن عقبة بن أبي معيط ، وكان بالكوفة مقيماً ، ونحن معسكرون مع معاوية ، نتخوف أن يفرغ علي من الخوارج ثم يقبل إلينا ، ونحن نقول : إن أقبل إلينا كان أفضل المكان الذي نستقبله به ، المكان الذي لقيناه فيه العام الماضي .

---

(١) الغارات ٢ : ٤١٦ ـ ٤١٧ .

فكان في كتاب عمارة بن عقبة : أما بعد : فإن علياً خرج عليه قراء أصحابه ونساكهم ، فخرج إليهم فقتلهم ، وقد فسد عليه جنده وأهل مصره ، ووقعت بينهم العداوة ، وتفرقوا أشد الفرقة ، وأحببت إعلامك لتحمد الله والسلام .

قال عبد الرحمن بن مسعدة : فقرأه معاوية على وجه أخيه عتبة ، وعلى الوليد بن عقبة ، وعلى أبي الأعور السلمي ، ثم نظر إلى أخيه عتبة وإلى الوليد بن عقبة ، وقال للوليد : لقد رضي أخوك أن يكون لنا عيناً .

فضحك الوليد وقال : إن في ذلك أيضاً لنفعا .[١]

إغارة الضحاك بن قيس

قال إبراهيم بن هلال الثقفي : فعند ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي عليه السلام فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى ، وجدت له مسلحة[٢] أو خيلاً فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى ، ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها .

فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف . فأقبل الضحاك ، فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب ، حتى مر بالثعلبية[٣] فأغار على الحاج ، فأخذ

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ١١٤ .
(٢) المسلحة هنا : القوم ذوو سلاح .
(٣) الثعلبية : من منازل طريق مكة إلى الكوفة .

أمتعتهم ، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي ، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله ﷺ ، فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة[١]. وقتل معه ناساً من أصحابه .

روى أبو روق عن أبيه ، قال : سمعت علياً عليه السلام ، وقد خرج إلى الناس ، وهو يقول على المنبر :

يا أهل الكوفة ، اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس ، وإلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف ، اخرجوا فقاتلوا عدوكم ، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين . فردوا عليه ردّاً ضعيفاً ، ورأى منهم عجزاً وفشلاً .

فقال : والله لوددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلاً منهم ! ويحكم اخرجوا معي ، ثم فروا عني ما بدا لكم ، فو الله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي ، وفي ذلك روح لي عظيم ، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم . ثم نزل .

فخرج يمشي حتى بلغ الغريين ، ثم دعا حجر بن عدي الكندي ، فعقد له على أربعة آلاف .[٢]

وروى محمد بن يعقوب الكليني ، قال : استصرخ أمير المؤمنين عليه السلام الناس عقيب غارة الضحاك بن قيس الفهري على أطراف أعماله ، فتقاعدوا عنه ، فخطبهم ، فقال :

أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس كيت وكيت ، فإذا

---

(١) القطقطانة ـ بالضم ثم السكون ـ: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ١١٦ .

جاء القتال قلتم حيدي حياد .

ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليل بأضاليل ، دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلّا بالجد ، أي دار بعد داركم تمنعون ، ومع أي إمام بعدي تقاتلون .

المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الاخيب ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل، أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ؟ ما دواؤكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمثالكم ، أقولاً بغير عمل وغفلة من غير ورع . وطمعاً في غير حق .[1]

رسالة عقيل إلى علي عليه السلام

وكتب في أثر هذه الوقعة عقيل بن أبي طالب[2] إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام ، حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به :

لعبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام .

---

(١) نهج البلاغة ١ : ٧٣ .

(٢) عقيل بن أبى طالب ، يكنى أبا يزيد ، أُمه فاطمة بنت أسد ، قال له النبي صلى الله عليه وآله : اني أحبك حبّين : حبّاً لقرابتك وحبّاً لما كنت أعلم من حبّ عمي اياك ، وكان عقيل ممن خرج مع المشركين الى بدر مكرها فأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه عمه العباس ثم أتى مسلماً قبل الحديبية ، وهاجر الى النبي صلى الله عليه وآله سنة ثمان وشهد غزوة مؤتة ثم رجع فعرض له مرض ، وقيل انّه ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان أعلم قريش بالنسب وأعلمهم بأيامها ولكنه كان مبغضاً إليهم لأنه كان يعد مساوئهم ، وكانت له طنفسة تطرح له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع الناس إليه في علم النسب وأيام العرب ، وتوفي عقيل في خلافة معاوية . أسد الغابة ٣: ٤٢٤ .

من عقيل بن أبي طالب .

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن الله حارسك من كل سوء ، وعاصمك من كل مكروه ، وعلى كل حال ، إني قد خرجت إلى مكة معتمراً ، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، فعرفت المنكر في وجوههم ، فقلت : إلى أين يا أبناء الشانئين ! أبمعاوية تلحقون ! عداوة والله منكم قديما غير مستنكرة ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتبديل أمره .

فأسمعني القوم وأسمعتهم ، فلما قدمت مكة ، سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاحتمل من أموالها ما شاء ، ثم انكفا راجعاً سالماً . فأف لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك ! وما الضحاك ! فقع بقرقر[1] ! وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك ، فاكتب إليَّ يا بن أمي برأيك فإن كنت الموت تريد ، تحملت إليك ببني أخيك ، وولد أبيك ، فعشنا معك ما عشت ، ومتنا معك إذا مت ، فو الله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فواقا . وأقسم بالأعز الأجل ، إن عيشا نعيشه بعدك في الحياة لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

جواب أمير المؤمنين عليه السلام

فكتب إليه عليه السلام :

---

(١) القرقر : المستوية ، والفقع : ضرب من أردأ الكمأة ، يقال للرجل الذليل : هو فقع قرقر ، لأن الدواب تنجله بأرجلها .

من عبد الله علي أمير المؤمنين .

إلى عقيل بن أبي طالب .

سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو ، أما بعد : كلانا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب ، إنه حميد مجيد . قد وصل إليَّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي ، تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح مقبلاً من قديد[1] في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء ، متوجهين إلى جهة الغرب ، وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصد عن سبيله وبغاها عوجاً ، فدع ابن أبي سرح ، ودع عنك قريشاً ، وخلهم وتركاضهم في الضلال ، وتجوالهم في الشقاق .

ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقّه ، وجحدوا فضله ، وبادروه العداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وجروا إليه جيش الأحزاب .

اللهم فاجز قريشاً عني الجوازي[2] ! فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت علي ، ودفعتني عن حقي ، وسلبتني سلطان ابن أُمي ، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتي في الاسلام ! إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه ، ولا أظن الله يعرفه ، والحمد لله على كل حال .

فأما ما ذكرته من غارة الضحاك على أهل الحيرة ، فهو أقل وأزل من أن يلم

(١) قديد : موضع قرب مكة .

(٢) الجوازي : جمع جازية ، وهي المكافأة على الشيء .

بها أو يدنو منها ، ولكنه قد كان أقبل في جريدة خيل على السماوة ، حتى مر بواقصة وشراف والقطقطانة ، مما والى ذلك الصقع ، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك فرّ هارباً ، فأتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن ، وكان ذلك حين طفلت الشمس للاياب ، فتناوشوا القتال قليلاً كلّا ولا ، فلم يصبر لوقع المشرفية ، وولّى هارباً ، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ، ونجا جريضاً بعدما أخذ منه بالمخنق ، فلايا بلاي ما نجا .

فأما ما سألتني أن أكتب لك برأيي فيما أنا فيه ، فإن رأيي جهاد المحلين حتى ألقى الله ، لا يزيدني كثرة الناس معي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة ، لأنني محق والله مع المحق ، ووالله ما أكره الموت على الحق ، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً . وأما ما عرضت به من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك ، فأقم راشداً محموداً ، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت ، ولا تحسبن ابن أُمك ـ ولو أسلمه الناس ـ متخشعاً ولا متضرعاً إنه لكما .

قال أخو بني سليم :

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... صبور على ريب الزمان صليب
يعزّ عليّ أن تري بي كآبة ... فيشمت عاد أو يساء حبيب[1]

عقيل ومعاوية

بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وصلح الامام الحسن عليه السلام ، أتى عقيل إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ١١٨ .

معاوية[١]، فنصبت له كراسيه ، وأجلس جلساءه حوله ، فلما ورد عليه أمر له بمائة ألف فقبضها ، ثم غدا عليه يوماً بعد ذلك ، وبعد وفاة أمير المؤمنين علي صلى الله عليه وآله ، وبيعة الحسن لمعاوية ، وجلساء معاوية حوله ، فقال : يا أبا يزيد ، أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك ، فقد وردت عليهما .

قال : أخبرك ، مررت والله بعسكر أخي ، فإذا ليل كليل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم ، ما رأيت إلّا مصلّياً ، ولا سمعت إلّا قارئاً . ومررت بعسكرك ، فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة .

ثم قال : من هذا عن يمينك يا معاوية ؟

قال : هذا عمرو بن العاص .

قال : هذا الذي اختصم فيه ستة نفر ، فغلب عليه جزار قريش : فمن الآخر ؟

قال : الضحاك بن قيس الفهري .

قال : أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس ، فمن هذا الآخر ؟

قال : أبو موسى الأشعري .

قال : هذا ابن السراقة ، فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه ، علم أنه إن استخبره عن نفسه ، قال فيه سوءاً ، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء ، فيذهب بذلك غضب جلسائه ، قال : يا أبا يزيد ، فما تقول فيَّ ؟

---

(١) قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج (١١ : ٢٥١) :

واختلف الناس في عقيل هل التحق بمعاوية وامير المؤمنين حي أم بعد استشهاده عليه السلام والقول الثاني هو الأظهر عندي .

قال : دعني من هذا !

قال : لتقولن .

قال : أ تعرف حمامة ؟

قال : ومن حمامة يا أبا يزيد ؟

قال : قد أخبرتك ، ثم قام فمضى ، فأرسل معاوية إلى النسابة ، فدعاه ، فقال: من حمامة ؟

قال: ولي الأمان !

قال : نعم .

قال : حمامة جدتك أُم أبي سفيان ، كانت بغياً في الجاهلية صاحبة راية .

فقال معاوية لجلسائه : قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا .(١)

وقال الأصمعي: انّ عقيل عندما التحق بمعاوية وذلك في حياة أمير المؤمنين قال معاوية لأهل الشام : هذا أبو زيد لولا علمه اني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه!

فقال عقيل: أخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي أسأل الله خاتمة خير .

وقال معاوية يوماً لأهل الشام: ايها الناس، انّ هذا الشخص أبو لهب .

فقال عقيل: يا أهل الشام، انّ عمّة هذا الرجل (معاوية) حمالة الحطب.

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ١٢٤ .

(ويعني بها أُم جميل زوجة أبو لهب).[١]

وعن أبي إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعقيل بن أبي طالب: يا أبا يزيد، إني أحبك حبّين حبّاً لقرابتك وحبّاً لما كنت أعلم من حبّ عمي إياك.[٢]

ارسال جعدة بن هبيرة إلى خراسان

وفي سنة ٣٧ هـ بعث علي عليه السلام جعدة بن هبيرة[٣] فيما قيل إلى خراسان، فقد قال الشعبي: بعث علي بعدما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان فانتهى إلى «أبرشهر» وقد كفروا وامتنعوا، فقدم على علي فبعث خليد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه وصالحه أهل مرو وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان فبعث بهما إلى علي فعرض عليهما الاسلام وأن يزوجهما، قالتا: زوجنا ابنيك، فأبى، فقال له بعض الدهاقين: ادفعهما إليّ

(١) عيون الأخبار ٢: ١٩٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٤: ٤٤.

وفي حديث ابن عباس، قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحبّ عقيلاً؟ قال: إي والله إني لأحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي. أمالي الصدوق: ١٩١.

(٣) جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي القرشي، تزوج هبيرة بن أبي وهب بأُم هانىء بنت أبي طالب فولدت أم هانىء ثلاثة بنين: جعدة وهانىء ويوسف. وقال الزبير بن بكار: أربعة بنين أحدهم جعدة، وقد تولى جعدة على خراسان لعلي بن أبي طالب. المجموع، محيى الدين النووي ١٨: ١٥٦.

فانّه كرامة تكرمني بها، فدفعهما إليه، فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنية الذهب ثم رجعتا إلى خراسان.[١]

ابن عباس والخوارج

وبعث علي ابن عباس إليهم فقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فخرج إليهم حتى أتاهم فأقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم فقال: ما نقمتم من الحكمين وقد قال الله عزّ وجل: ﴿**إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما**﴾ فكيف بأُمة محمد ﷺ، فقالت الخوارج: قلنا أما ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والاصلاح له فهو إليهم كما أمر به وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه حكم في الزاني مائة جلدة وفي السارق بقطع يده فليس للعباد أن ينظروا في هذا.

قال ابن عباس: فإن الله عزّ وجل يقول: ﴿**يحكم به ذوا عدل منكم**﴾[٢]، فقالوا له: أو تجعل الحكم في الصيد والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين.

وقالت الخوارج: قلنا له فهذه الآية بيننا وبينك، أعدل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا فإن كان عدلاً فلسنا بعدول ونحن أهل حربه، وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد أمضى الله عزّ وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزّ وجل فأبوه ثم كتبتم

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤٦.

(٢) المائدة: ٩٥.

بينكم وبينه كتاباً وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة وقد قطع عزّ وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية.

وبعث علي زياد بن النضر إليهم فقال: انظر بأي رؤوسهم هم أشدّ إطاقة فنظر فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس، فخرج علي في الناس حتى دخل إليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فتوضأ فيه وصلّى ركعتين وأمره على أصبهان والري ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال: انته عن كلامهم ألم أنهك رحمك الله ثم تكلم فحمد الله عزّ وجل وأثنى عليه ثم قال: اللهمَّ إن هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفلح يوم القيامة ومن نطق فيه وأوعث فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً.

ثم قال لهم: مَن زعيمكم؟

قالوا: ابن الكواء.

قال علي عليه السلام: فما أخرجكم علينا؟

قالوا: حكومتكم يوم صفين.

قال: أنشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال امضوا على حقّكم وصدقكم فانما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة، فرددتم على رأيي وقلتم: لا، بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي، فلما أبيتم إلّا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما

أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء .

قالوا له : فخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء .

فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انّما يتكلم به الرجال .

قالوا : فخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟

قال : ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله عزّ وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأُمة، أدخلوا مصركم رحمكم الله، فدخلوا من عند آخرهم .

قال أبو مخنف : وأما الخوارج فيقولون : قلنا : صدقت قد كنا كما ذكرت وفعلنا ما وصفت ولكن ذلك كان منا كفراً فقد تبنا إلى الله عزّ وجل منه، فتب كما تبنا نبايعك، وإلا فنحن مخالفون، فبايعنا علي، وقال : ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج إلى عدونا ولسنا نأخذ بقولهم وقد كذبوا .[1]

كتاب علي عليه السلام لعمرو بن العاص

قال النضر بن صالح : كنت مع شريح بن هانىء في غزوة سجستان ، فحدثني أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص ، قال له : قل لعمرو إن لقيته : إن علياً يقول لك : إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤٧ .

نقصه ، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده .

والله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحق ، فلم تتجاهل ؟ أبأن أوتيت طمعاً يسيراً فكنت لله ولأوليائه عدوّاً ، فكأن والله ما أوتيت قد زال عنك فلا تكن للخائنين خصيماً ، ولا للظالمين ظهيراً .

أما إني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك ، وسوف تتمنى أنك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة .

قال شريح : فأبلغته ذلك فتمعّر وجه عمرو وقال : متى كنت أقبل مشورة علي أو أنيب إلى أمره وأعتد برأيه ؟ !

فقلت : وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله مشورته ! لقد كان من هو خير منك ، أبو بكر وعمر ، يستشيرانه ويعملان برأيه .

فقال : إن مثلي لا يكلم مثلك .

فقلت : بأي أبويك ترغب عن كلامي ؟ بأبيك الوشيظ ، أم بأمك النابغة ؟

فقام من مكانه .(١)

حضور رجال قريش عند التحكيم

وبعث علي ابن عباس لكي يصلّي بالناس ، فيما بعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح ، قال : فكان

---

(١) وقعة صفين : ٥٤٢ .

معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدرى بما جاء به ولا بما رجع به ولا يسأله أهل الشام عن شيء وإذا جاء رسول علي جاءوا إلى ابن عباس فسألوه ما كتب به اليك أمير المؤمنين فان كتم ظنوا به الظنون فقالوا: ما نراه كتب إلاّ بكذا وكذا.

فقال ابن عباس: أما تعقلون! أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به ويرجع لا يعلم ما رجع به ولا يسمع لهم صياح ولا لغط وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون.

قال: وشهد جماعتهم تلك عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبدالرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة الثقفي، وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه ـ سعد بن أبي وقاص ـ على ماء لبني سليم بالبادية فقال: يا أبت قد بلغك ما كان بين الناس بصفين وقد حكم الناس أبا موسى الاشعري وعمرو بن العاص وقد شهدهم نفر من قريش فاشهدهم فانك صاحب رسول الله ﷺ وأحد الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأُمة فاحضر فانك أحق الناس بالخلافة.[1]

ولكن سعد لم يحضر وندم بعد ذلك وذهب من بيت المقدس إلى مكة لأجل العمرة.

المغيرة وتقييم التحكيم

قال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٩.

الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان ؟

قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك .

قال: فوالله إني لأظن سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما .

فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله أخبرني عما أسألك عنه كيف ترانا معشر المعتزلة فانا قد شككنا في الأمر الذي قد تبين لكم من هذا القتال ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأُمة قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار وأمام الفجار، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو .

فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً فيكم بقية المسلمين فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش .

فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد .(١)

تفاوض الحكمين

عندما التقى عمرو بأبي موسى قال له : ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً ؟

فقال ابو موسى: نعم أعلم ذلك .

فقال عمرو بن العاص: ألست تعلم انّ معاوية ولي عثمان وقد قال الله : ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾ ثم إن بيت معاوية في قريش ما قد

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤١ .

علمت وهو أخو أم حبيبة أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ وقد صحبه وهو أحد الصحابة ثم عرض له بالسلطان، فقال له: إن هو ولي الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط بمثلها.

فقال أبو موسى: اتق الله يا عمرو فإن هذا الأمر ليس على الشرف إنما هو لأهل الدين والفضل مع أني لو كنت أعطيته أفضل قريش شرفاً لأعطيته علي بن أبي طالب.

وأما قولك إنه ولي عثمان فإني لم أكن أوليه إياه لنسبه من عثمان وادع المهاجرين الأولين.

وأما تعريضك لي بالامرة والسلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته ولا كنت أرتشي في الله ولكنك إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطاب.

فقال عمرو بن العاص: إن كنت إنما تريد أن تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعرف فضله وصلاحه!!

فقال: إن ابنك لرجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة.[1]

قال عمرو بن العاص: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم. وكان ابن عمر فيه غفلة.

فقال له ابن الزبير: افطن وانتبه.

فقال ابن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، ثم قال: يا بن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقارعت بالسيوف وتشاركت بالرماح، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها.[2]

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٣١.

(٢) البداية والنهاية ٧: ٣١٤.

أنخداع أبو موسى

لما التقى الناس بـ«دومة جندل» قال ابن عباس للأشعري: احذر عمراً فإنما يريد أن يقدمك ويقول: أنت صاحب رسول الله ﷺ وأسن مني فكن متدبراً لكلامه فكانا إذا التقيا يقول عمرو: إنك صحبت رسول الله ﷺ قبلي وأنت أسن مني فتكلم ثم أتكلم، وإنما يريد عمرو أن يقدم أبا موسى في الكلام ليخلع علياً، فاجتمعا على أمرهما فأداره عمرو على معاوية فأبى، وقال أبو موسى: عبد الله بن عمر، فقال عمرو: أخبرني عن رأيك.

فقال أبو موسى: أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين فيختارون لأنفسهم من أحبوا!

قال عمرو: الرأي ما رأيت.

في دومة الجندل

فأقبلا على الناس وهم مجتمعون فقال له عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع، فتكلم أبو موسى فقال: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح به أمر هذه الأُمة.

فقال عمرو: صدق وبر ونعم الناظر للاسلام وأهله، فتكلم يا أبا موسى.

فأتاه ابن عباس فخلا به فقال: أنت في خدعة، ألم أقل لك لا تبدأه وتعقبه فإني أخشى أن يكون أعطاك أمراً خالياً ثم ينزع عنه على ملأ من الناس واجتماعهم.

فقال الأشعري: لا تخش ذلك، قد اجتمعنا واصطلحنا.

فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أن لا نبتز أمورها ولا نعصبها حتى يكون ذلك عن رضى منها وتشاور وقد اجتمعت أنا وصاحبي على أمر واحد، على خلع علي ومعاوية! وتستقبل هذه الأُمة هذا الأمر فيكون شورى بينهم يولون منهم من أحبوا عليهم وإني قد خلعت علياً ومعاوية فولوا أمركم من رأيتم، ثم تنحى.

فأقبل عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قد قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه، وإني أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه.

فقال سعد بن أبي وقاص: ويحك يا أبا موسى، ما أضعفك عن عمرو ومكائده؟

فقال أبو موسى: فما أصنع جامعني على أمر ثم نزع عنه!

فقال ابن عباس: لا ذنب لك يا أبا موسى، الذنب لغيرك للذي قدمك في هذا المقام.

فقال أبو موسى: رحمك الله غدرني فما أصنع؟

وقال أبو موسى لعمرو: إنما مثلك كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

فقال له عمرو: إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً!

فقال ابن عمر: إلى من صيّرت هذه الأُمة، إلى رجل لا يبالي ما صنع وآخر ضعيف.

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لو مات الأشعري من قبل هذا كان خيراً له.[1]

وحمل شريح بن هانىء على عمرو فقنعه بالسوط وحمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهم وكان شريح بعد ذلك يقول: ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط، ألا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهر ما أتى.

والتمس أهل الشام أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة.

قال ابن عباس: قبّح الله رأي أبي موسى، حذّرته وأمرته بالرأي فما عقل، فكان أبو موسى يقول: حذرني ابن عباس غدرة الفاسق ولكني اطمأننت إليه وظننت أنه لن يؤثر شيئاً على نصيحة الأُمة.

ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة.

ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء إلى علي عليه السلام وكان إذا صلّى الغداة يقنت فيقول: اللهمَّ العن معاوية وعمراً وأبا الأعور السلمي وحبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد، فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن علياً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً.

وزعم الواقدي ان اجتماع الحكمين كان في شعبان سنة ٣٨ من الهجرة.[2]

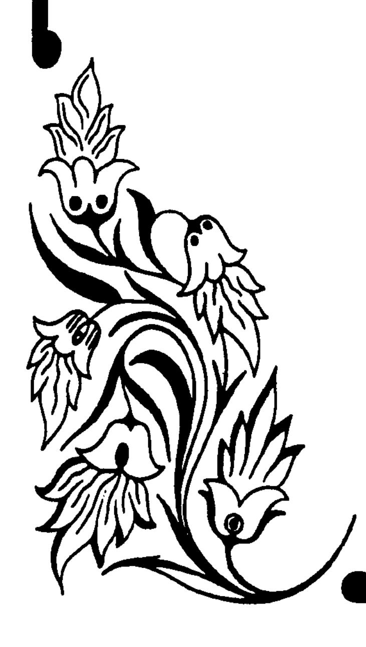
---

(١) الطبقات الكبرى ٤ : ٢٥٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٥٢.

الفصل العاشر

معركة النهروان



الخوارج تهدد بالحرب

قال أبو مخنف: أن علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه فقالا له: لا حكم الا لله.

فقال علي عليه السلام: لا حكم إلّا لله.

فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا.

فقال لهم علي: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا وقد قال الله عزّ وجل: ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**﴾.

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه.

فقال علي عليه السلام: ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف من الفعل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه.

فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزّ وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه!

فقال له علي عليه السلام : بؤساً لك ما أشقاك ، كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح .

قال : وددت أن قد كان ذلك .

فقال له علي : لو كنت محقاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا ، إن الشيطان قد استهواكم فاتقوا الله عزّ وجل إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها فخرجا من عنده يحكمان .(١)

الخوارج ينقضون العهد

عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أن الحرورية (الخوارج) لما خرجت وهم مع علي بن أبي طالب فقالوا : لا حكم إلا لله ، قال علي عليه السلام : كلمة حق أريد بها الباطل ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وصف لي ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه ـ من أبغض خلق الله إليه فيهم أسود إحدى يديه كأنها طبي شاة أو حلمة ثدي فلما قتلهم علي قال : انظروا ، فنظروا فلم يجدوا شيئاً ، فقال : ارجعوا فوالله ما كذبت مرتين أو ثلاثاً ثم وجدوه في خربة فاتوا به حتى وضعوه بين يديه .

قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم .(٢)

واجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة ، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٥٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٣٣٤ .

ـ وكان من رؤوسهم ـ فعرضوا عليه الامارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت وتواطأوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ـ ممن هو على رأيهم ومذهبهم، من أهل البصرة وغيرها ـ فيوافوهم إليها. ويكون اجتماعهم عليها.

فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعوها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى.[١]

خواص علي عليه السلام يبايعونه للمرّة الثانية

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له: بايع على كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر.

قال له علي عليه السلام: ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكونا على شيء من الحق فبايعه فنظر إليه علي وقال: أما والله لكأني

(١) البداية والنهاية ٧: ٣١٦ ـ ٣١٧.

بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة.(١)

خوارج البصرة

وأما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي فلحقهم بالجسر الأكبر، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل وأدلج مسعر بأصحابه وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر.(٢)

خطبة علي عليه السلام بعد حادثة التحكيم

قام أمير المؤمنين في الكوفة بعد حادثة التحكيم فخطب فقال:

الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، أما بعد: فانّ المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر ولكن أبيتم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٦.

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنّة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، استعدوا وتأهبوا للسير إلى الشام وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين. ثم نزل.[١]

كتاب علي عليه السلام إلى الخوارج

وكتب إلى الخوارج بالنهروان:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس.

أما بعد: فان هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنّة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرىء الله ورسوله منهما والمؤمنون فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فانّا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام.

وكتبوا إليه:

أما بعد: فانك لم تغضب لربك إنما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين.[٢]

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٣٣٨.

اجتماع جيش علي عليه السلام في النخيلة

فلما قرأ كتابهم أيس منهم فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم.[١]

فعن جبر بن نوف الهمداني: ان علياً لما نزل بالنخيلة وأيس من الخوارج قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فانه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هلكة الا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفىء نور الله، قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الاسلام، والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا وتهيؤا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتب علي عليه السلام إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأخنس بن قيس من بني سعد بن بكر:

أما بعد؛ فانا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب فاشخص بالناس حتى يأتيك رسولي وأقم حتى يـأتيك أمري والسلام.

فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس وأمرهم بالشخوص مع الأحنف بن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦.

قيس فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل فاستقلهم عبد الله بن عباس فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد ؛ يا أهل البصرة فانه جاءني أمر أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم، فأمرتكم بالنفير إليه مع الأحنف بن قيس ولم يشخص معه منكم إلّا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألفاً سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم، ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلاً، فإني موقع بكل من وجدته متخلفاً عن مكتبه عاصياً لامامه وقد أمرت أبا الاسود الدؤلي بحشركم فلا يلم رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسه .

فخرج جارية فعسكر، وخرج أبو الأسود فحشر الناس فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة ثم أقبل حتى وافاه علي بالنحيلة، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة ورؤوس الاسباع ورؤوس القبائل ووجوه الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق وصحابتي على جهاد عدوي المحلين بكم أضرب المدبر وأرجو تمام طاعة المقبل وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم فلم يأتني منهم إلّا ثلاثة آلاف ومائتا رجل فأعينوني بمناصحة جلية خلية من الغش، إنكم مخرجنا إلى صفين، بل استجمعوا بأجمعكم وإني أسألكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ثم يرفع ذلك إلينا .

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة، وودّاً ونصيحة، أنا أوّل الناس جاء بما سألت وبما طلبت . وقام معقل بن قيس الرياحي

فقال له نحواً من ذلك، وقام عدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك.

ثم إن الرؤوس كتبوا من فيهم ثم رفعوهم إليه وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم وألا يتخلف منهم عنهم أحد فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم وقالوا: يا أمير المؤمنين، أما من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممن قد بلغ الحلم وأطاق القتال فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوة والجلد وأمرناهم بالشخوص معنا ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا وأشياء مما يصلحنا.

وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً، وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل.

قال أبو الصلت التيمي: إن علياً كتب إلى سعد بن مسعود الثقفي وهو عامله على المدائن:

أما بعد؛ فاني قد بعثت إليك زياد بن خصفة فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة وعجل ذلك إن شاء الله ولا قوة إلّا بالله.

قال: وبلغ علياً أن الناس يقولون لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحلين.

فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فانّه قد بلغني قولكم لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم فدعوا ذكرهم

وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً ويتخذوا عباد الله خولاً.

فتنادى الناس من كل جانب: سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.

قال: فقام إليه صيفي بن فسيل الشيباني، فقال: يا أمير المؤمنين نحن حزبك وأنصارك نعادي من عاديت ونشايع من أناب إلى طاعتك، فسر بنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا فانك إن شاء الله لن تؤتى من قلّة عدد ولا ضعف نيّة أتباع.

مقتل عبدالله بن خبّاب

عن أبي الأحوص قال: لما كان يوم النهروان كنا مع علي بن أبي طالب دون النهر فجاءت الحرورية حتى نزلوا من ورائه، قال علي عليه السلام: لا تحركوهم حتى يحدثوا حدثاً، فانطلقوا إلى عبد الله بن خباب[1] فقالوا: حدثنا حديثاً حدثك أبوك سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: حدثني أبي انّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الساعي فقدموه إلى النهر فذبحوه كما تذبح الشاة فأتى علي فأخبر، فقال: الله أكبر نادوهم ان اخرجوا إلينا قاتل

(١) عبد الله بن خبّاب بن الأرت، أدرك النبي صلى الله عليه وآله له رؤية ولأبيه صحبة روى عن أبيه وعن أُبي بن كعب. قال زكريا بن العلاء: أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خباب، وقتل عبد الله بن خباب قتله الخوارج، كان طائفة منهم أقبلوا من البصرة الى اخوانهم من أهل الكوفة فلقوا عبد الله بن خباب ومعه امرأته فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فأثنى عليهم خيراً، فذبحوه فسال دمه في الماء وقتلوا المرأة وهي حامل، فقالت: أنا امرأة ألا تتقون الله، فبقروا بطنها وذلك سنة سبع وثلاثين، وكان من سادات المسلمين. أسد الغابة ٣: ١٥٠.

عبد الله بن خباب فقالوا كلّنا قتله ـ ثلاث مرات ـ.

فقال علي عليه السلام لأصحابه: دونكم القوم فما لبث ان قتلهم علي وأصحابه.[1]

أمّا ابن الأثير فقد نقل في تاريخه:

وكان الخوارج الذين قدموا من البصرة مع مسعر بن فدكي استعرضوا الناس في طريقهم فإذا هم برجل يوسق بامرأته على حمار له. فذعروه وانتهروه ورعبوه وقالوا له: من أنت؟

فقال: رجل مؤمن.

قالوا: فما اسمك.

قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكفوا عنه ثم قالوا له: ما تقول في علي؟

قال: أقول: إنه أمير المؤمنين وإمام المسلمين، وقد حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل، فيصبح مؤمناً ويمشي كافراً، ويمشي مؤمناً ويصبح كافراً.

فقالوا له: والله لنقتلنك قتلة ما قتل بها أحد! وأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت مواقير[2] فسقطت رطبة منها فقذفها بعضهم في فيه، فقال له رجل منهم: أبغير حلها ولا ثمن لها؟!

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٦.

(٢) أي كثير الحمل من قولهم: أوقرت النخلة: كثر حملها، فهي موقرة ـ بفتح القاف وكسرها ـ.

فألقاها من فيه واخترط سفيه وجعل يهزه فمر به خنزير لذمي فقتله بسيفه، فقال له بعض أصحابه: إن هذا لمن الفساد في الأرض! فطلب صاحب الخنزير حتى أرضاه!

فقال ابن خباب: لئن كنتم صادقين فيما أرى وأسمع إني لآمن من شركم. فجاؤا به فأضجعوه على شفير نهر وألقوه على الخنزير المقتول فذبحوه عليه فصار دمه مثل الشراك قد امذ[1] في الماء، وأخذوا امرأته فبقروا بطنها وهي تقول: أما تتقون الله؟! وقتلوا ثلاث نسوة كن معها! منهن أُم سنان الصيداوية من طي.[2]

الحركة إلى النهروان

فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتمه، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم فخرج القوم إليه فقتلوه وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلمه بمثل ذلك كان الناس يرون أن الأشعث يرى رأيهم لأنه كان يقول يوم صفين: أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله، فلما أمر علي بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم فأجمع على ذلك

---

(١) قال في مادة (ذمقر) من لسان العرب: اذمقر اللبن وامذقر: تقطع.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤١.

فنادى بالرحيل، وخرج فعبر الجسر فصلّى ركعتين بالقنطرة، ثم نزل دير عبد الرحمن ثم دير أبي موسى ثم أخذ على «قرية شاهي» ثم على «دباها» ثم على شاطيء الفرات.[1]

اقتراح المنجّم

فلقيه في مسيره ذلك منجم أشار عليه بسير وقت من النهار وقال له: إن سرت في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرّاً شديداً.

فخالفه وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه، فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون سار في الساعة التى أمره بها المنجم فظفر.[2]

واسم المنجم هو مسافر بن عفيف الأزدي.[3]

ولما أراد علي المسير إلى أهل النهر من الأنبار قدم قيس بن سعد بن عبادة وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره ثم جاء مقبلاً إليهم ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلتهم، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم![4]

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦١.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٦١.

عن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب قال: فانتهينا إلى معسكرهم فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن وفيهم ذوو الثفنات وأصحاب البرانس... ـ إلى أن قال: ـ ثم قام علي فأمسكت له بالركاب ثم عدلت إلى درعي فلبستها والى فرسي فركبته وأخذت رمحي وسرت معه حتى إذا نظر إلى رابية، قال: يا جندب ترى تلك الرابية.

قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال رسول الله ﷺ: أخبرني أنهم يقتلون عندها.(١)

وقال رافع بن سلمة: كنت مع علي يوم النهروان فقال: أما والله لولا أن تدعوا العمل لنبأتكم بما قضى الله على لسان نبيّه ﷺ لمن قاتل هؤلاء القوم مبصرا لضلالتهم عارفاً للنور الذي نحن عليه.(٢)

وعن سلمان قال: قال علي عليه السلام: لقد علم ذو العلم من آل محمد ﷺ أن أصحاب الأسود ذي الثدية ملعونون على لسان النبي الأمي ﷺ وقد خاب من افترى.(٣)

وروى عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ إنه سيكون من بعدي من أُمتي يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه هم شرار الخلق والخليقة.(٤)

---

(١) تاريخ بغداد ٧: ٢٥٧.

(٢) تاريخ بغداد ٨: ٤١٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ٢٨٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٧: ٢٩.

خطاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل النهروان

قال علي بن صالح : لما استوى الصفان بالنهروان تقدم علي بن أبي طالب عليه السلام بين الصفين ثم قال :

أمّا بعد ، أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاج ، وصدف بها عن الحق الهوى والزيغ ، إني نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأكناف هذا النهر ، أو بملطاة من هذا الغائط[1] بلا بينة من ربكم ولا سلي ان مبين ، ألم أنهكم عن هذه الحكومة وأحذركموها وأعلمكم أن طلب القوم لها وهن منهم ومكيدة فخالفتم أمري وجانبتم الحزم فعصيتموني حتى أقررت بأن حكمت وأخذت على الحكمين فاستوثقت ، وأمرتهما أن يحييا ما أحياه القرآن ، ويميتا ما أمات القرآن فخالفا أمري وعملا بالهوى ونحن على الأنز الأول ، فأين تذهبون وأين يتاه بكم ؟

فقال خطيبهم : أما بعد يا علي ، فإنّا حين حكمنا كان ذلك كفراً منا ، فان تبت كاتبنا فنحن معك ومنك ، وان أبيت فنحن منابذوك على السواء إن الله لا يحب الخائنين .

فقال علي عليه السلام : أصابكم حاصب[2] فلا يبقى منكم وابر ، أبعد إيماني بالله وجهادي في سبيل الله وهجرتي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أقر بالكفر ؟ لقد ظللت إذا وما أنا من المهتدين ، ولكن منيت بمعشر أخفاء الهام ، سفهاء الأحلام ، فالله المستعان . ثم حمل عليهم فهزمهم .[3]

---

(١) بملاط من هذا الغائط : الملاط - بكسر الميم - : الطين الذي يطلى به الحائط .

(٢) قال في مادة (حصب) من النهاية : وفي حديث علي (انّه) قال للخوارج : (أصابكم حاصب) ؛ أي عذاب من الله ، وأصله : رميتم بالحصباء من السماء .

(٣) الموفقيات ٣٢٥ ح ١٨١ .

ونقل ابن الأثير عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال للخوارج:

فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين أن تضعوا اسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم وتسفكون دماءهم ان هذا لهو الخسران المبين، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام.[1]

تنبّأ الرسول صلى الله عليه وآله

قال خليد بن عبدالله ـ من التابعين، وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام في معركة النهروان ـ: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول يوم النهروان: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين»[2].

وعن زيد بن وهب، قال: كنت مع علي بن أبي طالب يوم النهروان، فنظر إليّ وقنطرة فقال: هذا بيت بوران بنت كسرى وهذه قنطرة الديزجان، ثم قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله: أني أسير هذا المسير، وأنزل هذا المنزل.[3]

وذكر هذا المعنى ابن الأثير في تأريخه المعروف بالكامل، ثم قال في آخر الفصل: روى جماعة ان علياً يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج: إن قوماً يخرجون، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مخدج اليد، سمعوا ذلك منه مراراً.

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٥.

(٣) الكامل في التاريخ ٨: ٣٤٠.

فلما خرج أهل النهروان وسار إليهم علي وفرغ ، أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج ، قال بعضهم : ما نجده ، حتى قال بعضهم : ما هو فيهم ، وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت .[١]

خبر عجيب

لما أخبره الرسول أن الخوارج قد عبروا النهر قال المسعودي : وأخبر الرسول – وكان من يهود السواد – أن القوم قد عبروا نهر طبرستان – وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان ، بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان – فقال علي عليه السلام : والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ! !

ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم هذا النهر ، وعبورهم هذا الجسر ، وهو يأبى ذلك ويحلف أنهم لن يعبروه ، وأن مصارعهم دونه ، ثم قال : سيروا إلى القوم ، فوالله لا يفلت منهم عشرة ، ولا يقتل منكم عشرة .

فسار عليه السلام فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على حسب ما قال لأصحابه ، فلما أشرف عليهم قال : الله أكبر ، صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، فتصاف القوم ، ووقف عليهم بنفسه فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ، فقيل له : قد رمونا .

فقال : كفوا ، فكرروا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكف ، حتى أتي برجل من أصحابه قتيل متشحط بدمه ، فقال : الله أكبر الآن حل قتالهم ، احملوا على القوم .[٢]

(١) مناقب أهل البيت عليهم السلام : ٢٠٩ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ٤٠٥ .

راية الأمان

ورفع علي راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري، فناداهم أبو أيوب: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم.

فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ما أدري على أي شيء نقاتل علياً لا أرى إلّا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه وانصرف في خمسمائة فارس.(١)

خبر عن مستقبل الخوارج

عن حبة العرني قال: لما فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حروري أبداً.

فقال علي عليه السلام: مه، لا تقل هذا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم لفي اصلاب الرجال وارحام النساء ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبداً.(٢)

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج: أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً. وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنّة.(٣)

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٤.

(٢) تاريخ بغداد ٨: ٢٦٩.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٠٦ خ ٥٨.

الخوارج بعد النهروان

الخوارج، وبعد هزيمتهم في معركة النهروان، انتشروا في الأطراف يرعبون الناس ويسرقون أموالهم ويعرضون حياتهم إلى الخطر، ومن جملة هؤلاء الخوارج:

الخريت بن راشد: كان الخريت بن راشد أحد بني ناجية، قد شهد مع علي عليه السلام صفين فجاء إليه عليه السلام بعد انقضاء صفين وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتى قام بين يديه فقال: لا والله لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك وإني غداً لمفارق لك.

فقال له علي عليه السلام: ثكلتك أُمك إذا تنقض عهدك وتعصي ربّك ولا تضر إلا نفسك أخبرني لم تفعل ذلك؟

قال: لأنك حكمت في الكتاب وضعفت عن الحق، إذ جد الجد وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك راد وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين!

فقال له علي عليه السلام: ويحك هلم إلي أدارسك وأناظرك في السنن وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكر، وتبصر ما أنت الآن عنه غافل وبه جاهل.

فقال الخريت: فأنا غاد عليك غداً.

فقال عليه السلام: أغد إليّ ولا يستهوينك الشيطان ولا يقتحمن بك رأي السوء ولا يستخفنك للجهلات الذين لا يعلمون فو الله إن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد.

فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله.

فبعث إليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي لقتاله هو ومن انضم إليه فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس، وبعد دعوته إلى التوبة وإبائه قبولها شدت عليه فقتل وقتل معه كثير من قومه وسبي من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان فكانوا خمسمائة أسير.

الأشرس بن عوف الشيباني: وهو أول من خرج على علي عليه السلام بعد مقتل أهل النهروان، خرج بالدسكرة[1] في مأتين ثم صار إلى الانبار، فوجه إليه على الأبرش بن حسان في ثلاثمائة، فواقعه فقتل أشرس في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين.

وكان الأشرس لما توجه يريد النهر لقيه علي بن الحرث بن يزيد بن رويم ليمنعه فطعنه وقال:

خذها من ابن عم لك مفارق   لولا نصرته الحق كان بك ضنينا

هلال بن عُلَّفة: ثم خرج هلال بن علقمة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد، وقال بعضهم: إن الرئاسة كانت لمجالد، ومعه هلال، فأتى ماسبذان يدعو إلى مأربه رأيه ويقاتل من قاتله، فوجه إليه علي عليه السلام معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين، وكان مقتلهم في جمادي الأُولى سنة ثمان وثلاثين.

الأشهب بن بشير القرني: وقد خرج الأشهب في جمادي الآخرة سنة ثمان

---

(١) الدسكرة في اللغة: الأرض المستوية، وهي قرية كبيرة بنواحي نهر ملك كمدينة، وأيضا قرية في طريق خراسان قريبة من شهرابان وهي دسكرة الملك، كان هرمز بن سابور يكثر المقام بها فسميت بها، وأيضاً قرية بخوزستان. مراصد الاطلاع.

وثلاثين في مائة وثمانين، فأتى المعركة التي أصيب ابن علقمة وأصحابه فيها فصلّى عليه، وأجن من قدر علبه منهم فوجه إليه علي عليه السلام جارية بن قدامة التميمي، ويقال: حجر بن عدي الكندي فأقبل إليهم الأشهب فالتقوا بجرجرايا من أرض جوخا، فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين.

سعيد بن قفل التيمي: وقد خرج سعيد في رجب بالبندنيجين، وكان معه مائتا رجل، فأقبل حتى أتى قنطرة الدرزيجان وهي على فرسخين من المدائن، فكتب علي عليه السلام إلى سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد بن مسعود ـ وكان عامله على المدائن ـ في أمره، فخرج إلى ابن قفل وأصحابه فواقعهم فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين.

أبو مريم السعدي: عندما رجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة من النهروان وبها ثلاثة الاف من الخوارج، وألف في عسكره ممن فارق ابن وهب وجاء إلى راية أبي أيوب الأنصاري، ومن كان بالنخيلة ممن خرج يريد أهل الشام قبل النهروان، فلما قاتل علي عليه السلام أهل النهروان أقاموا ولم يقاتلوا أهل النهر معه، وقوم بالكوفة لا يرون قتاله، ولا القتال معه. فأتى أبو مريم بعد وقعة النهروان شهر زور في مائتين، جلهم موال، فأقام بشهر زور أشهراً يحض أصحابه ويذكرهم أمر النهروان واستجاب له أيضاً قوم من غير أصحابه، فقدم المدائن في أربعمائة، ثم أتى الكوفة، فأقام على خمسة فراسخ منها، فأرسل إليه علي عليه السلام يدعوه إلى بيعته وأن يدخل المصر، فيكون فيه مع من لا يقاتله ولا يقاتل معه، فقال: ما بيني وبينك إلاّ الحرب. فبعث إليه علي شريح بن هانيء في سبعمائة فدعاه إلى بيعة علي عليه السلام أو دخول المصر، لا يقاتله ولا يقاتل معه.

فقال أبو مريم: يا أعداء الله أنحن نبايع علياً ونقيم بين أظهركم يجور علينا

إمامكم وقد قتلتم عبدالله بن وهب وزيد بن حصين ، وحرقوص بن زهير ، وإخواننا الصالحين ، ثم تنادوا بالتحكيم وحملوا على شريح وأصحابه فانكشفوا ، وبقي شريح في مأتين ، فانحاز إلى بعض القرى وتراجع إليه بعض أصحابه فصار في خمسمائة ، ودخل الباقون الكوفة ، فأرجفوا بقتل شريح ، فخرج علي عليه السلام بنفسه وقدم أمامه جارية بن قدامة في خمسمائة ثم أتبعه في ألفين .

فمضى جارية بن قدامة حتى صار بإزاء الخوارج ، فقال لأبي مريم : ويحك أرضيت لنفسك أن تقتل مع هؤلاء العبيد ؟ والله لئن وجدوا ألم الحديد ليسلمنك .

فقال : **﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾** ، ولحقهم علي عليه السلام فدعاهم إلى بيعته فأبوها وحملوا على علي عليه السلام فجرحوا عدة من أصحابه ثم قتلوا إلّا خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم علي عليه السلام .

وكان في الخوارج أربعون جريحاً ، فأمر علي عليه السلام بإدخالهم الكوفة ومداواتهم ثم قال لهم: الحقوا بأي البلاد شئتم .

وكان مقتل أبي مريم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين .

قال أبو الحسن المدائني : كان أبو مريم في أربعمائة من الموالي والعجم ليس فيهم من العرب إلّا خمسة من بني سعد ، وأبو مريم سادسهم .[1]

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٦ ـ ٣٧.

الفصل الحادي عشر

المؤامرة في مصر



السنة الثامنة والثلاثون للهجرة

بعد أحداث التحكيم في «دومة الجندل» سيطر أتباع عثمان على أطراف مصر، فأرسل لهم محمد بن أبي بكر (والي أمير المؤمنين على مصر) ابن مضاهم الكلبي فقتله أهل خربتا.

وخرج معاوية بن حُديج الكندي[1] ثم السكوني، فدعا إلى الطلب بدم عثمان فأجابه ناس آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبى بكر.

فبلغ علياً عليه السلام وثوب أهل مصر على محمد بن أبي بكر واعتمادهم إياه، فقال: ما لمصر الا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه عنها ـ يعني قيساً ـ أو مالك بن الحارث ـ يعني الأشتر ـ.

قال: وكان علي حين انصرف من صفين ردّ الأشتر على عمله بالجزيرة وقد كان قال لقيس بن سعد: أقم معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، فلما انقضى أمر الحكومة كتب علي إلى مالك بن الحارث الأشتر وهو يومئذ بنصيبين: أما بعد فانك ممن استظهرته على إقامة الدين وأقمع به نخوة الاثيم وأشد به الثغر المخوف وكنت وليت محمد بن أبى بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج

---

(١) هكذا ضبطه اسمه الطبري في تاريخه، وكذلك ابن الأثير في الكامل (٣: ٣٥٩)، ولكن في اسد الغابة (٤: ٣٨٣) جاء اسمه (معاوية بن خُديج).

وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء فاقدم عليَّ للننظر في ذلك فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام.

فأقبل مالك إلى علي عليه السلام حتى دخل عليه فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها وقال: ليس لها غيرك اخرج رحمك الله فاني إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك فاخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلّا الشدة.

ارسال مالك

قال الطبري: فخرج الأشتر من عند علي عليه السلام فأتى رحله فتهيأ للخروج إلى مصر وأتت معاوية عيونه فأخبروه بولاية علي عليه السلام الأشتر فعظم ذلك عليه وقد كان طمع في مصر فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر فبعث معاوية إلى الجايستار رجل من أهل الخراج فقال له: ان الأشتر قد ولي مصر فان أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت فاحتل له بما قدرت عليه.

فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار فقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الأشتر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إياه، فلما شربها مات.

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: ان علياً وجّه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه.

قال: فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر فقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فانّه كانت لعلي بن أبى طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين ـ يعنى عمار بن ياسر ـ وقطعت الأُخرى اليوم ـ يعني الأشتر ـ.

قال أبو مخنف: ولما مات الأشتر وجدوا في ثقله رسالة علي عليه السلام إلى أهل مصر، وفيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أُمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصى في الأرض وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر فلا حق يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه.

سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فقد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعادي حذار الدوائر أشدّ على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله لا تأبى الضريبة ولا كليل الحد فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا وان أمركم أن تنفروا فانفروا فانه لا يقدم ولا يحجم الا بأمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم الله بالهدى وثبتكم على اليقين والسلام.[1]

(١) تاريخ الطبري ٤: ٧٠.

الحزن على مالك

فلما بلغ علياً عليه السلام شهادة الأشتر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ثم قال: لله در مالك! وما مالك![١]

قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال علي يتلهف ويتأسف، حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً.

قال إبراهيم: فلما بلغ علياً عليه السلام شهادة الأشتر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، اللهمَّ إني أحتسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر.

ثم قال: رحم الله مالكاً، فلقد وفى بعهده، وقضى نحبه، ولقى ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فإنها من أعظم المصيبات.

وعن المدائني، عن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر، فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه، ثم قال: لله در مالك! وما مالك! لو كان من جبل لكان فندا[٢]، ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدن موتك عالماً، وليفرحن عالماً[٣]، على مثل مالك فلتبك البواكي! وهل موجود كمالك![٤]

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٥٣.

(٢) الفند: الجبل العظيم.

(٣) يقصد أمير المؤمنين عليه السلام هنا العراق والشام، فقد أحزن رحيل مالك أهل العراق، وأسرَّ أهل الشام.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ٧٧.

رسالة معاوية إلى أتباعه في مصر

بعد أحداث مصر وما جرى فيها ومقتل مالك قال عمرو بن العاص لمعاوية:

اعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرك وأمرهم يصير إلّا إلى الحرب .

قال : فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وإلى معاوية ابن حديج الكندي ، وكانا قد خالفا علياً :

أما بعد ، فإن الله عزّ وجل قد ابتعثكما لأمر عظيم ، أعظم به أجركما ورفع درجتكما ومرتبتكما في المسلمين . طلبتما بدم الخليفة المظلوم ، وغضبتما لله ، إذ ترك حكم الكتاب ، وجاهدتما أهل الظلم والعدوان ، فأبشرا برضوان الله ، وعاجل نصرة أولياء الله ، والمواساة لكما في دار الدنيا وسلطاننا ، حتى ينتهي ذلك إلى ما يرضيكما ، ويؤدي به حقّكما . فالزما أمركما ، وجاهدا عدوكما ، وادعوا المدبرين منكما إلى هداكما فكأن الجيش قد أظل عليكما ، فاندفع كل ما تكرهان ، ودام كل ما تهويان ، والسلام عليكما ورحمة الله .[1]

جواب كتاب معاوية

بعث معاوية بالكتاب مع مولى له يقال له سبيع ، فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر ، ومحمد بن أبي بكر يومئذ أميرها قد ناصبه هؤلاء النفر الحرب ، وهم هائبون الاقدام عليه ، فدفع الكتاب إلى مسلمة بن مخلد ، فقرأه فقال : الق به

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦ : ٨١ .

معاوية بن حديج ، ثم القني به حتى أجيب عني وعنه .

فانطلق الرسول بكتاب معاوية فأقرأه إياه ، ثم قال له : إن مسلمة قد أمرني أن أرد الكتاب إليه لكي يجيب عنك وعنه .

قال : قل له فليفعل ، فأتى مسلمة بالكتاب فكتب الجواب عنه وعن معاوية بن حديج :

أما بعد ، فإن هذا الأمر الذي قد ندبنا له أنفسنا ، وابتغينا الله به على عدونا أمر نرجو به ثواب ربنا ، والنصر على من خالفنا ، وتعجيل النقمة على من سعى على إمامنا ، وطأطأ الركض في مهادنا ، ونحن بهذه الارض قد نفينا من كان بها من أهل البغي ، وأنهضنا من كان بها من أهل القسط والعدل . وقد ذكرت موازرتك في سلطانك وذات يدك ، وبالله إنه لا من أجل مال نهضنا ، ولا إياه أردنا ، فإن يجمع الله لنا ما نريد ونطلب ، أو يرينا ما تمنينا ، فإن الدنيا والآخرة لله ربِّ العالمين ، وقد يثوبهما الله جميعاً عالماً من خلقة ، كما قال في كتابه : ﴿**فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين**﴾ .

عجل لنا بخيلك ورجلك ، فإن عدونا قد كان علينا جريئاً ، وكنا فيهم قليلاً ، وقد أصبحوا لنا هائبين ، وأصبحنا لهم منابذين ، فإن يأتنا مدد من قبلك بفتح الله عليك ، ولا قوة إلا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال : فجاء هذا الكتاب معاوية وهو يومئذ بفلسطين ، فدعا نفر من قريش وغيرهم ، وأقرأهم الكتاب ، وقال لهم : ماذا ترون ؟

قالوا : نرى أن تبعث إليهم جيشاً من قبلك فأنت مفتتحها ، أن شاء الله بإذن الله .

ارسال عمرو بن العاص إلى مصر

بعد ذلك قال معاوية : فتجهّز إليها يا أبا عبد الله فبعثه في ستة آلاف . فخرج يسير ، وخرج معه معاوية يودعه.

فسار عمرو في الجيش ، حتى دنا من مصر ، فاجتمعت إليه العثمانية ، فأقام وكتب إلى محمد بن أبي بكر :

أما بعد ، فتنح عني بدمك يا بن أبي بكر ، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، وإن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، وهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان ، فاخرج منها فإني لك من الناصحين ، والسلام .

قال : وبعث عمرو إلى محمد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه ، فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما ، وبعث بهما إلى علي عليه السلام ، وكتب إليه : أما بعد ، يا أمير المؤمنين ، فإن العاصي بن العاص ، قد نزل أداني مصر واجتمع إليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم ، وهو في جيش جرار ، وقد رأيت ممن قبلي بعض الفشل ، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامددني بالأموال والرجال ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثمّ انّ محمد بن أبي بكر أرسل ألفي فارس بقيادة «كنانة بن بشير» لمواجهة جيش عمرو ، فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج الكندي ، فأتاه في مثل الدهم[1] ، فلما رأى كنانة بن بشير ذلك الجيش ، نزل عن فرسه ، ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه ، وهو يقول : ﴿**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً**

(١) الدهم : العدد الكثير .

مؤجلاً﴾[١]، فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رضي الله عنه .

استشهاد محمد بن أبي بكر

قال المدائني : أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمد بن أبي بكر ، وقد تفرّق عنه أصحابه ، فخرج محمد متمهلاً ، فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة ، فآوى إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد ، حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق ، فسألهم : هل مرّ بهم أحد ينكرونه ؟

قالوا : لا .

قال أحدهم : إني دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل جالس .

قال ابن حديج : هو هو وربِّ الكعبة ، فانطلقوا يركضون ، حتى دخلوا على محمد ، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، فأقبلوا به نحو ا لفسطاط .

قال : ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص ، وكان في جنده ، فقال : لا والله لا يقتل أخي صبراً ، ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه ، فأرسل عمرو بن العاص : أن ائتني بمحمد .

فقال معاوية : أقتلتم كنانة بن بشر ، ابن عمي وأخلي عن محمد ! هيهات ! ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾[٢].

---

(١) آل عمران : ١٤٥ .

(٢) القمر : ٤٣ .

فقال محمد : اسقوني قطرة من الماء ، فقال له معاوية بن حديج : لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً ، فسقاه الله من الرحيق المختوم ، والله لأقتلنك يا بن أبي بكر وأنت ظمآن ، ويسقيك الله من الحميم والغسلين .

فقال له محمد : يا بن اليهودية النساجة ، ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان ، إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويظمىء أعداءه ، وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته ، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم .

فقال له معاوية بن حديج : أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار .

قال : إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله ، وأيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً ، كما جعلها الله على إبراهيم خليله ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك ، كما جعلها على نمرود وأوليائه ، وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية ، وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظى ، كلما خبت زادها الله عليكم سعيراً .

فقال له معاوية بن حديج : إني لا أقتلك ظلماً ، إنما أقتلك بعثمان بن عفان .

قال محمد : وما أنت وعثمان ! رجل عمل بالجور ، وبدل حكم الله والقرآن وقد قال الله عزّ وجل : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[1] ، **﴿فأولئك هم الظالمون﴾**[2] ، **﴿فأولئك هم الفاسقون﴾**[3] ، فنقمنا عليه أشياء عملها

---

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) المائدة : ٤٥ .

فأردنا أن يخلع من الخلافة علنا، فلم يفعل، فقتله من قتله من الناس.

فغضب معاوية بن حديج، فقدمه فضرب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار.(٤)

تمرّد وعصيان

ثم إن الحجاج بن غزية الأنصاري قدم على علي عليه السلام من مصر، وقدم عبد الرحمن بن شبيب الفزاري؛ فأما الفزاري فكان عينه بالشام، وإما الانصاري فكان مع محمد بن أبي بكر، فحدّثه الأنصاري بما رأى وعاين وبهلاك محمد وحدثه الفزاري أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر وحتى أذن بقتله على المنبر وقال: يا أمير المؤمنين قلما رأيت قوماً قط أسر ولا سروراً قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم هلاك محمد بن أبي بكر.

فقال علي عليه السلام: أما إن حزننا عليه على قدر سرور هم به لا بل يزيد أضعافاً.

وحزن علي عليه السلام على محمد بن أبي بكر حتى رؤي ذلك في وجهه وتبين فيه، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله وقال: ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجاً، ألا وان محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه.

---

(٣) المائدة: ٤٧.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ٨٦.

أما والله إن كان ما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن إني والله ما ألوم نفسي على التقصير وإني لمقاساة الحرب نجد خبير وإني لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم وأقوم فيكم بالرأي المصيب فأستصرخكم معلناً وأناديكم نداء المستغيث معرباً فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً حتى تصير بي الأُمور إلى عواقب المساءة فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر ولا ينقض بكم الأوتار.

دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نيّة في جهاد العدو ولا اكتساب الأجر ثم خرج إليَّ منكم جنيد متذانب كثيرة يساقون إلى الموت وهم ينظرون فأف لكم. ثم نزل.[1]

خطبة علي عليه السلام بعد مقتل محمد بن أبي بكر

وخطب علي عليه السلام بعد فتح مصر، وقتل محمد بن أبي بكر، فقال:

أما بعد، فإن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين، وأمينا على التنزيل، وشهيداً على هذه الأُمة، وأنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين، وفي شر دار، منيخون على حجارة خشن وحيات صم، وشوك مبثوث في البلاد، تشربون الماء الخبيث، وتأكلون الطعام الخبيث، تسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل. سبلكم خائفة، والأصنام فيكم منصوبة، ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون.

---

(١) الموفقيات: ٣٤٧ ح ٢٠٢.

فمن الله عزّ وجل عليكم بمحمد ، فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم ، فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنن ، وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دمائكم ، وصلاح ذات البين ، وأن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، وأن توفوا بالعهد ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وأن تعاطفوا وتباروا ، وتراحموا . ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتباغي والتقاذف ، وعن شرب الخمر وبخس المكيال ، ونقص الميزان . وتقدم إليكم فيما يتلى عليكم ألا تزنوا ولا تربوا ، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً ، وأن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، ولا تعثوا في الارض مفسدين ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، وكل خير يدني إلى الجنة ، ويباعد عن النار أمركم به ، وكل شر يدني إلى النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه فلما استكمل مدته ، وفاه الله إليه سعيداً حميداً ، فيا لها مصيبة خصت الأقربين ، وعمت المسلمين ! ما أصيبوا قبلها بمثلها ، ولن يعاينوا بعدها أختها .

فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وآله ، تنازع المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يلقى في روعى ، ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عني من بعده . فما راعني إلّا انثيال الناس على أبي بكر ، وإجفالهم[١] إليه ليبايعوه ، فأمسكت يدي ، ورأيت أني أحق بمقام محمد صلى الله عليه وآله في الناس ممن تولّى الأمر من بعده ، فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام ، يدعون إلى محق دين الله وملة محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً يكون المصاب بهما عليَّ أعظم من فوات ولاية أموركم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، وكما يتقشع السحاب ، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ،

(١) أجفل الناس وانجفوا ، أي ذهبوا مسرعين .

ونهضت في تلك الاحداث ، حتى زاغ الباطل وزهق ، وكانت كلمة الله هي العليا ، ولو كره الكافرون .

فتولى أبو بكر تلك الأُمور ، فيسر وسدد ، وقارب وأقتصد ، وصحبته مناصحاً ، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً ، وما طمعت ـ أن لو حدث به حادث وأنا حي أن يرد إلى الأمر الذي نازعته فيه ـ طمع مستيقن ، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه ، ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر ، لظننت أنه لا يدفعها عني ، فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا .

وتولى عمر الأمر ، فكان مرضي السيرة ، ميمون النقيبة ، حتى إذا احتضر ، فقلت في نفسي : لن يعدلها عني ، ليس يدافعها عني ، فجعلني سادس ستة ، فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايتي عليهم ، كانوا يسمعون عند وفاة رسول الله ﷺ لجاج أبي بكر ، وأقول : يا معشر قريش ، إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ، ويعرف السنّة ، ويدين بدين الحق .

فخشي القوم إن أنا وليت عليهم ألا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا ، فأجمعوا إجماعاً واحداً ، فصرفوا الولاية إلى عثمان ، واخرجوني منها رجاء أن ينالوها ، ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلي ، ثم قالوا : هلم فبايع وإلا جاهدناك ، فبايعت مستكرها ، وصبرت محتسباً فقال قائلهم : يا بن أبي طالب ، إنك على هذا الأمر لحريص ، فقلت : أنتم أحرص مني وأبعد ، أينا أحرص ، أنا الذي طلبت ميراثي وحقي الذي جعلني الله ورسوله أولى به ، أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه ، وتحولون بيني وبينه ! فبهتوا والله لا يهدي القوم الظالمين .

اللهمَّ إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي ، وأضاعوا إياي ، وصغروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم ، فسلبونيه

ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تمنعه ، فاصبر كمداً أو مت . سفاً حنقاً ، فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا ساعد إلا أهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية ، وأغضيت على القذى وتجرعت ريقي على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم ، وآلم للقلب من حز الشفار ، حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ، ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت عليكم ، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني ، وبسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، وازدحمتم عليَّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم ، أو أنكم قاتلي ، فقلتم : بايعنا لا نجد غيرك ، ولا نرضى إلّا بك بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا .

فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي ، فمن بايع طوعاً قبلت ، ومن أبى لم أكرهه وتركته . فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير ، ولو أبيا ما أكرهتهما ، كما لم أكره غيرهما ، فما لبثا إلا يسيراً حتى بلغني أنهما خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة ، في جيش ما منهم رجل إلا قد أعطاني الطاعة ، وسمح لي بالبيعة ، فقدما على عاملي وخزان بيت مالي وعلى أهل مصري الذين كلهم على بيعتي وفي طاعتي ، فشتتوا كلمتهم ، وأفسدوا جماعتهم ، ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدراً ، وطائفة صبراً[1] . ومنهم طائفة غضبوا لله ولي ، فشهروا سيوفهم وضربوا ، بها حتى لقوا الله عزّ وجل صادقين ، فو الله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلاً واحداً متعمدين لقتله لحل لي به قتل ذلك الجيش بأسره ، فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم ، وقد أدال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين !

ثم إني نظرت في أمر أهل الشام ، فإذا أعراب أحزاب وأهل طمع جفاة

(١) صبراً : أي حبساً .

طغاة، يجتمعون من كل أوب، من كان ينبغي أن يؤدب وأن يولى عليه، ويؤخذ على يده، ليسوا من الانصار ولا المهاجرين ولا التابعين بإحسان. فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة، فأبوا إلا شقاقاً وفراقاً، ونهضوا في وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل، ويشجرونهم[1] بالرماح، فهناك نهدت[2] إليهم بالمسلمين فقاتلتهم، فلما عضهم السلاح. ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن، وأنهم رفعوها مكيدة وخديعة ووهناً وضعفاً، فامضوا على حقكم وقتالكم، فأبيتم عليَّ وقلتم: اقبل منهم، فإن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق، وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم. فقبلت منهم، وكففت عنهم، إذ ونيتم وأبيتم، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين، يحييان ما أحيا القرآن، ويميتان ما أمات القرآن، فاختلف رأيهما، وتفرق حكمهما، ونبذا ما في القرآن، وخالفا ما في الكتاب، فجنبهما الله السداد، ودلاهما في الضلالة.

فانحرفت فرقة منا فتركناهم ما تركونا، حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون ويفسدون، أتيناهم فقلنا: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، ثم كتاب الله بيننا وبينكم.

قالوا: كلنا قتلهم، وكلنا استحل دماءهم. وشدت علينا خيلهم ورجالهم، فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم، فقلتم: كلت سيوفنا ونفدت نبالنا، ونصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا، فإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة

---

(١) يشجرونهم بالرمح: يطعنونهم.

(٢) نهد للقتال: نهض.

من هلك منا وفارقنا ، فإن ذلك أقوى لنا على عدونا .

فأقبلت بكم ، حتى إذا أطللتم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة ، وإن تلزموا معسكركم ، وأن تضموا قواصيكم ، وأن توطنوا على الجهاد أنفسكم ، ولا تكثروا زيارة أبنائكم ، ونسائكم ، فإن أهل الحرب المصابروها ، وأهل التشمير فيها الذين لا ينقادون من سهر ليلهم ولا ظمإنهارهم ، ولا خمص بطونهم ، ولا نصب أبدانهم ، فنزلت طائفة منكم معي معذرة ، ودخلت طائفة منكم المصر عاصية ، فلا من بقى منكم صبر وثبت ، ولا من دخل المصر عاد ورجع ، فنظرت إلى معسكري ، وليس فيه خمسون رجلاً .

فلما رأيت ما أتيتم ، دخلت إليكم فلم أقدر على أن تخرجوا معي إلى يومنا هذا ، فما تنتظرون ! أما ترون أطرافكم قد انتقصت ، وإلى مصر قد فتحت ، وإلى شيعتي بها قد قتلت ، وإلى مسالحكم تعرى ، وإلى بلادكم تغزى ! وأنتم ذوو عدد كثير ، وشوكة وبأس شديد ، فما بالكم ! لله أنتم من أين تؤتون ! وما لكم تؤفكون ! وأنى تسحرون ! ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا ، إلا أن القوم تراجعوا وتناشبوا وتناصحوا ، وأنتم قد ونيتم وتغاششتم افترقتم ، ما إن أنتم إن ألممتم عندي على هذا بسعداء ، فانتهوا بأجمعكم وأجمعوا على حقكم ، وتجرّدوا لحرب عدوكم ، وقد أبدت الرغوة عن الصريح ، وبين الصبح لذى عينين ، إنما تقاتلون الطلقاء ، وأبناء الطلقاء وأولي الجفاء ، ومن أسلم كرهاً ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله أنف الاسلام كلّه حرباً .

أعداء الله والسنّة والقرآن ، وأهل البدع والأحداث ، ومن كان بوائقه تتقى ، وكان عن الاسلام منحرفاً ، أكلة الرشا ، وعبدة الدنيا ، لقد أنهى إلى أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه ، وشرط له أن يؤتيه ما هي أعظم مما في يده من سلطانه .

ألا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا ، وخزيت أمانة هذا المشتري نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين ، وإن فيهم من قد شرب فيكم الخمر وجلد الحد ، يعرف بالفساد في الدين ، والفعل السيء ، وإن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له رضيخة[1]. فهؤلاء قادة القوم ، ومن تركت ذكر مساوئه من قادتهم مثل من ذكرت منهم ، بل هو شر ، ويود هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر والفساد والفجور والتسلط بجبرية ، واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق .

ولأنتم على ما كان فيكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلاً ، فيكم العلماء والفقهاء ، والنجباء والحكماء ، وحملة الكتاب والمتهجّدون بالأسحار ، وعمّار المساجد بتلاوة القرآن . أفلا تسخطون وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم ، والأشرار الأراذل منكم ! فاسمعوا قولي ، وأطيعوا أمري ، فوالله لئن أطعتموني لا تغوون ، وإن عصيتموني لا ترشدون ، خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها ، فقد شبت نارها ، وعلا سنانها وتجرّد لكم فيها الفاسقون ، كي يعذبوا عباد الله ، ويطفئوا نور الله .

ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى في الجد في غيهم وضلالتهم ، من أهل البر والزهادة والاخبات في حقهم وطاعة ربهم ، إني والله لو لقيتهم فرداً وهم ملأ الأرض ، ما باليت ولا استوحشت ، وإني من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه ، لعلى ثقة وبينة ، ويقين وبصيرة ، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر ، ولكن أسفاً يعتريني ، وحزناً يخامرني ، أن يلي أمر هذه الأُمة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً ، والفاسقين حزباً .

---

(١) الرضيخة : العطية القليلة .

وأيم الله لولا ذلك لما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم ، ولتركتكم إذ ونيتم وأبيتم حتى ألقاهم بنفسي ، متى حم لي لقاؤهم . فوالله إني لعلى الحق ، وإني للشهادة لمحب ، فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف ، وتبوءوا بالذل ، ويكن نصيبكم الخسران .

إن أخا الحرب اليقظان ، ومن ضعف أودي ، ومن ترك الجهاد كان كالمغبون المهين .

اللهمَّ اجمعنا وإياهم على الهدى ، وزهدنا وإياهم في الدنيا ، واجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الأُولى.[1]

حزن علي عليه السلام على محمد بن أبي بكر

قيل لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت يوماً قط سروراً مثل سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد بن أبي بكر .

فقال علي عليه السلام : أما إن حزننا على قتله ، على قدر سرورهم به ، لا بل يزيد أضعافاً .[2]

وحزن علي عليه السلام على محمد بن أبي بكر حتى رؤى ذلك في وجهه وتبيّن فيه .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦ : ٩٤ ـ ١٠٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦ : ٩١ .

قال المدائني : وقيل لعلي عليه السلام : لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين .

فقال : وما يمنعني ! إنه كان لي ربيباً ، وكان لبني أخاً ، وكنت له والداً ، أعده ولداً .[١]

وروى المدائني ، أن علياً قال : رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً ، لقد كنت أردت أن أولي المرقال هاشم بن عتبة مصر ، فإنه والله لو وليها لما خلى لابن العاص وأعوانه العرصة ، ولا قتل إلّا سيفه في يده ، بلا ذم لمحمد ، فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه .[٢]

قال إبراهيم : وقد روى هاشم أن أسماء بنت عميس ، لما جاءها نعي محمد ابنها وما صنع به ، قامت إلى مسجدها ، وكظمت غيظها حتى تشخبت دماً .

ولما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج ، وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها ، فكان القاسم بن محمد[٣] من عيالها .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦ : ٩٤ .

(٢) نهج البلاغة ١ : ١١٦ .

(٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة القرشي ، التيمي ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الرحمن . روى عن أبيه ، وعن العبادلة ، وغيرهم . عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام وقال ابن سعد : كان ثقة ، فقيهاً ، إماماً ، كثير الحديث ، ورعاً ، وقال ابن خلكان : كان من سادات التابعين وأفضل أهل الزمان ، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة . مات سنة ١٠١ هـ ؛ وقيل : ١٠٦ هـ ؛ وقيل غير ذلك . والطبقات الكبرى ٥ : ١٨٧ : .

أم حبيبة وعائشة

قال الدميري: وقدمت أم حبيبة[١] بنت أبي سفيان لحماً مشوياً إلى عائشة أيام حزنها على أخيها محمد، فحلفت عائشة لا تأكل شواء أبداً بعد قتل محمد، فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله، وما عثرت قط إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج![٢]

---

(١) أُم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب الأموية، كنّيت بأُم حبيبة، لابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش، هاجرت مع زوجها عبيد الله إلى الحبشة فولدت هناك حبيبة، فتنصر عبيد الله ومات بالحبشة، نصرانياً، وبقيت أُم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبها إلى النجاشي، والقصة معروفة ومشهورة في كتب السير والتاريخ. انظر: أسد الغابة ٥: ٥٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ٨٨.

الفصل الثاني عشر

علي عليه السلام

في محراب الدم



علي عليه السلام في محراب الدم

عن أبي سنان الدؤلي عن علي عليه السلام قال: حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله قال: لا تموت حتى تضرب ضربة على هذه فتخضب هذه ـ وأومأ إلى لحيته وهامته ـ ويقتلك أشقاها كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان ؟[1]

وعن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى ينبع[2] عائداً لعلي بن أبي طالب عليه السلام وكان مريضاً بها حتى ثقل فقال له أبي: ما يبقيك بهذا المنزل ؟ ولو مت لم يلك إلا أعراب جهينة احتمل حتى تأتي المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك – وكان أبو فضالة من أصحاب بدر –.

فقال علي عليه السلام: إني لست ميتاً من وجعي هذا إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلي أن لا أموت حتى أومر ثم يخضب هذه – يعني لحيته ـ من هذا ـ يعني رأسه ـ.[3]

عن الضحاك بن مزاحم[4]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أتدري من

---

(١) أسد الغابة ٤: ٣٤.

(٢) ينبع ـ بالفتح ثم السكون، والباء الموحدة مضمومة، وعين مهملة ـ: هي عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل، وهي لبني حسن بن علي وكان يسكنها الانصار وجهينة وليث، وفيها عيون عذاب غزيرة، وواديها يليل، وبها منبر، وهي قرية غناء وواديها يصب في غيقة. معجم البلدان ٥: ٤٤٩.

(٣) شواهد التنزيل ٢: ٤٣٧.

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، ويقال: أبو محمد الخراساني، روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهم، وعنه جويبر بن سعيد والحسن بن يحيى البصري وطائفة أخرى. مات سنة ١٠٦ هجرية. انظر: طبقات الفقهاء: ٧٧، تهذيب التهذيب ٤: ٤٥٣.

أشقى الأولين ؟

قال : قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : عاقر الناقة .

قال : أتدري من أشقى الآخرين ؟

قال : قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : قاتلك .[١]

وقال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : ستلاقي بعدي مصاعب جمّة .

فقال علي عليه السلام : يا رسول الله ، أفي سلامة من ديني أنا ؟

فقال صلى الله عليه وآله : نعم .

وفي خبر عامر بن واثلة قال : شهدنا الصلاة على أبي بكر ثم اجتمعنا إلى عمر بن الخطاب فبايعناه وأقمنا أياماً نختلف إلى المسجد إليه حتى سموه أمير المؤمنين ، فبينا نحن عنده جلوس يوماً إذ جاءه يهودي من يهود المدينة وهم يزعمون أنه من ولد هارون أخي موسى عليهما السلام حتى وقف على عمر فقال له : يا أمير المؤمنين أيكم أعلم بعلم نبيكم وبكتاب ربكم حتى أسأله عما أريد ؟

قال : فأشار عمر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له اليهودي : أكذلك أنت يا علي ؟

فقال : نعم سل عما تريد...

ثمّ قال اليهودي : أخبرني عن هذه الأُمة كم لها بعد نبيّها من إمام عدل ؟

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٣٨٥ ح ٣١٧.

قال له علي عليه السلام : يا يهودي يكون لهذه الأُمة بعد نبيّها اثنا عشر إماماً عدلاً ، لا يضرهم خلاف من خالف عليهم.

قال له اليهودي : اشهد بالله لقد صدقت ، أخبرني عن وصي محمد في أهله كم يعيش بعده وهل يموت موتاً أو يقتل قتلاً.

قال له علي عليه السلام : يا يهودي يعيش بعده ثلاثين سنة وتخضب منه هذه من هذا ـ وأشار إلى رأسه ـ.

قال : فوثب إليه اليهودي فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأنك وصي رسول الله .(١)

وروي عن الامام الصادق عليه السلام : انّ أحد اليهود سأل أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: اسألك كم يعيش وصيّه ـ أي النبي ـ بعده ؟

قال : ثلاثين سنة .

قال : ثم ماذا ؟ يموت أو يقتل ؟

قال : يقتل ويضرب على قرنه فتخضب لحيته .

قال : صدقت والله انه لبخط هارون واملاء موسى .(٢)

وروى دعبل عن الإمام الرضا عليه السلام قال : خطب الناس أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة ، فقال :

معاشر الناس ، إن الحقّ قد غلبه الباطل ، وليغلبن الباطل عمّا قليل ، أين أشقاكم ؟ فوالله ليضربن هذه فليخضبنها من هذه . وأشار بيده إلى هامته ولحيته .(٣)

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٩٥ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٥٧ .

(٣) أمالي الشيخ الطوسي : ٣٦٤ ح ٧٦٤ / ١٥ .

وعن عامر بن واثلة قال : جمع أمير المؤمنين عليه السلام الناس للبيعة ، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله فردّه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه ، وقال عند بيعته له : ما يحبس أشقاها ! فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا ـ ووضع يده على لحيته ورأسه عليه السلام ـ ، فلما أدبر ابن ملجم عنه منصرفاً قال عليه السلام متمثلاً :

أشدد حيازيمك للموت فـانّ المـوت لاقـيك
ولا تجزع من المـوت إذا حـل بـواديك
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك[1]

وفي رواية أُخرى: قال أمير المؤمنين عليه السلام : أتاكم شهر رمضان وفيه تدور رحى السلطان ، ألا وإنكم حاجو العام صفاً واحداً ، وآية ذلك أني لست فيكم ، وكان يفطر في هذه الشهر .[2]

وقال أبو صالح الحنفي : سمعت علياً عليه السلام يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه ما لقيت من أُمّته من الأولاد واللدد ، وبكيت فقال : لا تبك يا علي ، والتفت فالتفت فإذا رجلان مصفدان وإذا جلاميد يرصخ بها رؤسهما .

وروي انّه عليه السلام قال لأُم كلثوم : يا بنية ، اني أراني قلَّ ما أصحبكم .

قالت : وكيف ذاك يا أبتاه ؟

قال : اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يمسح الغبار عـن وجـهي ويقول : يا علي لا عليك قد قضيت ما عليك ، قالت : فما مكثنا حتى ضرب تلك الليلة الضربة . وفي رواية انه قال : لا بنية لا تفعلي فاني أرى رسول الله يشير إلي

(١) الإرشاد ١ : ١١ .
(٢) بحار الأنوار ٢٤ : ١٩٨ .

بكفه يا علي الينا فان ما عندنا هو خير لك .[١]

وعن عثمان بن المغيرة قال : لما دخل شهر رمضان ، كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر ، وكان لا يزيد على ثلاث لقم ، فقيل له في ليلة من تلك الليالي في ذلك ، فقال : يأتيني أمر الله وأنا خميص ، إنما هي ليلة أو ليلتان ، فأصيب صلى الله عليه وآله في آخر الليل .[٢]

وفي كنز العمّال قال عثمان بن المغيرة : لما دخل رمضان كان علي يتعشى ليلة عند الحسن والحسين وابن عباس لا يزيد على ثلاث لقم يقول : يأتيني أمر الله وأنا خميص وإنما هي ليلة أو ليلتان ، فأصيب من آخر الليل .[٣]

وقالت عائشة : رأيت رسول الله التزم علياً وقبّله ويقول : بأبي الوحيد الشهيد بأبي الوحيد الشهيد .[٤]

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال علي للنبي صلى الله عليه وآله : انك قلت لي يوم أحد حين أخرت عني الشهادة واستشهد من استشهد ان الشهادة من وراءك ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وآله : فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه بدم ـ وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه ـ ؟

فقال علي عليه السلام : يا رسول الله اما ان تثبت لي ما أثبت فليس ذلك من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والكرامة .[٥]

---

(١) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب ٣ : ٩٤ .

(٢) الارشاد ١ : ١٤ .

(٣) كنز العمال ١٣ : ١٩٥ .

(٤) مناقب آل ابي طالب ، ابن شهرآشوب ٢ : ٦٠ .

(٥) أسد الغابة ٤ : ٣٤ .

خطة الخوارج

اجتمع بمكة نفر من الخوارج فتذاكروا أمر المسلمين فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم وقال بعضهم لبعض: فلو أنا شرينا انفسنا لله فأتينا أئمة الضلال وطلبنا غرتهم فأرحنا منهم العباد والبلاد وثأرنا باخواننا الشهداء بالنهروان.

فتعاقدوا على ذلك عند انقضاء الحج، فقال عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله أنا أكفيكم علياً، وقال أحد الآخرين: أنا أكفيكم معاوية، وقال الثالث: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاقدوا وتواثقوا على الوفاء الا ينكل واحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ولا عن قتله، واتعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم علياً عليه السلام.[1]

قال أبو مخنف: الرجلان الآخران، البرك بن عبد الله التميمي وهو صاحب معاوية، والآخر عمرو بن بكر التميمي وهو صاحب عمرو بن العاص؛ فأما صاحب معاوية فإنه قصده فلما وقعت عينه عليه ضربه فوقعت ضربته في إليته، وأُخذ فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة، فقال: إن السيف مسموم فاختر إما أن أحمي لك حديدة فأجعلها في الضربة فتبرأ وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك.

قال: أما النار فلا أُطيقها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما يقرّ عيني وحسبي بهما، فسقاه الدواء، فعوفي وعالج جرحه حتى التأم ولم يولد له بعد ذلك.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٧.

قال: وقال له البرك بن عبد الله: إن لك عندي بشارة .

قال: وما هي ؟ فأخبره بخبر صاحبيه، وقال له: إن علياً يقتل في هذه الليلة فاحبسني عندك فان قتل فأنت ولي ما تراه في أمري، وإن لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي فأقتله ثم أعود اليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم فيَّ بما تراه، فحبسه عنده، فلما أتاه انّ علياً قد قتل خلى سبيله .

وقال غيره من الرواة: بل قتله من وقته .

قال: وأما صاحب عمرو بن العاص فانّه وافاه في تلك الليلة وقد وجد علّة فأخذ دواء واستخلف رجلاً يصلّي بالناس يقال له خارجة بن أبي حبيبة أحد بني عامر بن لؤي، فخرج للصلاة وشدّ عليه عمرو بن بكر فضربه بسيفه فأثبته، واخذ الرجل فأتى به عمرو بن العاص فقتله ودخل من غد إلى خارجة وهو يجود بنفسه فقال له: أما والله أبا عبدالله ما أراد غيرك، قال عمرو: ولكن الله أراد خارجة .

قال أبو زهير العبسي: كان ابن ملجم من مراد وعداده في كندة فأقبل حتى قدم الكوفة فلقي بها أصحابه وكتمهم أمره وطوى عنهم ما تعاقد هو واصحابه عليه بمكة من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينشر منه شيء وأنه زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب، وكان علي قتل أباها وأخاها بالنهروان، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلمار رآها ابن ملجم لعنه الله شغف بها واشتد إعجابه، فخبر خبرها فخطبها فقالت له: ما الذي تسمي لي من الصداق ؟

فقال لها: احتكمي ما بدا لك .

فقالت: أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفاً وخادماً وقتل علي بن

أبي طالب !

فقال لها : لك جميع ما سألت ، فأما قتل علي فأنّى لي بذلك ؟

فقالت : تلتمس غرته فإن أنت قتلته شفيت نفسي وهنأك العيش معي ، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا .

قال لها : أما والله أقدمني هذا المصر وقد كنت هارباً منه لا آمن مع أهله إلّا ما سألتني من قتل علي ، فلك ما سألت .

قالت له : فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقويك .

ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب فخبرته الخبر وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله فتحمل ذلك لها ، وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة ، فقال له : يا شبيب ، هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟

قال : وما هو ؟

قال: تساعدني على قتل علي بن أبي طالب ، وكان شبيب على رأي الخوارج .

فقال له: يا بن ملجم هبلتك الهبول . لقد جئت شيئاً إدّا ، وكيف تقدر على ذلك ؟

قال له ابن ملجم : نكمن له في المسجد الأعظم فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به فقتلناه ، فإذا نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا فلم يزل به حتى أجابه ، فأقبل معه حتى دخل على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبّة ، فقالا لها : قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل .

قالت لهما : فإذا أردتما ذلك فألقياني في هذا الموضع . فانصرفا من عندها

فلبثا أياماً .

ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين[1]، فقال لها ابن ملجم : هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبي ووعداني أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذي يتوجه إليه فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم ، وتقلدوا سيفهم ، ومضوا فجلسوا مما يلي السدّة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين إلى الصلاة .

وروى أبو مخنف ، عن الأسود والأجلح : أن ابن ملجم أتى إلى الأشعث بن قيس - لعنهما الله - في الليلة التي أراد فيها بعلي ما أراد ، والأشعث في بعض نواحي المسجد .

فسمع حجر بن عدي الأشعث يقول لابن ملجم - لعنه الله - النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح فقال له حجر : قتلته يا أعور ، وخرج مبادراً إلى علي وأسرج دابته وسيفه ابن ملجم - لعنه الله - فضرب علياً .

وأقبل حجر والناس يقولون : قتل أمير المؤمنين .

قال أبو الفرج الأصفهاني : وللأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام أخبار يطول شرحها منها ما حدثنيه محمد ابن الحسين الاشناني قال : جاء الأشعث إلى علي يستأذن عليه فرده قنبر ، فأدمى الأشعث أنفه ، فخرج علي عليه السلام وهو يقول : مالي ولك يا أشعث ، أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لأقشعرت شعيراتك ؛ قيل : يا أمير المؤمنين ومن غلام ثقيف ؟

(١) هكذا في حديث أبي مخنف ، وفي حديث أبي عبد الرحمن السلمي أنها كانت ليلة سبع عشرة خلت من شهر رمضان .

قال : غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا أدخلهم ذلاً .

قيل : يا أمير المؤمنين ، وكم يمكث ؟

قال : عشرين إن بلغها .

قال جعفر بن محمد : حدثتني إمرأة منا قالت : رأيت الأشعث بن قيس دخل على علي عليه السلام فأغلظ له علي ، فعرض له الأشعث بأن يفتك به .

فقال له علي عليه السلام : أبالموت تهددني ، فوالله ما أُبالي وقعت على الموت ، أو وقع الموت عليَّ .[1]

وروى ابن شهرآشوب عن الحسن البصري : انه عليه السلام سهر في تلك الليلة ولم يخرج لصلاة الليل على عادته ، فقالت أُم كلثوم : ما هذا الشهر ؟

قال : اني مقتول لو قد أصبحت .

فقالت : مر جعدة[2] فليصل بالناس .

قال : نعم ، مروا جعدة ليصل بالناس ، ثم قال : لا مفر من الأجل ، وخرج قائلاً :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد   في الله ذي الكتب وذي المشاهد
في الله لا يعبد غير الواحد   ويوقظ الناس إلى المساجد

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٢٧ ـ ٣٠ .

(٢) جعدة بن هبيرة ، هو ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام ، أُمّه أُم هانيء بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأبوه هبيرة بن أبي وهب ، كان جعدة فارساً شجاعاً ، فقيهاً وولى خراسان لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح مع أُمه أم هانيء بنت أبي طالب . شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠ : ٧٧ .

وقد روي انه عليه السلام سهر في تلك الليلة فأكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول : والله ما كذبت وانها الليلة التي وعدت ، ثم يعاود مضجعه ، فلما طلع الفجر أتاه ابن التياح ونادى : الصلاة ، فقام فاستقبله الاوز فصحن في وجهه فقال: دعوهن فانّهن صوايح تتبعها نوايح .

وتعلقت حديدة في مئزره فشدّ إلى أزاره على الباب وهو يقول :

اشدد حيازيمك للموت   فانّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت   إذا حل بواديكا
فقد أعرف أقواماً   وإن كانوا صعاليكا
مساريع إلى الخير   وللشر متاريكا[1]

ليلة التاسع عشر

قال عثمان بن المغيرة : لما دخل رمضان كان علي يتعشى ليلة عند الحسن والحسين وابن عباس لا يزيد على ثلاث لقم يقول : يأتيني أمر الله وأنا خميص وإنما هي ليلة أو ليلتان ، فأصيب من آخر الليل .[2]

قالت أُم كلثوم بنت أمير المؤمنين صلوات الله عليه :

لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش ، فلما فرغ من صلاته أقبل

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣١٠.
(٢) كنز العمال ١٣ : ١٩٥ .

على فطوره ، فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكى بكاءا شديدا عالياً ، وقال : يا بنية ما ظننت أن بنتاً تسوء أباها كما قد أسأت أنت إليَّ .

قالت : وماذا يا أباه!؟

قال : يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد ؟ أتريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عزّ وجل يوم القيامة، أنا اريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله ، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلّا طال وقوفه بين يدي الله عزّ وجل يوم القيامة ، يا بنية إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وقد أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل عليه السلام نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال : يا محمد السلام يقرؤك السلام ويقول لك : إن شئت صيرت معك جبال تهامة ذهباً وفضة ، وخذ هذه مفاتيح كنوز الأرض ولا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة .

قال : يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك ؟

قال : الموت .

فقال : إذاً لا حاجة لي في الدنيا ، دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله ، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده .

فقال له جبرئيل : وفقت لكل خير يا محمد .

ثم قال عليه السلام : يا بنية، الدنيا دار غرور ودار هوان ، فمن قدم شيئاً وجده ، يا بنية والله لا آكل شيئاً حتى ترفعين أحد الادامين ، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش .[1]

(١) بحار الأنوار: ٤٢: ٢٧٤ .

رؤيا أمير المؤمنين عليه السلام

قالت أُم كلثوم: سمعت أبي يقول ليلة التاسع عشر : اللـهمَّ بـارك لنـا فـي الموت، اللهمَّ بارك لي في لقائك. وكنت أمشي خلفه، فلما سمعته يقول ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعي نفسك منذ الليلة ؟

قال : يا بنية ما هو بنعاء ولكنها دلالات وعلامات للموت تتبع بعضها بعضاً فأمسكي عن الجواب، ثم فتح الباب وخرج.

قالت أُم كلثوم : فجئت إلى أخي الحسن عليه السلام فقلت: يا أخي، قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا، وهو قد خرج في هذا الليل الغلس فألحقه، فقام الحسن بن علي عليهما السلام وتبعه، فلحق به قبل أن يدخل الجامع، فقال: يا أباه، ما أخرجك في هذه الساعة وقد بقي من الليل ثلثه ؟

فقال : يا حبيبي ويا قرة عيني خرجت لرؤيا رأيتها في هذه الليلة أهالتني وأزعجتني وأقلقتني.

فقال له : خيراً رأيت وخيراً يكون، فقصها عليَّ.

فقال عليه السلام : يا بني رأيت كأن جبرئيل عليه السلام قد نزل عن السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى الكعبة وتركهما على ظهرها، وضرب أحدهما على الآخر فصارت كالرميم، ثم ذرهما في الريح، فما بقي بـمكة ولا بالمدينة بيت إلّا ودخله من ذلك الرماد.

فقال له : يا أبت وما تأويلها ؟

فقال عليه السلام : يا بني إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتول، ولا يبقى بمكة حينئذ ولا بالمدينة بيت إلا ويدخله من ذلك غم ومصيبة من أجلي.

فقال الحسن عليه السلام : وهل تدري متى يكون ذلك يا أبت ؟

قال عليه السلام : يا بني إن الله يقول : ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾[١] ولكن عهد إلي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان .[٢]

سحر اليوم التاسع عشر

قال أبو مخنف : لما وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد ، أشعل القنديل ، وتوجه للمئذنة ، فلمّا أذّن عليه السلام ونزل من المئذنة جعل يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره ويكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله .

قال الراوي : وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنه يتفقد النائمين في المسجد ويقول للنائم : الصلاة يرحمك الله الصلاة ، قم إلى الصلاة المكتوبة عليك ، ثم يتلو عليه السلام : ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ ، ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عادته مع النائمين في المسجد ، حتى إذا بلغ إلى الملعون فرآه نائماً على وجهه قال له : يا هذا قم من نومك هذا فإنها نومة يمقتها الله ، وهي نومة الشيطان ونومة أهل النار ، بل نم على يمينك فإنها نومة العلماء ، أو على يسارك فانها نومة الحكماء ، ولا تنم على ظهرك فإنها نومة الأنبياء .

قال : فتحرك الملعون كأنه يريد أن يقوم وهو من مكانه لا يبرح .

---

(١) لقمان : ٣٤.

(٢) بحار الأنوار : ٤٢ : ٢٧٨ .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لقد هممت بشيء تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً ، ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ، ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه ، وقام قائماً يصلي .

وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في الصلاة كعادته في الفرائض والنوافل حاضراً قلبه ، فلما أحس به فنهض الملعون مسرعاً وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الامام عليه السلام يصلّي عليها ، فأمهله حتى صلّى الركعة الأُولى وركع وسجد السجدة الأُولى منها ورفع رأسه ، فعند ذلك أخذ السيف و هزه ، ثم ضربه على رأسه المكرم الشريف ، فوقعت الضربة على الضربة التي ضربه عمرو بن عبد ود العامري ، ثم أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود ، فلما أحس الامام بالضرب لم يتأوه وصبر واحتسب ، ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلاً : بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله ، ثم صاح وقال : قتلني ابن ملجم ، قتلني اللعين ابن اليهودية وربّ الكعبة ، أيها الناس لا يفوتنكم ابن ملجم .

وسار السم في رأسه وبدنه ، وثار جميع من في المسجد في طلب الملعون ، وماجوا بالسلاح فما كنت أرى إلا صفق الأيدي على الهامات وعلو الصرخات ، وكان ابن ملجم ضربه ضربة خائفاً مرعوباً ، ثم ولّى هارباً وخرج من المسجد ، وأحاط الناس بأمير المؤمنين عليه السلام وهو في محرابه يشد الضربة ويأخذ التراب ويضعه عليها ، ثم تلا قوله تعالى : **﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرى﴾**[١] ، ثم قال عليه السلام : جاء أمر الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم إنه لما ضربه الملعون ارتجت الأرض وماجت البحار والسماوات ، واصطفقت أبواب الجامع .

(١) طه : ٥٥ .

قال : وضربه اللعين شبيب بن بجرة فأخطأه ووقعت الضربة في الطاق .

قال الراوي : فلما سمع الناس الضجة ثار إليه كل من كان في المسجد ، وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدة الصدمة والدهشة ، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشدّ رأسه بمئزره ، والدم يجري على وجهه ولحيته ، وقد خضبت بدمائه وهو يقول : هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله .

واصطفقت أبواب الجامع ، وضجت الملائكة في السماء بالدعاء ، وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة ، ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهدمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى ، وانفصمت والله العروة الوثقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى ، قتل الوصي المجتبى ، قتل علي المرتضى ، قتل والله سيّد الأوصياء ، قتله أشقى الأشقياء .

قال : فلما سمعت أُم كلثوم نعي جبرئيل فلطمت على وجهها وخدها وشقت جيبها وصاحت : واأبتاه واعلياه وامحمداه واسيداه ، ثم أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين فأيقظتهما وقالت لهما : لقد قتل أبوكما ، فقاما يبكيان .

فقال لها الحسن عليه السلام : يا أختاه كفّي عن البكاء حتى نعرف صحة الخبر كيلا تشمت الأعداء، فخرجا فإذا الناس ينوحون وينادون : واإماماه واأمير المؤمنيناه، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم ، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله .

فلما سمع الحسن والحسين عليهما السلام صرخات الناس ناديا : وا أبتاه واعلياه ليت الموت أعدمنا الحياة ، فلما وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس ، وهم يجتهدون أن يقيموا الامام في المحراب ليصلي

بالناس ، فلم يطق على النهوض وتأخر عن الصف وتقدم الحسن عليه السلام فصلّى بالناس وأمير المؤمنين عليه السلام يصلي إيماءاً من جلوس ، وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمه الشريف ، يميل تارة ويسكن أُخرى ، والحسن عليه السلام ينادي : وا انقطاع ظهراه يعز والله علي أن أراك هكذا ، ففتح عينه و قال : يا بني لا جزع على أبيك بعد اليوم ، هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأُمك فاطمة الزهراء والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك ، فطب نفساً وقرّ عيناً وكف عن البكاء ، فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء .

وقال محمد بن عبد الله الأزدي : أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ينادي : الصلاة الصلاة فإذا هو مضروب ، وسمعت قائلاً يقول : الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك ، و سمعت علياً عليه السلام يقول : فزت وربّ الكعبة ، ثم قال عليه السلام : لا يفوتنكم الرجل.[1]

الشهادة في الصلاة

واحدة من خواص أمير المؤمنين العظيمة هي شهادته المباركة في الشهر المبارك ، شهر رمضان ، وفي أفضل ليلة منه ، ليلة القدر ، وفي أفضل حالة ، حالة الصيام والصلاة ، وفي أفضل مكان ، مسجد الكوفة ، فكانت شهادته عظيمة ، كما كانت ولادته عظيمة في الكعبة المشرّفة .

بعض الروايات نقلت انّ شهادته كانت في محراب الصلاة ، ففي رواية معلى بن زياد أنه عليه السلام قرأ في الركعة الأُولى من الصلاة التي ضربه فيها ابن ملجم الحمد

---

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٣٩ .

وإحدى عشرة آية من سورة الأنبياء.[١]

فيما روى آخر: انّ أمير المؤمنين كان يصلّي نافلة الفجر عندما ضربه ابن ملجم بالسيف.[٢]

ولكن ابن عساكر ونقلاً عن الليث بن سعد قال: أن عبد الرحمن بن ملجم ضرب علياً في صلاة الصبح بسيف كان سمّه بالسم.[٣]

وعن العلامة النوري في مستدرك الوسائل: يظهر من جملة من أخبار شهادته أن الصلاة التي ضرب فيها كانت نافلة الفجر، وقيل: إن ابن ملجم ضربه ضربة، فلم تعمل فثناها فعملت.[٤]

ليلة العشرين من رمضان

قال محمد بن الحنفية: ثم إن أبي عليه السلام قال: احملوني إلى موضع مصلاي في منزلي، قال: فحملناه إليه وهو مدنف والناس حوله، وهم في أمر عظيم باكين محزونين، قد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب، ثم التفت إليه الحسين عليه السلام وهو يبكي. فقال له: يا أبتاه من لنا بعدك؟ لا كيومك إلا يوم رسول الله صلى الله عليه وآله من أجلك تعلمت البكاء، يعز والله عليَّ أن أراك هكذا.

فناداه عليه السلام فقال: يا حسين يا أبا عبد الله ادن مني، فدنا منه وقد قرحت

(١) سفينة البحار ٢: ٢٣٢.

(٢) وقائع الأيام: ٥٧٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٥٥٧.

(٤) مستدرك سفينة البحار ٧: ٣٨٤.

أجفان عينيه من البكاء ، فمسح الدموع من عينيه ووضع يده على قلبه وقال له : يا بني ربط الله قلبك بالصبر ، وأجزل لك ولاخوتك عظيم الأجر ، فسكن روعتك واهدأ من بكائك ، فإن الله قد آجرك على عظيم مصابك ، ثم ادخل عليه السلام إلى حجرته وجلس في محرابه .

قال الراوي : واقبلت زينب وأم كلثوم حتى جلستا معه على فراشه ، وأقبلتا تندبانه وتقولان : يا أبتاه من للصغير حتى يكبر ؟ ومن للكبير بين الملأ ؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل ، وعبرتنا لا ترقأ .

قال : فضجّ الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب ، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام عند ذلك ، وجعل يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده ، ثم دعا الحسن والحسين عليهما السلام وجعل يحضنهما ويقبلهما ، ثم اغمي عليه ساعة طويلة وأفاق ، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق اُخرى ، لأنه صلى الله عليه وآله كان مسموماً ، فلما أفاق ناوله الحسن عليه السلام قعباً من لبن ، فشرب منه قليلاً ثم نحاه عن فيه وقال : احملوه إلى أسيركم ، ثم قال للحسن عليه السلام : بحقي عليك يا بني إلّا ما طيبتم مطعمه ومشربه ، وارفقوا به إلى حين موتي ، وتطعمه مما تأكل وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه ، فعند ذلك حملوا إليه اللبن وأخبروه بما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه ، فأخذ اللعين وشربه .

قال محمد بن الحنفية : وبتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السم إلى قدميه ، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس ، ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه ويخبرنا بأمره وتبيانه إلى حين طلوع الفجر .[1]

---

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٨٨ .

«سلوني» في اليوم الأخير

لقد بقي أمير المؤمنين عليه السلام وحتى النفس الأخير من حياته يعمل على نشر الوعي والعلم بين صفوف الاُمة، فلهذا لم يمنعه السيف المسموم الذي نزل على رأسه من ارشاد الناس وتوجيههم .

يقول محمد بن الحنفية: فلما أصبح عليه السلام استأذن الناس عليه ، فأذن لهم بالدخول ، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه ، وهو يرد عليهم السلام ، ثم قال : أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم .

قال: فبكى الناس عند ذلك بكاءاً شديداً ، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه .[١]

حزن حجر بن عدي

قال الراوي: فقام إليه حجربن عدي الطائي وقال :

فيا أسفي على المولى التقي ... أبو الأطهار حيدرة الزكي

قتله كافر حنث زنيم ... لعين فاسق نغل شقي

فيلعن ربنا من حاد عنكم ... ويبرء منكم لعناً وبي

لأنكم بيوم الحشر ذخري ... وأنتم عترة الهادي النبي

فلما بصر به وسمع شعره قال له : كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة مني ، فما

---

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٩٠ .

عساك أن تقول ؟

فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً واضرم لي النار والقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك .

فقال : وفقت لكل خير يا حجر ، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك .

ثم قال : هل من شربة من لبن ؟

فأتوه بلبن في قعب ، فأخذه وشربه كله ، فذكر الملعون ابن ملجم وأنه لم يخلف له شيئاً ، فقال عليه السلام : **﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾** اعلموا أني شربت الجميع ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا ، ألا وإنه آخر رزقي من الدنيا ، فبالله عليك يا بني إلا ما أسقيته مثل ما شربت ، فحمل إليه ذلك فشربه .[١]

وعن دعبل عن الإمام الرضا عليه السلام ، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان معه آخر فوقعت ضربته على الحائط ، وأما ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد على رأسه على الضربة التي كانت ، فخرج الحسن والحسين عليهما السلام وأخذا ابن ملجم وأوثقاه ، واحتمل أمير المؤمنين ، فأدخل داره ، فقعدت لبابة عند رأسه ، وجلست أم كلثوم عند رجليه ، ففتح عينيه فنظر إليهما ، فقال : الرفيق الأعلى خير مستقراً وأحسن مقيلا ، ضربة بضربة أو العفو إن كان ذلك .

ثم عرق ثم أفاق ، فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرني بالرواح إليه عشاء ، ثلاث مرات .[٢]

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٠ .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي : ٢٣٢ .

موعظة عند الرحيل

قال الحسن بن علي عليه السلام : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك فقال لي : أتجزع ؟

فقلت : وكيف لا أجزع وأنا أراك على حالك هذه ؟

فقال عليه السلام : ألا اعلمك خصالاً أربع إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة وإن أنت ضيعتهن فاتك الداران ، يا بني لا غنى أكبر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب ، ولا عيش ألذ من حسن الخلق.(١)

التنبّأ بالسبايا

قالت زينب : فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه ، قلت له: يا أبه حدثتني أُم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك .

فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أُم أيمن ، وكأني بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد ، أذلاء خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فصبراً ، فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ، ما لله على الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبّيكم وشيعتكم.(٢)

اسلوب معاملة الأسير

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن علي بن أبي طالب عليه السلام خرج يوقظ الناس

---

(١) بحار الأنوار ٥٧ : ١١١ .

(٢) بحار الأنوار ٨٢: ٦٠ .

لصلاة الصبح ، فضربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف على أم رأسه ، فوقع على ركبتيه ، وأخذه فالتزمه حتى أخذه الناس .

وحمل علي عليه السلام حتى أفاق ثم قال للحسن والحسين عليهما السلام : احبسوا هذا الأسير وأطعموه واسقوه وأحسنوا اساره ، فإن عشت فأنا أولى بما صنع بي ، إن شئت استقدت ، وإن شئت عفوت ، وإن شئت صالحت .

وإن مت فذلك إليكم ، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به .[١]

وروى أبو الحسن البكري في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام انّه عليه السلام أوصى ابنه الحسن عليه السلام فقال : بحقّي عليك ، فاطعمه يا بني مما تأكل ، واسقه مما تشرب ، ولا تقيد له قدماً ، ولا تغل له يداً ، فان أنا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة ، ولا تحرقه بالنار ، ولا تمثّل بالرجل ، فاني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .[٢]

وفي رواية أُخرى انّ أمير المؤمنين عليه السلام التفت إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له : ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه ، وأحسن إليه وأشفق عليه ، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أُم رأسه ، وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً ، فقال له الحسن عليه السلام : يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به ؟ !

فقال له : نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلّا كرماً وعفواً ، والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته ، بحقي عليك فأطعمه يا بني مما تأكله ، وأسقه مما تشرب ، ولا تقيد له قدماً ، ولا تغل له يداً .[٣]

---

(١) قرب الاسناد : ١٤٣ .

(٢) مستدرك الوسائل ١٨ : ٢٥٦ .

(٣) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٨٧ .

اللقاء الأخير مع الأصبغ بن نباتة

عن الأصبغ بن نباتة العبدي قال: لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا، والحارث، وسويد بن غفلة، وجماعة معنا، فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم، فانصرف القوم غيري، واشتد البكاء من منزله، فبكيت، فخرج الحسن عليه السلام فقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟!

فقلت: لا والله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي، ولا تحملني رجلي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

قال: فتلبث، فدخل، ولم يلبث أن خرج، فقال لي: ادخل، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نزف واصفر وجهه، ما أدري وجهه أصفر أو العمامة، فأكببت عليه، فقبلته و بكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ، فإنها والله الجنة.

فقلت له: جعلت فداك، إني أعلم والله أنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين، جعلت فداك حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فإني أراني لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً.

فقال: نعم يا أصبغ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، فقال لي: يا علي انطلق حتى تأتي مسجدي، ثم تصعد على منبري، ثم تدعو الناس إليك، فتحمد الله عزّ وجل وتثني عليه، وتصلي عليَّ صلاة كثيرة، ثم تقول: أيها الناس! إني رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين

ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره .

فأتيت مسجده ، وصعدت منبره ، فلما رأتني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي ، فحمدت الله ، وأثنيت عليه وصليت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة ، ثم قلت : أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم ، وهو يقول لكم : ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه ، أو ظلم أجيراً أجره .[١]

نداء صعصعة

عن أبي الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن على علي ﷺ وقد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم ، فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للآذن : قل له : يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً ، فلقد كان الله في صدرك عظيماً ، ولقد كنت بذات الله عليماً ، فأبلغه الآذن إليه .

فقال : قل له : وأنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المؤنة كثير المعونة .[٢]

رأي الطبيب

قال عبد الله بن مالك : جمع الأطباء لعلي بن أبي طالب ﷺ ، لما ضربه ابن ملجم ، لعنه الله تعالى ، وكان أبصرهم بالطب أثير ، فأخذ أثير رئة شاة حارة فتتبع

---

(١) أمالي الشيخ المفيد : ٣٥١.

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٣٤ .

عرفاً فيها فاستخرجه وأدخله في جراحة علي ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ وإذا الضربة قد وصلت إلى أُم رأسه، فقال : يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنك ميت.[١]

آخر خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام

لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام حف به العواد وقيل له : يا أمير المؤمنين أوص فقال : اثنوا لي وسادة ثم قال :

الحمد لله حق قدره، متبعين أمره، وأحمده كما أحب، ولا إله إلّا الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب.

أيها الناس كلّ امرء لاق في فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عزّ ذكره إلّا إخفاء ه، هيهات علم مكنون، أما وصيتي فأن لا تشركوا بالله جلّ ثناؤه شيئاً ومحمداً صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين المعمودين وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم[٢] ما لم تشردوا حمل كل امرىء مجهوده، وخفف عن الجهلة، ربّ رحيم، وإمام عليم، ودين قويم.

أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن تثبت الوطأة في هذه المزلة[٣] فذاك المراد، وإن تدحض القدم، فإنا كنا في أفياء أغصان وذرى

(١) الاستيعاب ٣: ١١٢٨.

(٢) أي ليس عليكم ذم، ما لم تشردوا وتتفرقوا عن الحق.

(٣) كناية عن السلامة والبراءة من الجراحة.

رياح ، وتحت ظل غمامة اضمحل في الجو متلفقها[١] ، وعفا في الأرض محطها ، وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً وستعقبون مني جثة خلاء ، ساكنة بعد حركة ، وكاظمة بعد نطق ، ليعظكم هدوي وخفوف إطراقي ، وسكون أطرافي ، فإنه أوعظ لكم من الناطق البليغ ، ودعتكم وداع مرصد للتلاقي ، غداً ترون أيامي ، ويكشف الله عزّ وجل عن سرائري ، وتعرفوني بعد خلو مكاني ، وقيام غيري مقامي .

إن أبق فأنا ولي دمي ، وإن أفن فالفناء ميعادي وإن أعف فالعفو لي قربة ، ولكم حسنة ، فاعفوا واصفحوا ، ألا تحبّون أن يعفو الله لكم ، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة أو تؤديه أيامه إلى شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة ، أو تحل به بعد الموت نقمة ، فإنما نحن له وبه .[٢]

وصايا أمير المؤمنين عليه السلام

عن الفجيع العقيلي قال : حدثني الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال : لما حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي فقال :

هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد رسول الله وابن عمه ووصيّه وصاحبه .

وأول وصيتي أني أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسوله وخيرته ، اختاره بعلمه ، وارتضاه لخيرته ، وأن الله باعث من في القبور ، وسائل الناس عن

---

(١) يعنى المتراكم من الغمام .
(٢) الكافي ١ : ٢٩٩ .

أعمالهم ، وعالم بما في الصدور .

ثم إني أوصيك يا حسن وكفى بك وصيّاً بما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإذا كان ذلك يا بني فالزم بيتك ، وابك على خطيئتك ، ولا تكن الدنيا أكبر همك .

وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها ، والزكاة في أهلها عند محلها ، والصمت عند الشبهة ، والاقتصاد في العمل ، والعدل في الرضا والغضب ، وحسن الجوار ، وإكرام الضيف ، ورحمة المجهود وأصحاب البلاء ، وصلة الرحم ، وحب المساكين ومجالستهم ، والتواضع فإنه من أفضل العبادة ، وقصر الأمل ، وذكر الموت ، والزهد في الدنيا فإنك رهن موت ، وغرض بلاء ، وطريح سقم .

وأوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلانيته ، وأنهاك عن التسرع بالقول والفعل ، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به ، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشدك فيه .

وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء ، فإن قرين السوء يغير جليسه . وكن لله يا بني عاملاً ، وعن الخنا[١] زجوراً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، وواخ الاخوان في الله ، وأحب الصالح لصلاحه ، ودار الفاسق عن دينك ، وأبغضه بقلبك ، وزايله بأعمالك لئلّا تكون مثله .

وإياك والجلوس في الطرقات ، ودع المماراة[٢] ومجاراة من لا عقل له ولا علم .

(١) الخنا : الفحش في القول .

(٢) المماراة : المجادلة وللجاجة والطعن في القول تزييفاً للقول وتصغيرا للقائل ، والمجاراة : الجري مع الناس في المناظرة والجدال.

واقتصد يا بني في معيشتك ، واقتصد في عبادتك ، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه .

والزم الصمت تسلم ، وقدم لنفسك تغنم ، وتعلم الخير تعلم ، وكن لله ذاكراً على كل حال ، وارحم من أهلك الصغير ، ووقر منهم الكبير ، ولا تأكلن طعاماً حتى تصدق منه قبل أكله .

وعليك بالصوم فإنه زكاة البدن وجنة لأهله ، وجاهد نفسك ، واحذر جليسك ، واجتنب عدوك ، وعليك بمجالس الذكر ، وأكثر من الدعاء فإني لم آلك يا بني نصحاً ، وهذا فراق بيني وبينك .

وأوصيك بأخيك محمد خيراً فإنه شقيقك وابن أبيك ، وقد تعلم حبي له .

وأما أخوك الحسين فهو ابن أُمّك ، ولا أزيد الوصاة بذلك ، والله الخليفة عليكم ، وإيّاه أسأل أن يصلحكم ، وأن يكف الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى يتولّى الله الأمر ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .[1]

الوصية بالامامة

عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : هذه وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وهي نسخة كتاب سليم بن قيس الهلالي رفعها إلى أبان وقرأها عليه .

قال أبان : وقرأتها على علي بن الحسين عليهما السلام .

---

(١) أمالي الشيخ المفيد : ٢٢٠ .

فقال : صدق سليم رحمه الله .

قال سليم : فشهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام ، وأشهد على وصيّته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته وقال :

يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي ، ثم أقبل عليه فقال : يا بني أنت ولي الأمر وولي الدم ، فإن عفوت فلك ، وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تأثم .

فلما فرغ من وصيّته قال : حفظكم الله وحفظ فيكم بنيكم أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله .

ثم لم يزل يقول : لا إله إلّا الله ، حتى قبض .(١)

ليلة الحادي والعشرون، الليلة الأخيرة

قال محمد بن الحنفية : لما كانت ليلة إحدى وعشرين وأظلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم ، ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأوصاهم الجميع منهم بلزوم الايمان والأديان والأحكام التي أوصاه بها رسول الله صلى الله عليه وآله . فمن ذلك ما نقل عنه عليه السلام أنه أوصى به الحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه الملعون ابن ملجم و هي هذه :

اوصيكما بتقوى الله ... الخ .

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي : ١٩٤ .

قال : ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف ، حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً ، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه ، ثم أصبح ثقيلاً ، فدخل الناس عليه ، فأمرهم ونهاهم وأوصاهم ، ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب فنظرنا إلى شفتيه وهما يختلجان بذكر الله تعالى ، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده قلت : يا أبت أراك تمسح جبينك ؟

فقال : يا بني إني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنينه ، ثم قال : يا أبا عبدالله ويا عون ، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد ، وجعل يودعهم ويقول : الله خليفتي عليكم أستودعكم الله وهم يبكون .

فقال له الحسن عليه السلام : يا أبه ما دعاك إلى هذا ؟

فقال له : يا بني إني رأيت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة ، فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والاذى من هذه الأُمة ، فقال لي : ادع عليهم .

فقلت : اللهمَّ أبدلهم بي شرّاً مني وأبدلني بهم خيراً منهم .

فقال لي : قد استجاب الله دعاك ، سينقلك إلينا بعد ثلاث ، وقد مضت الثلاث ، يا أبا محمد اوصيك – ويا أبا عبد الله – خيراً ، فأنتما مني وأنا منكما ، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة عليها السلام وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة ـ يعني الحسن والحسين عليهما السلام ـ.

ثم قال : أحسن الله لكم العزاء ، ألا وإني منصرف عنكم ، وراحل في ليلتي هذه ، ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله كما وعدني ، فإذا أنا مت يا أبا محمد فغسلني

وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل عليه السلام إليه ، ثم ضعني على سريري ، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير ، واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه ، فأي موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر ، فحيث قام سريري فهو موضع قبري ، ثم تقدم يا أبا محمد وصل عليَّ يا بني يا حسن وكبّر عليَّ سبعاً ، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلّا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي ، من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق ، فإذا أنت صلّيت عليَّ يا حسن فنح السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة ، فأضجعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنك لا تجدني ، وإني لاحق بجدك رسول الله صلى الله عليه وآله .

واعلم يا بني ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عزّ وجل بين روحيها وجسديهما ، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه ، ثم اشرج اللحد باللبن وأهل التراب علي ثم غيب قبري[1] .

ثم يا بني بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظهر الكوفة على ناقة ، وامر بمن يسيرها بما عليها كأنها تريد المدينة ، بحيث يخفى على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه ، وكأني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ههنا وههنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة .

ثم قال : يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ههنا ، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

---

(١) وكان غرضه عليه السلام بذلك لئلا يعلم بموضع قبره أحد من بني أُمية ، فإنهم لو علموا بموضع قبره لحفروه وأخرجوه وأحرقوه كما فعلوا بزيد بن علي بن الحسين عليه السلام .

ثم قال : يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأُمة ، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه ، ثم اغمي عليه ساعة ، وأفاق وقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكلهم يقولون : عجّل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون ، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلّهم وقال : أستودعكم الله جميعاً ، سددكم الله جميعاً ، حفظكم الله جميعاً ، خليفتي عليكم الله وكفى بالله خليفة .

ثم قال : وعليكم السلام يا رسل ربّي ، ثم قال : لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ ، وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً ، وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهد الشهادتين ، ثم استقبل القبلة وغمض عينيه ومدّ رجليه ويديه وقال : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قضى نحبه عليه السلام .

وكانت وفاته في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ، وكانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة.

قال : فعند ذلك صرخت زينب بنت علي عليه السلام وأُم كلثوم وجميع نسائه ، وقد شقوا الجيوب ولطموا الخدود ، وارتفعت الصيحة في القصر ، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض ، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً أفواجاً ، وصاحوا صيحة عظيمة ، فارتجت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب ، وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها ، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أظلم الليل تغير أُفق السماء وارتجت الأرض وجميع من عليها بكوه وكنا نسمع جلبة وتسبيحاً في الهواء ، فعلمنا أنها من أصوات الملائكة ، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر ، ثم ارتفعت الأصوات وسمعنا هاتفاً بصوت يسمعه الحاضرون ولا يرون شخصه يقول :

بنفسي ومالي ثم أهلي واسرتي فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجم
علي رقى فوق الخلائق في الوغى فهدت به أركان بيت المحرم
علي أمير المؤمنين ومن بكت لمقتله البطحا وأكناف زمزم
يكاد الصفا والمشعران كلاهما يهدا وبان النقص في ماء زمزم
وأصبحت الشمس المنير ضياؤها لقتل علي لونها لون دلهم(١)
وضل له افق السماء كآبة كشقة ثوب لونها لون عندم
وناحت عليه الجن إذ فجعت به حنيناً كثكلى نوحها بترنم
وأضحى إليها الجود والنبل مقتما وكان التقى في قبره المتهدم
وأضحى التقى والخير والحلم والنهى وبات العلى في قبره المتهدم
يكاد الصفا والمستجار كلاهما يهدا وبان النقص في ماء زمزم
لفقد علي خير من وطىء الحصى أخا العالم الهادي النبي المعظم(٢)

قاتل أمير المؤمنين عليه السلام

بدون أي شك انّ قاتل أمير المؤمنين عليه السلام هو رجل من قبيلة مراد يدعى عبدالرحمن بن ملجم، والأخبار والأحاديث حول قتله لأمير المؤمنين عليه السلام تمتلىء بها المصادر التاريخية. ولكن هل كان عبد الرحمن وحده في هذه المؤامرة، أم ان هناك أشخاص آخرين ؟

---

(١) الدلهم : المظلم .

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٩٠ .

فمن خلال مراجعة العشرات من الروايات والأحاديث نستطيع أن نـحدد خيوط مؤامرة قتل أمير المؤمنين عليه السلام ومن أشترك بها غير ابن مـلجم، ولأجـل ايضاح هذه القضية أكثر نذكر الأُمور التالية :

١ ـ المخططون للمؤامرة :

انّ من خطط لهذه المؤامرة المشؤومة هم قتلة أصـحاب أمـير المـؤمنين المخلصين، الذين قتلوا عمّار بن ياسر في صفين، وقتلوا محمد بن أبي بكر في مصر، ومالك الأشتر في القلزم.

فلقد عمل هؤلاء على قتل أمير المؤمنين عليه السلام رويداً رويـداً، وذلك بـقتل أصحابه الأوفياء، واثارة الفتن والحروب بين المسلمين، ليتسنى لهم في النهاية القضاء على أمير المؤمنين عليه السلام .

قال أبو مخنف : جاء رجل من مراد إلى أمـير المـؤمنين عليه السلام يـصلّي فـي المسجد ، فقال : احترس فإن اناساً من مراد يريدون قتلك .

فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه ما لم يقدر ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه ، وإن الأجل جنة حصينة .

وقال الشعبي : أنشد أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يستشهد بأيام :

تـلكم قـريش تـمناني لتـقتلني ... فلا وربك مـا فـازوا ولا ظـفروا
فـإن بـقيت فـرهن ذمـتي لهـم ... وإن عـدمت فـلا يـبقى لهـا أثـر
وسوف يورثهم فقدي على وجل ... ذل الحياة بما خانوا وما غدروا[1]

---

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٢٢ .

وقد أشار أمير المؤمنين كذلك في خطبته التاسعة في نهج البلاغة .

يقول أبو مخنف الأزدي : أنه اجتمع نفر من الخوارج بمكة فقالوا : إنا شرينا أنفسنا لله – وساق الحديث نحواً مما مر إلى قوله – واستعان ابن ملجم بشبيب بن بجرة ، وأعانه رجل من وكلاء عمرو بن العاص بخط فيه مائة ألف درهم ، فجعله مهرها ـ أي مهر قطام ـ ، فأطعمت لهما اللوزينج والجوزيبق ، وسقتهما الخمر العكبري ، فنام شبيب وتمتع ابن ملجم معها ، ثم قامت فأيقظتهما ، وعصبت صدورهم بحرير ، وتقلدوا أسيافهم ، وكمنوا له مقابل السدة .[١]

٢ ـ المنافقون والجواسيس :

القسم الثاني الذي ساهم في قتل أمير المؤمنين عليه السلام هم المنافقون والجواسيس المنتشرون بين أصحاب الإمام.

قال أبو الفرج : رأيت الأشعث بن قيس دخل على علي عليه السلام فأغلظ له علي ، فعرض له الأشعث بأن يفتك به .

فقال له علي عليه السلام : أبا الموت تهددني ، فوالله ما أُبالي وقعت على الموت ، أو وقع الموت عليَّ .[٢]

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام ، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ، ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام .[٣]

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٣ : ٣١١ .

(٢) مقاتل الطالبيين : ٢١ .

(٣) الكافي ٨ : ١٦٧ .

٣ ـ منفّذي المؤامرة وقتلة أمير المؤمنين عليه السلام

وهؤلاء يتمثلون في بعض الخوارج، وقطام بنت الأخضر ـ التي قُتل أبيها وأخيها في معركة النهروان ـ. أما مكان تنفيذ المؤامرة فهو مسجد الكوفة عند صلاة الفجر.

قال الشيخ المفيد: وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وواطاهم عليه، وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه.

وكان حجر بن عدي رحمة الله عليه في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح، فأحسّ حجر بما أراد الأشعث فقال له: قتلته يا أعور.

وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويحذره الخبر ويحذره من القوم، وخالفه أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف، وأقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين.[١]

تجهيز ودفن أمير المؤمنين عليه السلام

عن أبي عبد الله الجدلي قال: استنفر علي بن أبي طالب عليه السلام الناس في قتال معاوية في الصيف، وقد حضرته عليه السلام وهو يوصي الحسن عليه السلام فقال: يا بني إني ميت من ليلتي هذه، فإذا أنا مت فاغسلني وكفنني وحنطني بحنوط جدك،

---

(١) الارشاد ١ : ١٩

وضعني على سريري ، ولا يقربن أحد منكم مقدم السرير فإنكم تكفونه ، فإذا حمل المقدم فاحملوا المؤخر ، وليتبع المؤخر المقدم حيث ذهب فإذا وضع المقدم فضعوا المؤخر ، ثم تقدم أي بني فصلّ عليَّ ، فكبّر سبعاً فإنها لن تحل لأحد من بعدي إلّا لرجل من ولدي يخرج في آخر الزمان يقيم اعوجاج الحق ، فإذا صلّيت فخط حول سريري ، ثم احفر لي قبراً في موضعه إلى منتهى كذا وكذا ، ثم شق لحداً فإنك تقع على ساجة منقورة ادخرها لي أبي نوح ، وضعني في الساجة ، ثم ضع علي سبع لبن كبار ، ثم ارقب هنيئة ، ثم انظر فإنك لن تراني في لحدي .[1]

وعن عبد الرحيم القصير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أمير المؤمنين مدفون في قبر نوح .

قال : قلت : ومن نوح ؟

قال : نوح النبي عليه السلام .

قلت : كيف صار هكذا ؟

فقال : إن أمير المؤمنين صديق هيأ الله له مضجعه في مضجع صديق ، يا عبد الرحيم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرنا بموته وبموضع دفن فيه ، فأنزل الله عزّ وجل حنوطاً من عنده مع حنوط أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخبره أن الملائكة تنشر له قبره ، فلما قبض عليه السلام كان فيما أوصى به ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام إذ قال لهما : إذا مت فغسلاني وحنطاني واحملاني بالليلة سراً ، واحملا يا ابني مؤخر السرير واتبعا مقدمه فإذا وضع فضعا ، وادفناني في القبر الذي يوضع السرير عليه

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٢١٥ .

وادفناني مع من يعينكما على دفني في الليل ، وسويا .[١]

وعن جابر بن يزيد قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام أين دفن أمير المؤمنين ؟

قال : دفن بناحية الغريين ، ودفن قبل طلوع الفجر ، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنو علي عليهم السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه .[٢]

قال ابن الحنفية : والله لقد نظرت إلى السرير وإنه ليمر بالحيطان والنخل فتنحني له خشوعا ، ومضى مستقيماً إلى النجف إلى موضع قبره الآن .[٣]

ولقد كان الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان خلف الجنازة وهما يبكيان وكان الحسين عليه السلام يقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا ابتاه وانقطاع ظهراه .[٤]

قبر أمير المؤمنين عليه السلام

قال أحمد بن حبّاب: انّ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى أطراف الكوفة، فقال: كم منظرك جميل، رزقني الله قبراً فيك .[٥]

وذكر ابن عبد البر: ان هناك اختلافاً بين المؤرخين في محل دفن أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال البعض: انّه دفن في دار الامارة بالكوفة، وقال آخرون: انّه

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٢١٩ .
(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٢٠ .
(٣) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٩٥ .
(٤) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٩٥ .
(٥) بحار الأنوار ٤٢ : ٢١٦ .

دفن في الرحبة، وقال غيرهم: انّه دفن في النجف.

وجاء في رواية عن الامام الباقر عليه السلام: انّ محل دفن أمير المؤمنين عليه السلام مجهول.[١]

وفي وصيته عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: ثم يا بني بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظهر الكوفة على ناقة، وامر بمن يسيرها بما عليها كأنها تريد المدينة، بحيث يخفى على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه.[٢]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام أمر ابنه الحسن عليه السلام أن يحفر له أربع قبور في أربع مواضع: في المسجد، وفي الرحبة، وفي الغري، وفي دار جعدة بن هبيرة، وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره.[٣]

وعن أبي مطر قال: لما ضرب ابن ملجم الفاسق لعنه الله أمير المؤمنين عليه السلام قال له الحسن عليه السلام: أقتله؟ قال: لا ولكن احبسه فإذا مت فاقتلوه فإذا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخوي هود وصالح.[٤]

وعن عبد الرحيم القصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أمير المؤمنين مدفون في قبر نوح.[٥]

وذكر ابن شهرآشوب في المناقب: انّ أمير المؤمنين أمر الحسن والحسين عليهما السلام أن يدفناه هناك، ويعفيا قبره، لما يعلمه من دولة بني أُمية بعده،

---

(١) الاستيعاب ٣: ١١٢٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٢.

(٣) بحار الأنوار ٤٢: ٢١٤.

(٤) بحار الأنوار ٤٢: ٢١٨.

(٥) بحار الأنوار ٤٢: ٢١٩.

وقال : ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً ، فاحتفرا فوجدا ساجة مكتوباً عليها : مما ادخرها نوح لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، فدفناه فيه وعفيا أثره .(١)

وقال الطبرسي : وعميا ـ أي الحسن والحسين عليهما السلام ـ موضع قبره بوصيته اليهما في ذلك لما كان يعلم من دولة بني أُمية من بعده وإنهم لا ينتهون عما يقدرون عليه من قبيح الأفعال ولئيم الخلال ، فلم يزل قبره مخفياً حتى دلّ عليه الصادق عليه السلام .(٢)

وعن الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان في وصية أمير المؤمنين صلوات الله عليه : أن أخرجوني إلى الظهر ، فإذا تصوبت أقدامكم فاستقبلتكم ريح فادفنوني ، وهو أول طور سيناء ، ففعلوا ذلك .(٣)

وعن صفوان الجمال ، قال : كنت وعامر بن عبد الله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبد الله عليه السلام ، فقال له عامر : ان الناس يزعمون ان أمير المؤمنين عليه السلام دفن بالرحبة .

فقال : لا .

قال : فأين دفن ؟

قال : انه عليه السلام لما مات حمله الحسن عليه السلام فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف .(٤)

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٧٨.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى ١ : ٣١٢.

(٣) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٢٠.

(٤) كامل الزيارات : ٨١.

خطبة صعصعة على قبر أمير المؤمنين عليه السلام

قال الراوي : لما الحد أمير المؤمنين عليه السلام وقف صعصعة بن صوحان العبدي رضي الله عنه على القبر ، ووضع إحدى يديه على فؤاده والأُخرى قد أخذ بها التراب ويضرب به رأسه ، ثم قال : بأبي أنت وأُمي يا أمير المؤمنين ، ثم قال : هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فلقد طاب مولدك ، وقوي صبرك ، وعظم جهادك ، وظفرت برأيك ، وربحت تجارتك ، وقدمت على خالقك ، فتلقاك الله ببشارته ، وحفتك ملائكته ، واستقررت في جوار المصطفى ، فأكرمك الله بجواره ، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى ، وشربت بكأسه الأوفى ، فاسأل الله أن يمنَّ علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك ، والموالاة لأوليائك ، والمعاداة لأعدائك ، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك ، فقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه أحد ، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده ، وقمت بدين الله حق القيام ، حتى أقمت السنن ، وأبرت الفتن واستقام الاسلام ، وانتظم الايمان ، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام ، بك اشتد ظهر المؤمنين ، واتضحت أعلام السبل ، واقيمت السنن ، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك ، سبقت إلى إجابة النبي صلى الله عليه وآله مقدماً مؤثراً ، وسارعت إلى نصرته ، ووقيته بنفسك ، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر ، قصم الله بك كل جبار عنيد ، وذلّ بك كل ذي بأس شديد وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى ، وقتل بك أهل الضلال من العدى ، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين ، كنت أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله قرباً وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً وفهماً ، فهنيئاً لك يا أبا الحسن ، لقد شرف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نسباً ، وأولهم إسلاماً ، وأوفاهم يقيناً ، وأشدّهم قلباً ، وأبذلهم لنفسه مجاهداً ، وأعظمهم في الخير نصيباً ، فلا حرمنا الله أجرك ولا

أذلنا بعدك ، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح للخير ومغالق للشر ، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير ، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة .

ثم بكى بكاء شديداً وأبكى كل من كان معه ، وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس ويحيى وعون وعبد الله عليهم السلام فعزوهم في أبيهم صلوات الله عليه ، وانصرف الناس ، ورجع أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وشيعتهم إلى الكوفة ، ولم يشعر بهم أحد من الناس ، فلما طلع الصباح وبزغت الشمس أخرجوا تابوتاً من دار أمير المؤمنين عليه السلام وأتوا به إلى المصلّى بظاهر الكوفة ، ثم تقدم الحسن عليه السلام وصلّى عليه ، ورفعه على ناقة وسيرها مع بعض العبيد .[١]

الأحداث بعد الدفن

عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأل هشام بن عبد الملك أبي عليه السلام فقال : أخبرني عن الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب عليه السلام بما استدل النائي عن المصر الذي قتل فيه علي وما كانت العلامة فيه للناس ؟ وأخبرني هل كانت لغيره في قتله عبرة ؟

فقال له أبي : إنه لما كانت الليلة التي قتل فيها علي صلوات الله عليه لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر ، وكذلك كانت الليلة التي فقد فيها هارون أخو موسى صلوات الله عليهما ، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون ، وكذلك كانت الليلة التي رفع عيسى بن مريم صلوات

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٩٥ .

الله عليه ، وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين صلوات الله عليه .[١]

وعن اسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتج الموضع بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض النبي صلى الله عليه وآله و جاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع وهو يقول : اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : رحمك الله يا أبا الحسن ، كنت أوّل القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناء ، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وآمنهم على أصحابه ، وأفضلهم مناقب ، وأكرمهم سوابق ، وأرفعهم درجة ، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً ، وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن الاسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً .

قويت حين ضعف أصحابه ، وبرزت حين استكانوا ، ونهضت حين وهنوا ، ولزمت منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله إذ هم أصحابه ، وكنت خليفته حقّاً ، لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين ، وغيظ الكافرين ، وكره الحاسدين ، وصغر الفاسقين .

فقمت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت حين تتعتعوا ، ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، فاتبعوك فهدوا ، وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلاهم قنوتاً وأقلّهم كلاماً ، وأصوبهم نطقاً ، وأكبرهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم بالأُمور .

كنت والله يعسوباً للدين ، أولاً وآخراً : الأوّل حين تفرق الناس ، والآخر حين فشلوا ، كنت للمؤمنين أباً رحيماً ، إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملت أثقال ما

---

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٣٠٢ .

عنه ضعفوا ، وحفظت ما أضاعوا ، ورعيت ما أهملوا ، وشمرت إذ اجتمعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ أسرعوا ، وأدركت أوتار ما طلبوا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.(١)

وعن سليمان بن يسار قال : رأيت ابن عباس لما توفي أمير المؤمنين ﷺ بالكوفة وقد قعد على المسجد محتبياً ووضع فرقه على ركبتيه وأسند يده تحت خده وقال : أيها الناس إني قائل فاسمعوا من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، سمعت عن رسول الله يقول : إذا مات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واخرج من الدنيا ظهرت في الدنيا خصال لا خير فيها .

فقلت : وما هي يا رسول الله ؟

فقال : تقل الأمانة ، وتكثر الخيانة حتى يركب الرجل الفاحشة وأصحابه ينظرون إليه ، والله لتضايق الدنيا بعده بنكبة ، ألا وإن الأرض لم تخل مني ما دام علي بن أبي طالب حياً في الدنيا بقية من بعدي ، علي في الدنيا عوض مني بعدي ، علي كجلدي ، علي لحمي ، علي عظمي ، علي كدمي ، علي عروقي علي أخي ووصيي في أهلي ، وخليفتي في قومي ، ومنجز عداتي ، وقاضي ديني ، قد صحبني علي في ملمات أمري ، وقاتل معي أحزاب الكفار ، وشاهدني في الوحي وأكل معي طعام الأبرار ، وصافحه جبرئيل ﷺ مراراً نهاراً جهاراً وشهد جبرئيل وأشهدني أن علياً ﷺ من الطيبين الاخيار ، وأنا أشهدكم معاشر الناس لا يتسائلون من علم آمركم ما دام علي فيكم ، فإذا فقدتموه فعند ذلك تقوم الآية : **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾**.(٢)

---

(١) الكافي ١ : ٤٥٤ .

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ٣١٠ .

خطبة الإمام الحسن عليه السلام

لما أصبح اليوم الأوّل من شهادة أمير المؤمنين، قام الإمام الحسن عليه السلام خطيباً على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين عليه السلام والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الاوصياء إلى الجنة، ولا من يكون بعده، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله.[١]

تاريخ الشهادة

قال محمد بن إسحاق: ضرب علي عليه السلام ليلة التاسع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة، وفارق عليه السلام الحياة ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان.[٢]

وقال الشيخ المفيد: وكانت وفاة أمير المؤمنين عليه السلام قبيل الفجر من ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة قتيلاً بالسيف.[٣]

وقال ابن البطريق: وكانت وفاته عليه السلام ليلة الجمعة احدى وعشرين من شهر

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٠٢.

(٢) مقتل أبي الدنيا: ٥٩ ح ٤٠.

(٣) الارشاد ١: ٩.

رمضان سنة أربعين من الهجرة ، قتيلاً بالسيف ، قتله اللعين ابن ملجم المرادي في مسجد الكوفة وقد خرج عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة من شهر رمضان وقد كان ارتصده من أول الليل لذلك . فلما مرّ به في المسجد وهو مستخف بأمره باظهار النوم في جملة النيام ثار إليه فضرب على أُم رأسه بالسيف وكان مسموماً ، فمكث يوم تسعة عشر وليلة عشرين ويومها وليلة احدى وعشرين الى نحو الثلث الأخير من الليل ، ثم قضى نحبه عليه السلام شهيداً ولقى ربّه - سبحانه وتعالى - مظلوماً ، وقد كان يعلم بذلك قبل أوانه ويخبر به الناس قبل زمانه .(١)

وقال الكليني : وقتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة ، بقي بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة .(٢)

وعن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ، وهي الليلة التي أُصيب فيها سيد أوصياء الانبياء ، وفيها رفع عيسى بن مريم وقبض موسى عليه السلام .(٣)

وروى ابن عبد البر عن أبي عبد الرحمن بن سلمى : ضرب أمير المؤمنين عليه السلام فجر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، وهو نفس اليوم الذي حدثت به غزوة بدر .(٤)

---

(١) العمدة : ٢٩ .
(٢) الكافي ١ : ٤٥٢ .
(٣) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٠١ .
(٤) الاستيعاب ٣: ١١٢٧ .

ضرار بن ضمرة يصف أمير المؤمنين عليه السلام

عن أبي صالح ، قال : دخل ضرار بن ضمرة الكتاني على معاوية فقال له : صف لي علياً .

فقال : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا أعفيك !

قال له : وإذ لا بدّ منه فانّه : والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، ينفجر العلم من جوانبه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ! كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفّه ويخاطب نفسه ، ويعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما جشب ! كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكان مع تقربه الينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ، فان تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم . كان يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه – وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه – يتمثّل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا يا ربنا – يتضرع إليه – ويقول للدنيا : أبي تعرضت ؟ ألي تشوفت ؟ هيهات هيهات غري غيري قد طلقتك ثلاثاً فعمرك قصير ، وعيشك حقير وخطرك يسير ، آه آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء .[1]

---

(١) نهج السعادة ٣ : ١٩٩ .

خبر شهادته ﷺ في المدائن

قال الشعبي: أخبرني زحر بن قيس الجعفي قال: بعثني علي على أربعمائة من أهل العراق وأمرنا أن ننزل المدائن رابطة.

قال: فوالله إنا لجلوس عند غروب الشمس على الطريق إذ جاءنا رجل قد أعرق دابته، قال: فقلنا: من أين أقبلت؟

فقال: من الكوفة.

فقلنا: متى خرجت؟

قال: اليوم.

قلنا: فما الخبر؟

قال: خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة صلاة الفجر فابتدره بن بجدة وابن ملجم فضربه أحدهما ضربة، إن الرجل ليعيش مما هو أشد منها، ويموت مما هو أهون منها.

قال: ثم ذهب.

فقال عبد الله بن وهب السبائي ورفع يده إلى السماء: الله أكبر الله أكبر!

قال: قلت له: ما شأنك؟

قال: لو أخبرنا هذا أنه نظر إلى دماغه قد خرج عرفت أن أمير المؤمنين لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه.

قال: فوالله ما مكثنا إلّا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب الحسن بن علي:

من عبد الله حسن أمير المؤمنين، إلى زحر بن قيس، أما بعد: فخذ البيعة على من قبلك.

قال: فقلنا: أين ما ؟

قلت: قال: ما كنت أراه يموت .[١]

خبر شهادته عليه السلام في المدينة

روى مسروق ، أنه قال: دخلت على عائشة ، فجلست احدثها ، واستدعت غلاماً لها أسود ، يقال له: عبد الرحمن ، فجاء حتى وقف .

فقالت: يا مسروق أتدري لم سمّيته عبد الرحمن ؟

فقلت: لا .

فقالت: حبّاً منّي لعبد الرحمن بن ملجم .[٢]

وكان أهل المدينة كسائر البلاد الاسلامية، تأثرت كثيراً بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام ، قال الطبري: ولما انتهى إلى عائشة قتل علي عليه السلام قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى　　كما قرّ عيناً بالاياب المسافر

ثمّ قالت: فمن قتله ؟

فقيل: رجل من مراد .

فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه　　غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا ؟

---

(١) تاريخ بغداد ٨: ٤٩٠ .

(٢) شرح الأخبار ٢: ٧١ .

فقالت: إني أنسى، فإذا نسيت فذكروني.

وكان الذي ذهب بنعيه سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص.[١]

خبر شهادته عليه السلام في البصرة

عندما وصل خبر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعة الامام الحسن عليه السلام إلى البصرة، قام أبو الأسود خطيباً، حيث صعد المنبر وابلغ الناس بفاجعة استشهاد الإمام عليه السلام ثم أنشد:

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ... ألا ابكي أمير المؤمنينا
رزينا خير من ركب المطايا ... وحثحثها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راق الناظرينا
يقيم الحد لا يرتاب فيه ... ويقضي بالفرائض مستبينا
ألا ابلغ معاوية بن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي الشهر الحرام فجعتمونا ... بخير الناس طرا أجمعينا
ومن بعد النبي فخير نفس ... أبو حسن وخير الصالحينا
كأن الناس إذ فقدوا علياً ... نعام جال في بلد سنينا
وكنا قبل مهلكه بخير ... نرى فينا وصي المسلمينا
فلا والله لا أنسى علياً ... وحسن صلاته في الراكعينا

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٥٠.

لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسباً وديناً
فلا تشمت معاوية بن حرب فإن بقية الخلفاء فينا

ونزل أبو الأسود من المنبر وهو يرتجف.[1]

الشام

وهو البلد الوحيد الذي سرّ بقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فعندما وصل الخبر إلى أسماع معاوية، دعا احدى جواريه وطلب منها أن تغني له، فسألته الجارية عن سبب الفرح الذي يغمره، فقال: يقولون انّ علي قد قتل!

أبو أُمامة الباهلي

دخل أبو أمامة الباهلي على معاوية، فقرّبه وأدناه ثم دعا بالطعام، فجعل يطعم أبا اُمامة بيده، ثم أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده، وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه، ثم قال: يا أبا اُمامة بالله أنا خير أم علي بن أبي طالب؟

فقال أبو أمامة! نعم ولا كذب ولو بغير الله سألتني لصدقت، علي والله خير منك وأكرم وأقدم إسلاماً، وأقرب إلى رسول الله قرابة وأشد في المشركين نكاية، وأعظم عند الاُمة غناء، أتدري من علي يا معاوية؟ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته سيدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وابن أخي حمزة سيد الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت من

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٩٧.

هذا يا معاوية ؟

أظننت أني سأخيرك على علي بألطافك وطعامك و عطائك فأدخل إليك مؤمناً وأخرج منك كافراً ؟ بئس ما سولت لك نفسك يا معاوية .

ثم نهض وخرج من عنده ، فأتبعه بالمال فقال : لا والله لا أقبل منك ديناراً واحداً .[١]

أبو الطفيل ومعاوية

قدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية ، فأُخبر معاوية بقدومه ، فأرسل إليه ، فأتاه وهو شيخ كبير ، فلما دخل عليه ، قال له معاوية : أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة ؟

قال : نعم .

قال معاوية : أكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين ؟

قال : لا ، ولكن ممن شهد فلم ينصره .

قال : ولم ؟

قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار .

فقال معاوية : أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقاً واجباً وفرضاً لازماً ، فإذ ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله ، وأصاركم إلى ما رأيتم .

فقال أبو الطفيل : فما منعك يا أمير المؤمنين ، إذ تربصت به ريب المنون ، أن

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ١٧٩ .

تنصره ومعك أهل الشام ؟

فقال معاوية : أو ما ترى طلبي لدمه نصرة له .

فضحك أبو الطفيل وقال : بلى ولكني وإياك ، كما قال عبيد بن الأبرص :

لا أعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر إليهم معاوية ، ثم قال : أتعرفون هذا الشيخ ؟

قالوا : لا .

فقال معاوية : هذا خليل علي بن أبي طالب ، وفارس صفين ، وشاعر أهل العراق ، هذا أبو الطفيل .

قال سعيد بن العاص : قد عرفناه يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك منه ؟ وشتمه القوم ، فزجرهم معاوية ، وقال : مهلاً فربّ يوم ارتفع عن الاسباب قد ضقتم به ذرعاً ، ثم قال : أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل ؟

قال : ما أنكرهم من سوء ، ولا أعرفهم بخير ، وأنشد شعراً :

فإن تكن العداوة قد أكنت فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ما أبقى لك الدهر من حبّ علي ؟

قال : حب أُم موسى ، وأشكو إلى الله التقصير .[1]

---

(١) مواقف الشيعة ٢ : ٤٢١ .

الفصل الثالث عشر

زوجات وأبناء الإمام علي عليه السلام



زوجات الإمام عليه السلام

١ ـ فاطمة الزهراء عليها السلام: أول زوجاته عليه السلام، بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يتزوّج في حياتها غيرها حبّاً وكرامة لها، ابنائها الحسن والحسين عليهما السلام، وابن ثالث هو «محسن» مات في طفولته[١].

قال الطبري: أول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده، وكان لها منه من الولد الحسن والحسين ويذكر أنه كان لها منه ابن آخر يسمى محسناً توفى صغيراً وزينب الكبرى وأُم كلثوم الكبرى.[٢]

وقد تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام بأمر من الله.[٣]

٢ ـ أُمامة بنت زينب: وتزوج علي امامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله (بنت أبي العاص بن الربيع) بعد وفاة فاطمة صلوات الله عليها بوصية منها معلّلة بأنها تكون لولدها مثلها، وقد زوجها منه عليه السلام الزبير لأن أباها قد أوصاه بها.

حكي انه لما جرح أمير المؤمنين عليه السلام خاف ان يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب أن يتزوجها بعده، فلما توفي أمير

(١) تذكر بعض الروايات ان الزهراء عليها السلام أسقطت محسناً بعد حادثة السقيفة.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ١١٨.

(٣) ذكر ابن دحلان: ان أبا بكر وعمر خطبا فاطمة لنفسيهما، فلم يزوجها النبي صلى الله عليه وآله لأي منهما، وقال بأنّه ينتظر أمر السماء في ذلك. انظر: سيرة زيني دحلان ٢ : ٦.

المؤمنين وقضت العدة تزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنّى فهلكت عند المغيرة.[١]

وقد رزق أمير المؤمنين عليه السلام من أُمامة بولد هو محمد الأوسط.[٢]

٣ ـ خولة الحنفية : خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة، هي سبية في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً عليه السلام إلى اليمن، فأصاب خولة وقد ارتدوا مع عمرو بن معدي كرب، فصارت في سهم علي عليه السلام.

وروري كذلك : إن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة بنت جعفر، وقدموا بها المدينة فباعوها من علي عليه السلام، وبلغ قومها خبرها، فقدموا المدينة على علي فعرفوها، وأخبروه بموضعها منهم، فأعتقها ومهرها وتزوجها، فولدت له محمداً فكناه أبا القاسم.

وروي: ان الحنفية أُدخلت إلى المدينة مع السبايا في زمن أبي بكر، فلما نظرت إلى جميع الناس عدلت إلى تربة رسول الله صلى الله عليه وآله فرنت وزفرت زفرة وأعلنت بالبكاء والنحيب ثم نادت : السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك من بعدك هؤلاء أُمتك سبينا سبي النوب والديلم، والله ما كان لنا إليهم من ذنب إلا الميل إلى أهل بيتك، فجعلت الحسنة سيئة والسيئة حسنة فسبينا، ثم انعطفت إلى الناس وقالت : لِم سبيتمونا وقد أقررنا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله.

قالوا : منعتمونا الزكاة !

(١) الكنى والألقاب ١ : ١١٥.
(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ٩٢.

قالت : هب الرجال منعوكم فما بال النسوان ؟ فسكت المتكلم كأنما القم حجراً ، ثم ذهب إليها طلحة وخالد يرميان في التزويج إليها ثوبين ، فقالت : لست بعريانة فتكسوني .

قيل : إنهما يريدان أن يتزايدا عليك فأيهما زاد على صاحبه أخذك من السبي !

قالت : هيهات والله لا يكون ذلك أبداً ، ولا يملكني ولا يكون لي ببعل إلا من يخبرني بالكلام الذي قلته ساعة خرجت من بطن أُمي .

فسكت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ، وورد عليهم من ذلك الكلام ما أبهر عقولهم وأخرس ألسنتهم ، وبقي القوم في دهشة من أمرها .

فقال أبو بكر : ما لكم ينظر بعضكم إلى بعض ؟

قال الزبير : لقولها الذي سمعت .

قال أبو بكر : ما هذا الأمر الذي أحصر أفهامكم إنها جارية من سادات قومها ولم يكن لها عادة بما لقيت ورأت ، فلا شك أنها داخلها الفزع وتقول ما لا تحصيل له .

فقالت : رميت بكلامك غير مرمي ، والله ما داخلني فزع ولا جزع ، ووالله ما قلت إلّا حقّاً ، ولا نطقت إلّا فصلاً ، ولا بد أن يكون كذلك وحق صاحب هذا البنية ما كذبت ، ثم سكتت وأخذ طلحة وخالد ثوبيهما وهي قد جلست ناحية من القوم ، فدخل علي بن أبي طالب عليه السلام فذكروا له حالها ، فقال عليه السلام : هي صادقة فيما قالت ، وكان حالتها وقصتها كيت وكيت في حال ولادتها ، وقال : إن كل ما تكلمت به في حال خروجها من بطن أُمها هو كذا وكذا ، وكل ذلك مكتوب على

لوح معها ، فرمت باللوح إليهم لما سمعت كلامه عليه السلام ، فقرؤوها على ما حكى علي بن أبي طالب عليه السلام لا يزيد حرفاً ولا ينقص .

فقال أبو بكر : خذها يا أبا الحسن بارك الله لك فيها .

فبعث علي عليه السلام خولة إلى بيت أسماء بنت عميس ، قال لها : خذي هذه المرأة وأكرمي مثواها ، فلم تزل خولة عند أسماء بنت عميس إلى أن قدم أخوها فتزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام .[1]

قال الطبري: وله محمد بن علي الأكبر الذي يقال له محمد بن الحنيفة أُمه خولة ابنة جعفر بن قيس، ويكنّى بأُمّه .[2]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنه بكنيتي ، فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمداً فكنّاه أبا القاسم .[3]

٤ ـ أُم البنين : أُم البنين بنت حزام من قبيلة بني كلاب، فولد لها منه العباس وجعفر وعبد الله وعثمان قتلوا مع الحسين عليه السلام بكربلاء ولا بقية لهم غير العباس .[4]

٥ ـ ليلى ابنة مسعود بن خالد : وتزوج ليلى ابنة مسعود بن خالد ابن مالك فولدت له عبيدالله وأبا بكر .

زعم هشام بن محمد أنهما قتلا مع الحسين بالطف، وأما محمد بن عمر فانه زعم أن عبيدالله بن علي قتله المختار بن أبي عبيد بالمذار وزعم أنه لا بقية لعبيد

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ١١٨ .

(٣) سفينة البحار ١ : ٣٩.

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ١١٨ .

الله ولا لأبي بكر ابني علي عليه السلام.[١]

٦ ـ أسماء ابنة عميس : وتزوج أسماء ابنة عميس الخثعمية فولدت له فيما حدثت عن هشام بن محمد يحيى ومحمداً الأصغر وقال: لا عقب لهما.

وأما الواقدي فانه قال: أن أسماء ولدت لعلي يحيى وعوناً ابني علي.

ويقول بعضهم: محمد الأصغر لأم ولد، وكذلك قال الواقدي في ذلك، وقال: قتل محمد الاصغر مع الحسين عليه السلام.[٢]

٧ ـ أُمّ سعيد : وتزوج أم سعيد بنت عروة بن مسعود، فولدت له أُم الحسن ورملة الكبرى.[٣]

٨ ـ محياة : وتزوج محياة ابنة امرىء القيس بن عدي، فولدت له جارية، وقد هلكت وهي صغيرة.[٤]

أقول: انّ عدد زوجات أمير المؤمنين عليه السلام حين استشهاده كان أربع نساء.

أبناء الإمام علي عليه السلام

كان له عليه السلام سبعة وعشرون ذكراً وانثى: الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأُم كلثوم من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١١٨.
(٢) تاريخ الطبري ٤ : ١١٨.
(٣) تاريخ الطبري ٤ : ١١٩.
(٤) تاريخ الطبري ٤ : ١١٩.

وأبو القاسم محمد، أُمه خولة بنت جعفر بن الحنفية .

وعمر ورقية كانا توأمين أُمهما الصهباء، ويقال : أُم حبيب التغلبية .

والعباس وجعفر وعثمان وعبد الله الشهداء بكربلاء ، أُمهم أُم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة الكلابية .

وله من أسماء بنت عميس الخثعمية يحيى وعون .

وكان له من ليلى ابنة مسعود الدارمية محمد الأصغر المكنى أبا بكر وعبيدالله .

وكان له خديجة وام هانيء وميمونة وفاطمة لأُم ولد .

وكان له من أُم شعيب الدارمية ـ وقيل أُم مسعود المخزومية ـ أُم الحسن ورملة .

إضافة إلى «محسن» ابن الزهراء عليها السلام ، الذي مات في بطن الزهراء بعد أحداث السقيفة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، حيث ورد اسمه بالعشرات من الروايات في كتب الفريقين.، وعلى هذا الأساس يكون عدد أولاد أمير المؤمنين ٢٨ ذكوراً وأُناثاً .

وأعقب لأمير المؤمنين عليه السلام من البنين خمسة : الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد والعباس وعمر .(١)

قال الطبري: فجميع ولد على لصلبه أربعة عشر ذكراً وسبعة عشر امرأة .

قال الواقدي: كان النسل من ولد علي لخمسة الحسن والحسين ومحمد بن

(١) بحار الأنوار ٤٢ : ٧٤.

الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية .[١]

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

قال ابن مارد لأبي عبد الله عليه السلام : ما لمن زار جدك أمير المؤمنين عليه السلام ؟

فقال : يا ابن مارد، من زار جدي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة ، والله يا ابن مارد ما تطعم النار قدماً تغيرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً .

يا ابن مارد أكتب هذا الحديث بماء الذهب .[٢]

وروى المفيد مرسلاً عن الصادق عليه السلام قال : من ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لم ينظر الله إليه .

ألا تزورون من تزوره الملائكة .[٣]

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١١٩ .

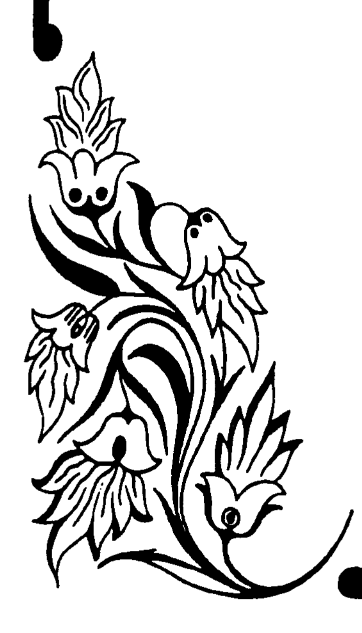
(٢) وسائل الشيعة ١٤ : ٣٧٦ .

(٣) وسائل الشيعة ١٤ : ٣٧٧ .

الفصل الرابع عشر

بعض

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام



سلمان الفارسي

من السابقين للاسلام ومن أهل فارس، فقد روى كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ خط الخندق في غزوة الاحزاب خطة من المذاد فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا بل منا.

فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت.[1]

وقال أنس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين سلمان وحذيفة.[2]

وسئل علي عليه السلام عن سلمان فقال: أوتي العلم الأول والعلم الآخر، لا يدرك ما عنده.[3]

وعن عبد القيس قال: كنت مع سلمان الفارسي وهو أمير على سرية فمر بفتيان من فتيان الجند فضحكوا وقالوا: هذا أميركم؟

فقلت: يا أبا عبد الله ألا ترى هؤلاء ما يقولون؟

---

(١) الطبقات الكبرى ٤ : ٨٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٤ : ٨٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٤ : ٨٥.

قال: دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد هذا اليوم إن استطعت أن تأكل من التراب فكل منه، ولا تكونن أميراً على اثنين، واتق دعوة المظلوم المضطر فإنها لا تحجب.[١]

وقال جعفر بن برقان: بلغني أنه قيل لسلمان الفارسي ما يكرهك الامارة؟

قال: حلاوة رضاعتها ومرارة فطامها.[٢]

وعن امرأة سلمان بقيرة: أنه لما حضرته الوفاة ـ يعني سلمان ـ دعاني وهو في علية له لها أربعة أبو اب فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة، فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي، ثم دعا بمسك له فقال: أديفيه في تنور، ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشي ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فتري على فراشي، فاطلعت فإذا هو قد أخذ روحه فكأنما هو نائم على فراشه ونحوا من هذا.[٣]

وعن عبد الله بن سلام: أن سلمان قال له: أي أخي، أينا مات قبل صاحبه فليتراء له.

قال عبد الله بن سلام: أو يكون ذلك.

قال: نعم إن نسمة المؤمن مخلاة تذهب في الأرض حيث شاءت ونسمة الكافر فيسجن، فمات سلمان.

فقال عبد الله: فبينما أنا ذات يوم قائل بنصف النهار على سرير لي فأغفيت

---

(١) الطبقات الكبرى ٤: ٨٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٤: ٨٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٤: ٩٢.

إغفاءة، إذ جاء سلمان فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقلت: السلام عليك ورحمة الله أبا عبد الله كيف وجدت منزلك؟

قال: خيراً وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل، وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل، وعليك بالتوكل فنعم الشيء التوكل.[١]

وعن سلمان، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أوّلكم وارده عليّ الحوض أوّلكم اسلاماً علي بن أبي طالب.[٢]

سئل علي عن سلمان الفارسي فقال: ذاك امرؤ منا والينا أهل البيت، مَن لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول وقرأ الكتاب الآخر وكان بحراً لا ينزف.[٣]

حذيفة بن اليمان

حذيفة بن اليمان بن حسل؛ ويقال: حسيل، واليمان لقب حسل بن جابر.

وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله فخيره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله أحداً وقتل أبوه بها، ويذكر عند اسمه وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله في المنافقين لم يعلمهم أحد إلّا حذيفة أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وسأله عمر: أفي عمالي أحد من المنافقين؟

---

(١) الطبقات الكبرى ٤: ٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ٢: ٧٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٤: ٨٥.

قال: نعم، واحد.

قال: من هو ؟

قال: لا أذكره.

قال حذيفة: فعزله كأنما دلّ عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فان حضر الصلاة عليه صلّى عليه عمر وان لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر.

وشهد حذيفة الحرب بنهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية وكان فتح همدان والري والدينور على يده، وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج فيها، وكان يسأل النبي صلى الله عليه وآله عن الشر ليتجنبه، وأرسله النبي صلى الله عليه وآله ليلة الأحزاب سرية ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد بدراً لأن المشركين أخذوا عليه الميثاق لا يقاتلهم فسأل النبي صلى الله عليه وآله هل يقاتل أم لا ؟

فقال: بل نفي لهم ونستعين الله عليهم.

وسأل رجل حذيفة: أي الفتن أشد ؟

قال: أن يعرض عليك الخير والشر لا تدري أيهما تركب.

وقال ليث بن أبي سليم: لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً فقيل: ما يبكيك ؟

فقال: ما أبكي أسفاً على الدنيا، بل الموت أحبّ إليَّ، ولكني لا أدرى على ما أقدم على رضى أم على سخط.

وقيل لما حضره الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهمَّ انك تعلم أني أحبك فبارك لي في لقائك ثم مات.

وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة ست وثلاثين .[١]

قنبر

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان قنبر غلام علي عليه السلام يحب علياً عليه السلام حبّاً شديداً ، فإذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف ، فرآه ذات ليلة ، فقال : يا قنبر ما لك ؟

فقال : جئت لأمشي خلفك ، فانَّ الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك يا امير المؤمنين .

قال : ويحك امن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض ؟

فقال : لا ، بل من أهل الارض .

فقال : ان أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلّا بإذن الله من السماء فارجع ، فرجع .[٢]

عن زاذان ، قال : انطلقت مع قنبر غلام علي عليه السلام ، فإذا هو يقول : قم يا أمير المؤمنين ، فقد خبأت لك خبيئاً .

قال : وما هو ، ويحك !

قال : قم معي ، فانطلق به إلى بيته ، وإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتك لا تترك شيئاً إلّا قسمته ، فادخرت لك هذا من بيت المال ؟

(١) أسد الغابة ١ : ٣٩٠ .

(٢) حلية الأبرار ٢ : ٦٢ .

فقال علي عليه السلام : ويحك يا قنبر ! لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة .

ثم سل سيفه وضربه ضربات كثيرة ، فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه ، وآخر ثلثه ، ونحو ذلك ، ثم دعا بالناس ، فقال : اقسموه بالحصص ، ثم قام إلى بيت المال ، فقسم ما وجد فيه ، ثم رأى في البيت إبراً ومسال ، فقال : ولتقسموا هذا ، فقالوا : لا حاجة لنا فيه .

وقد كان علي عليه السلام يأخذ من كل عامل مما يعمل . فضحك ، وقال : ليؤخذن شره مع خيره .(1)

ونقل أصحاب السير عن لقاء قنبر مع الحجاج فقالوا :

إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم : احب أن اصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرب إلى الله بدمه !

فقيل له : ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه .

فبعث في طلبه ، فأوتي به ، فقال له : أنت قنبر ؟

قال : نعم .

قال : أبو همدان ؟

قال : نعم .

قال : مولى علي بن أبي طالب ؟

قال : الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي .

قال : أبرأ من دينه .

قال : فإذا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه ؟

(1) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ : ١٩٩ .

قال : إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك ؟

قال : قد صيرت ذلك إليك .

قال : ولِم ؟

قال : لأنك لا تقتلني قتلة إلّا قتلتك مثلها ، وقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام : أن ميتتي يكون ذبحاً ظلماً بغير حق .

قال : فأمر به ، فذبح .[١]

أبو رافع

عن عبد الله بن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه : عن أبي رافع قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نائم أو يوحى إليه ، وإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظه فاضطجعت بينه وبين الحية حتى إن كان منها سوء يكون لي دونه ، فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾[٢]، ثم قال : الحمد لله الذي أكمل لعلي منته وهنيئاً لعلي بتفضيل الله إياه، ثم التفت فرآني إلى جانبه فقال : ما أضجعك ها هنا يا أبا رافع ؟

فأخبرته خبر الحية فقال : قم إليها فاقتلها فقتلتها .

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال : يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون علياً وهو على الحق وهم على الباطل يكون في حق الله جهادهم فمن لم يستطع

(١) مواقف الشيعة ١ : ٤١٥ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

جهادهم فبقلبه فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء ؟

فقلت : يا رسول الله ، ادع لي إن إدركتهم أن يعينني الله ويقويني على قتالهم.

فقال : الله إن أدركهم فقوه وأعنه .

ثم خرج إلى الناس فقال : يا أيها الناس من أحب أن ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي فهذ أبو رافع أميني على نفسي .

قال عون بن عبيد الله بن أبي رافع: فلما بويع علي عليه السلام وخالفه معاوية بالشام وسار طلحة والزبير إلى البصرة، قال أبو رافع : هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله : «سيقاتل علياً قوم يكون حقاً في الله جهادهم» فباع أرضه بخيبر وداره ثم خرج مع علي عليه السلام وهو شيخ كبير له خمس وثمانون سنة وقال : الحمد لله لقد أصبحت ولا أحد بمنزلتي لقد بايعت البيعتين بيعة العقبة وبيعة الرضوان وصلّيت القبلتين وهاجرت الهجر الثلاث .

قلت : وما الهجر الثلاث ؟

قال : هاجرت مع جعفر بن أبي طالب رحمة الله عليه إلى أرض الحبشة ، وهاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وهذه الهجرة مع علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الكوفة .

فلم يزل مع علي حتى استشهد علي فرجع أبو رافع إلى المدينة مع الحسن عليه السلام ولا دار له بها ولا أرض فقسم له الحسن دار علي بنصفين وأعطاه سنخ أرض أقطعه إياها فباعها عبيدالله بن أبي رافع من معاوية بمائة ألف وسبعين ألفاً .(١)

(١) بحار الأنوار ٢٣ : ٣٠٥.

الفصل الخامس عشر

نساء

من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام



الدارمية الحجونية

روى سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال : حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها : دارمية الحجونية ـ وكانت سوداء كثيرة اللحم – فاخبر بسلامتها ، فبعث إليها ، فجيء بها .

فقال : ما حالك يا ابنة حام ؟

فقالت : لست لحام إن عبتني ، أنا امرأة من بني كنانة .

قال : صدقت ، أتدرين لم بعثت إليك ؟

قالت : لا يعلم الغيب إلّا الله .

قال : بعثت إليك لأسألك علام أحببت علياً وأبغضتني وواليته وعاديتني ؟

قالت : أو تعفيني ؟

قال : لا اعفيك .

قالت : أما إذا أبيت فانّي أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر وطلبتك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء ، وحبّه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهواء.

قال : صدقت فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك .

قالت : يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لا بي .

قال معاوية : يا هذه اربعي ، فانا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها ، فرجعت وسكتت .

قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟

قالت : إي والله !

قال : فكيف رأيته ؟

قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك .

قال : فهل سمعت كلامه ؟

قالت : نعم والله ! فكان يجلو القلب من العمى كما يجلو الزيت صداء الطست .

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟

قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟

قال : نعم .

قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها .

قال : تصنعين بها ماذا ؟

قالت : أغذوا بألبانها الصغار وأستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، واصلح بها بين العشائر .

قال : فان أعطيتك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب ؟

قالت : ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك، يا سبحان الله ! أو دونه ، فأنشأ معاوية يقول :

إذ لم أعـد بـالحلم مـني عـليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل للـحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل مـاجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما والله لو كان علي حياً ما أعطاك منها شيئاً .

قالت : لا والله ! ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .[1]

عِكرشة

دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكـاز لها، فسلّمت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ !

قالت : نعم، إذ لا علي حي .

قال : ألست المتقلّدة حمائل السيف بصفين وأنت واقفة بين الصفين تقولين : أيها الناس ! عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إن الجنة لا يرحل عنها من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب ، لا يـفقهون

(١) مواقف الشيعة ١ : ٣٩٧.

الايمان ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه ، فالله الله عباد الله في دين الله ! وإياكم والتواكل ، فان ذلك ينقض عرى الاسلام ويطفيء نور الحق ، هذه بدر الصغرى والعقبة الأُخرى ، يا معشر المهاجرين والانصار ، امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم ، فكأني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر وتروث روث العتاق ، فكأني أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون : هذه عكرشة بنت الاطرش بن رواحة ، فان كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾ وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته .

قال : صدقت فاذكري حاجتك .

قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وإنا قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير ، فان كان ذلك عن رأيك . فمثلك من انتبه عن الغفلة وراجع التوبة وإن كان عن غير رأيك ، فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا من أُمور رعيتنا أُمور تنبثق وبحور تنفهق .

قالت : يا سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام العيوب .

قال معاوية : هيهات بأهل العراق ! نبهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا .

ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافها .[1]

---

(١) مواقف الشيعة ١ : ٣٩٦ .

أمّ سنان

حبس مروان بن الحكم ـ وهو والي المدينة ـ غلاماً من بني ليث في جناية جناها ، فأتته جدة الغلام ـ أُم أبيه ـ وهي أُم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية ، فكلمته في الغلام ، فأغلظ لها مروان .

فخرجت إلى معاوية : فدخلت عليه فانتسبت ، فعرفها ، فقال لها : مرحباً بابنة خيثمة ! ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟

قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت .

قال : صدقت نحن كذلك ، فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد والليل يصعد بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفرا والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده !

فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة :

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت فوق الغصون حمامة قمريا

قد كـنت بـعد مـحمد خـلفاً كـما أوصـــى إليك بـــنا فكـنت وفـيا

فـــاليوم لا خـــلف يـؤمل بـعده هـــيهات ! نـــأمل بـــعده انسـيا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق ! ولئن تحقق فيك ما ظننا فحظك الأوفر ، والله ما ورثك الشناءة في قلوب المسلمين إلّا هؤلاء ، فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم ، فانك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ومن المؤمنين حبّاً .

قال : وإنك لتقولين ذلك ؟

قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا ، كان والله علي أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك .

قال : ممن ؟

قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص .

قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟

قالت : بسعة حلمك وكريم عفوك .

قال : فانهما يطمعان في ذلك .

قالت : هما والله من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان .

قال : والله لقد قاربت ! فما حاجتك ؟

قالت : إن مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيته ، فقال : كيت وكيت ، فألقمته أخشن من الحـجر ، وألعـقته أمـر مـن الصاب، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى نم هو أولى

بالعفو منه ، فأتيتك لتكون في أمري ناظراً وعليه معدياً .

قال : صدقت ، لا اسألك عن ذنبه ولا عن القيام بحجته ، اكتبوا لها باطلاقه .

قالت : وأنّى لي بالرجعة وقد نفذ زادي وكلّت راحلتي ، فأمر لها براحلة موطأة وخمسة الآف درهم.[١]

سودة الهمدانية

وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟

قالت : بخير يا أمير المؤمنين .

قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الاقران

وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان

إن الامام أخو النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الايمان

فقه الحتوف وسر أمام لوائه ... قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت : يا أمير المؤمنين، مات الرأس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي .

قال : هيهات ! ليس مثل مقام أخيك ينسى .

---

(١) مواقف الشيعة ١ : ٣٩٤.

قالت : صدقت والله ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنّه علم في رأسه نار[1]

قال لها : فما حملك على ذلك ؟

قالت : حبّ علي عليه السلام واتباع الحق .

قال : فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً .

قالت : انشدك الله يا أمير المؤمنين ! وإعادة ما مضى وتذكار ما قد نسي .

قال : هيهات ! ما مثل مقام أخيك ينسى ، وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك .

قالت : صدق فوك ، لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان ، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيته .

قال : قد فعلت ، فقولي حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين إنك للناس سيد ولأُمورهم مقلّد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقّنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة .

هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك وقتل رجالي وأخذ مالي ، يقول لي فوهي بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه ، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة ، فإما عزلته عنا فشكرناك ، وإما لا فعرفناك .

فقال معاوية : إياي تهددين بقومك ، والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب

(١) وفي بلاغات النساء : قالت : إي الله ! ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب .

أشرس ، فينفذ حكمه فيك .

فسكتت ثم قالت :

صـلّى الإله عـلى روح تـضمنه قبر فـأصبح فـيه العـدل مـدفونا

قد حالف الحق لا يبغي بـه ثـمنا فصار بـالحق والايـمان مـقرونا

قال : ومن ذلك ؟

قالت : علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال : ما أرى عليك منه أثراً .

قالت : بلى أتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائماً يصلّي فانفتل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتـعطّف : ألك حاجة ؟

فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهمَّ إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك .

ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا النـاس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ﴾ . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يـأتي مـن يقبضه منك والسلام . فأخذته منه يا أمير المؤمنين ، ما خزمه بخزام ، ولا ختمه بختام .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها .

فقالت : أليَّ خاصة أم لقومي عامة ؟

قال : وما أنت وغيرك ؟

قالت : هي والله إذا الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وألا يسعني ما يسع قومي .

قال : هيهات ! لمّظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ما تفطمون ، وغرّكم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحة الباب

كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها.[١]

بكارة الهلالية

قال الشعبي : استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها ، وهو يومئذ بالمدينة ، فدخلت عليه – وكانت امرأة قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها – فسلمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت يا خالة ؟

قالت : بخير .

قال : غيّرك الدهر !

(١) مواقف الشيعة ١ : ٣٨٨.

قالت : كذلك هو ذو غير ، ومن عاش كبر ، ومن مات قبر .

قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيد دونك فاستثر من دارنا ... سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة ... فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابن هند للخلافة مالكاً ... هيهات ! ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة ... أغراك عمرو للشقاء وسعيد

قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى ... فوق المنابر من أُمية خاطبا
فالله أخر مدتي فتطاولت ... حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم ... بين الجميع لآن أحمد عائبا

ثم سكتوا . فقالت : يا معاوية ، كلامك أعشى بصري وقصر حجتي ، أنا والله قائلة ما قالوا ، وما خفي عليك مني أكثر !

فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك ، اذكري حاجتك .

قالت : الآن فلا.[١]

الزرقاء بنت عدي

قال الشعبي : حدثني جماعة من بني أُمية ممّن كان يسمر مع معاوية قالوا :

(١) مواقف الشيعة ١ : ٣٩١.

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد ، إذ ذكروا الزرقاء بنت عدي بن غالب، وهي امرأة كانت من أهل الكوفة، وكانت شهدت مع قومها صفين، فقال: أيكم يحفظ كلامها ؟

قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين .

قال : فأشيروا عليَّ في أمرها .

فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها .

قال : بئس الرأي أشرتم به علي ! أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها ؟

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها ، وأن يمهد لها وطاء لينا ويسترها بستر خصيف يوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها فأقرأها الكتاب .

فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به ، فلما دخلت على معاوية قال : مرحباً وأهلاً ! قدمت خير مقدم قدمه وافد ، كيف حالك ؟

قالت : بخير .

قال : كيف كنت في مسيرك ؟

قالت : ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً .

قال : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت إليك ؟

قالت : أنى لي بعلم ما لم أعلم ؟

قال : ألست الراكبة الجمل الأحمر والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين

على القتال وتوقدين الحرب ؟ فما حملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، ولم يعد ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعد الأمر .

قال لها معاوية : صدقت ، أتحفظين كلامك يوم صفين ؟

قالت : لا والله ! لا أحفظه ، ولقد أنسيته .

قال : لكني أحفظه ، لله أبوك ! حين تقولين : أيها الناس ! ارعووا وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيا لها من فتنة عمياء صماء بكماء . لا تسمع لنا عقها ولا تنساق لقائدها ، إن المصباح لا يضيء في الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .

أيها الناس ! إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص ، فكان قد اندمل شعب الشتات ، والتأمت كلمة العدل ، ودمغ الحق باطله ، فلا يجهلن أحد ، فيقول : كيف العدل وأنى ؟ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده ، والصبر خير في الأمور عواقباً ، إيّها في الحرب قدماً غير ناكصين ولا متشاكسين .

ثم قال لها : والله يا زرقاء ! لقد شركت علياً في كل دم سفكه .

قالت : أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك ! فمثلك بشر بخير وسر جليسه .

قال لها : أو يسرك ذلك ؟

قالت : نعم والله لقد سررت بالخير ، فأنى لي بتصديق الفعل ؟

فضحك معاوية وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبّكم له في حياته !

اذكري حاجتك . فلم تطلب منه شيئاً ، فأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وهدايا.[1]

أمّ الخير

قال الشعبي : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أُم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيراً وبالشر شراً ، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه .

فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء معاوية لأُمور تختلج في صدري .

فلما شيّعها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أُم الخير إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أنه مجازيني بالخير خيراً وبالشر شراً، فمالي عندك ؟

قالت : يا هذا لا يطمعنك برك بي أن أسرك بباطل ، ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق .

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

(١) مواقف الشيعة ١ : ٣٩٣.

فقال لها : وعليك السلام يا أُم الخير ، بحق ما دعوتني بهذا الاسم !

قالت : يا أمير المؤمنين، مه ! فان بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه ولكل أجل كتاب .

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟

قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق !

قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم .

قالت : يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وما تردى عاقبته .

قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر ؟

قالت : لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة ، فان أحببت أن احدث لك مقالاً غير ذلك فعلت .

قال : لا أشاء ذلك ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟

فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين .

قال : هات .

قال : كأنّي بها وعليها برد زبيدي كثيف النسيج وهي على جمل أرمك ، وقد احيط حولها ، وبيدها سوط منتشر الضفيرة ، وهي كالفحل يهدر في شقشقته ، تقول : يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ، ولم يدعكم في عمياء مبهمة ، ولا سوداء مدلهمة ، فأين تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ؟ أم فراراً من

الزحف ؟ أم رغبة عن الاسلام ؟ أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله جلّ ثناؤه يقول : ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**﴾ ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهمَّ قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يا ربّ أزمة القلوب ، فاجمع اللهمَّ بها الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الامام العادل ، والرضي التقي ، والصديق الأكبر ، إنها أحن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية ، وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس .

ثم قالت : ﴿**قاتلوا ائمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾ ، صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ! قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم ، فكأني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة ، لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعمّا قليل ليصبحن نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص .

إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس ! قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، فالى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصهره وأبي سبطيه ؟

خلق من طينته ، وتفرع من نبعته ، وخصّه بسرّه ، وجعله باب مدينته ، وأبان ببغضه المنافقين ، وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الأصنام ، صلّى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر ، وأفنى أهل أُحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرّق به جمع هوازن ، فيا لها من

وقايع! زرعت في قلوب نفاقا وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيماناً ، قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أُم الخير ما أردت بهذا الكلام إلّا قتلي ، ولو قتلتك ما حرجت في ذلك .

قالت : والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه .

قال : هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟

قالت : وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون .

قال معاوية : يا أُم الخير هذا أصلك الذي تبنين عليه ؟

قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بعثمان نقصاً .

قال : فما تقولين في طلحة بن عبيدالله ؟

قالت : وما عسى أن أقول في طلحة اغتيل من مأمنه وأتى من حيث لم يحذر .

قال : فما تقولين في الزبير ؟

قالت : وما أقول في ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وحواريه ، ولقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الاسلام ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية أن تسعني بفضل حلمك وأن تعفيني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها .

قال : نعم ونقمة عين وقد أعفيتك منها . ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة .

أروى بنت الحارث

قال العباس بن بكار : حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي : أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمة ! فكيف كنت بعدنا ؟

فقالت : يا ابن أخي ! لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله ، فأتعس الله منكم الجدود ، وأضرع الخدود ، ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون .

وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام بعد نبينا صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفي أيتها العجوزة الضالة ! وأقصري من قولك مع ذهاب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك.

فقالت له : وأنت يا ابن النابغة تتكلم ؟ وامك كانت أشهر امرأة بغي بمكة وآخذهن لاجرة ، ادّعاك خمسة نفر من قريش فسئلت أُمك عنهم .

فقالت : كلّهم أتاني ! فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاصي بن وائل ، فلحقت به .

فقال مروان : كفي أيتها العجوزة ! واقصدي لما جئت له .

فقالت : وأنت أيضاً يا ابن الزرقاء تتكلم ؟ والله وأنت ببشير مولى ابن كلدة

أشبه منك بالحكم بن العاص ، وقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الاتان المقرف ، فاسأل عما أخبرتك به أُمك ، فانها ستخبرك بذلك .

ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ما جرأ عليَّ هؤلاء غيرك ، فان أُمّك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزينا بكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لي عن عتبة من صبر وشكر وحشي علي دهري
حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها بنت عمي ، وهي تقول :

خزيت في بدر وبعد بدر يا ابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف ، يا عمّة هات حاجتك .

قالت : مالي إليك حاجة ، وخرجت عنه.[1]

(١) مواقف الشيعة ١ : ٤٠٢ .

قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام

قد قلت للبرق الذي شقَّ الدجى فكأن زنجياً هناك يجدَّعُ
يا برق إن جئتَ الغريَّ فقل له أتراك تعلم من بأرضك مودعُ
فيك ابن عمران الكليم وبعدهُ عيسى يُقفِّيهِ وأحمد يتبعُ
بل فيك جبريلٌ وميكالٌ وإسرا فيل والملأُ المقدَّس أجمع
بل فيك نورُ الله جلَّ جلالُه لذوي البصائر يُستشفُّ ويلمعُ
فيك الإمام المرتضى فيك الوصي المجتبى فيك البطين الأنزعُ
الضَّارب الهام المقنع في الوغى بالخوف للبهم الكماة يُقنِّعُ
حتى إذا استعر الوغى متلظياً شرب الدماء بغلةٍ لا تنقعُ
هذي الأمانة لا يقوم بحملها خلقاءُ هابطة وأطلس أرفعُ
تأبى الجبال الشمُّ عن تقليدها وتضجُّ تيهاءُ وتشفق برقعُ
هذا هو النور الذي عذباته كانت بجبهة آدم تتطلَّعُ
وشهابُ موسى حيث أظلم ليله رُفعت له لألاؤه تتشعشعُ
يا من ردت له ذكاءُ ولمْ يفزْ لنظيرها من قبل إلّا يوشعُ
يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن خوض الحمام مدجج ومدرَّع
يا قالع الباب الذي عن هزِّها عجزت أكفٌّ أربعون وأربع
ما العالم العلويِّ إلّا تربةٌ فيها لجثَّتك الشريفة مضجعُ
ما الدهر إلّا عبدُك القنُّ الذي بنفوذ أمرك في البرية مولعُ
بل أنت في يوم القيامة حاكمٌ في العالمين وشافعٌ ومشفَّعُ
والله لولا حيدرٌ ما كانتِ الدنيا ولا جمع البرية مجمعُ
علم الغيوب إليه غير مدافع والصبح أبيض مسفر لا يدفعُ
وإليه في يوم المعاد حسابنا وهو الملاذ لنا غداً والمفزعُ
يا من له في أرض قلبي منزلٌ نعم المراد الرحب والمستربعُ
أهواكَ حتى في حشاشة مهجتي نار تشبُّ على هواك وتلذعُ
وتكاد نفسي أن تذوب صبابةً خُلقاً وطبعاً لا كمن يتطبَّعُ
ولقد علمت بأنه لا بُدَّ من مهدِّيكم وليومه أتوقَّعُ
يحميه من جند الإله كتائبُ كاليمّ أقبل زاخراً يتدفعُ

ابن أبي الحديد المعتزلي

المحتويات

الفصل الأوّل

علي عليه السلام في نظرة كلية واحدة

الفصل الثاني
بداية الخلافة

الفصل الثالث

بداية نقض العهد

الفصل الرابع

المدينة تستعد للحرب

الفصل الخامس
أمير المؤمنين عليه السلام يتعقّب الناكثين

الفصل السادس

حرب الجمل

الفصل السابع

إلى صفين

الفصل الثامن

وقعة صفين

الفصل التاسع

فتنة الخوارج

الفصل العاشر
معركة النهروان

الفصل الحادي عشر
المؤامرة في مصر

الفصل الثاني عشر
علي عليه السلام في محراب الدم

الفصل الثالث عشر

زوجات وأبناء الإمام علي عليه السلام

الفصل الرابع عشر
بعض من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

الفصل الخامس عشر
نساء من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام